

من المسرح العالمي

هرياني

تأليف : فيكتور هيجو
ترجمة وتقديم : زكي طليمات

مسلسلة
من
المسرح العالمي

مسلسلة يشرف عليها

أحمد مششاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

من المسرح العالمي

أول يونيو ١٩٧٤

شهرية

٥٧

هرياني

تأليف : فيكتور هيجو
ترجمة وتقديم : زكي طليمات

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

١ - تعريف بالمؤلف :

مؤلف هذه المسرحية ، فيكتور هوجو (١) يأخذ مكانه بجداوة في الصف الاول بين شعراء الادب الغربى ، كما يعتبر القمة السامقة التى لا تطاولها قمة بين أدباء فرنسا فى القرن التاسع عشر ، اذ سيطر عليه بطول حياته ، ثم بخصب انتاجه ، بحيث يذهب أكثر مؤرخى الادب الى تسمية الزمن الذى عاشه « عصر فيكتور هوجو » .

ولا عجب ..

ففى هذه الشخصية تجسدت مواهب وقدرات اتاحت لصاحبها أن يكون الشاعر ، والكاتب المسرحى ، والقاص ، والناقد الأدبى والفنى الضارب بقلمه فى مختلف شئون الفلسفة والاجتماع ، وأن يخوض المعارك الأدبية الى جانب المنازعات السياسية ، ثم ..

ثم هو الى جانب ذلك .. صاحب قلب ينبض بالحب ، ويستجيب له ، ولا يبالى أحيانا ، بما يبذله فى منبيل هذه الاستجابة !!

ونعتذر للحب ، باعتبار اننا فى أول الحديث عن الشاعر المسرحى ، على أن نعود اليه بعد ذلك .

والشاعر هو الاصل فى كل انتاجه ، حتى فى الحب ، وهو الشاعر القوى الطبع الطويل النفس ، الذى يتفجر احساسا بفيوض من انسانية رحيمة وخيرة ، تفاعلت مع مؤثرات بيئته وعوامل زمنه .

ثم هو فى انتاجه الأدبى - وذلك بعد أن استقام عوده فيه - لم يكن متبعا للقيم والمعايير التى كان عليها الادب والفن ، وكلها كلاسية (٢) منحدره من القرن السابع

١ - ولد بمدينة بيزانسون فى فرنسا عام ١٨٠٢ وتوفى بباريس ١٨٨٥ وحمل رفاقه الى (البانتيون) حيث يرقد عظماء فرنسا ، وكان والده قائدا فى الجيش الامبراطورى ، جيش نابليون بونابرت .

٢ - يطلقون اسم الكلاسية بالادب الفرنسى على ذلك الجيل من الشعراء الذين قدموا انتاجهم ابتداء من أواخر القرن السابع عشر ويربط بينهم مزاج ينزع الى تقليد الاقدمين من افريق ورومان .

عشر بفرنسا ، وانما كان مجددا ومبتدعا ، ويحمل لواء اتجاه أدبي مستحدث في فرنسا ودق أبوابها منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وأعنى بهذا الاتجاه (الرومانسية) ، الأوروبية وامتد أثره الى الشرق العربي ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

تنقل مستمر ونضج مبكر :

وأول ما يبعث على التأمل عند النظرة الشاملة الى انتاج مؤلفنا ، هو هذا التنوع فيه .. وهو أيضا هذا التوغل في قطاعاته ..

كما أن أول ما يلفت النظر أيضا في هذا الانتاج هو أن ينابيعه تفجرت في وجدان الشاعر ، وهو لم يزل فتى غض الاهاب !!

والأمران ، يؤلفان ولا شك ظاهرة ، لها ما وراءها .

ونبادر فنقرر أن الأمر الأول فيما تقدم ذكره يرجع الى أن شاعرنا - وذلك طيلة طفولته ومراهقته - لم يكن يستقر في مكان واحد ، إذ كان مقضيا عليه أن يكون دائم الانتقال بين أماكن عدة ، عاشها وعاشته ، وذلك بحكم أن والده رجل الجرف . كان يطوف بين فرنسا وإيطاليا وإسبانيا تبعا لمقتضيات الغزو البونابرتي ، فامتلات مخيلة الصبي الناشئ برؤى عدة ودفنات مختلفة ، خلقت كل منها رواسب في وجدانه .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى .. فإن الشاعر عاصر ألوانا مختلفة من الحكم في وطنه .

خرج الى الدنيا وانتصارات (بونابرت) تملأ أسماع الدنيا وتداعب المخيلة ..

وما أن تجاوز الصبي سن المراهقة حتى قامت رجعة الملكية مطلقة تحكم البلاد (١) ثم جاءت ملكية دستورية (٢) لتخلي مكانها لحكم جمهوري ، أنظمة من الحكم ، لكل منها حاله ، وكان على الشاعر أن يعايشها ، وأن يلتحم بناسها ليكسب عيشه وليتبت ذاتيته .. فكان أن اشترك بقلمه في أحداث هذه الأنظمة ، وجاء شعره يردد الكبر من أصدائها وينقل انطباعاته عنها .

بل إن العصر الذي عاشه الشاعر ، من سميم القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذي تزاوجت فيه تيارات مختلفة من الفكر ومن المزاج العام ، وتوانبت ، لينفض

١ - تولى الملك لويس الثامن عشر الحكم باسم اسرة البوربون الملكية التي أطاحت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

٢ - هذه الملكية الدستورية قامت بقيام (لويس فيليب) ملكا بعد شارل العاشر .

بعضها البعض الآخر في قيمه ومضامينه وقوالبه . قرن نزق دائم التغير ، ولا يقيم على حال (١) .

فلا عجب ، والحالة هذه ، وذلك في عامل من عوامل البيئة ، أن يجيء انتاج شاعرنا في مثل طاقة مختلفة الألوان من حديقة جمعت أنواعا متباينة من الورد والزهر !!

طفولة مضطربة ومراهقة ممزقة

والى جانب ما تقدم يجيء عامل آخر مأتاه الظروف التى شكلت قلبا من قوالب حياته الخاصة .

عرف هوجو ضيق العيش بل ضنكه وذلك في نشأته الاولى ..

وقاسى الكثير من تمزق الحياة العائلية حوله . اذ كانت هناك امرأة ثانية ، الى جانب الأم هى عشيقة الأب !!

ان الوالد ذا المنصب الكبير في الجيش ، واللقب المرموق في الحياة الإجتماعية (٢) .. كان مبذرا يعول امرأتين ، زوجة وعشيقة ، هذا فضلا عن التنقل الذى لا يهدأ من بلد الى بلد ... ثم ...

ثم هذا الخلاف الدائم بين الزوج ذى العشيقة ، والزوجة التى أنجبت ثلاثة اولاد (٣) وهو خلاف أشبه ما يكون بالحية ذات الرؤوس السبعة، و اذا بتر رأس منها، عاد ينبت مكانه رأس جديد !! وقد انتهى هذا الخلاف بانفصال الوالدين .

ويبدو أن (هوجو) كان شديد الالتصاق بوالدته ، فقد أورد في مذكراته :

« كان لى في طفولتي الناعمة الشقراء ثلاثة أساتذة أخذت عنهم ، وهم حديقة

المنزل ، وراهب عجوز ثم أمى » .

والأم هى المدرسة الاولى ، وقد تلقى (هوجو) عنها شغفه بالقراءة والاطلاع وحرية التفكير . كانت الأم مولعة بالاطلاع وتأخذ بالحرية فى تنشئة أولادها ، وقد

(١) - قامت بفرنسا فى هذا القرن ثورتان ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ثم انقلاب عام ١٨٥١ . وعدد آخر من الانقلابات السياسية والعسكرية ، والمؤامرات ومظاهرات العنف . هذا وفى الفنون التشكيلية تتابعت ثورات فى مفاهيم الفنون ، بين الواقعية ، والانطباعية ، والتكعيبية ، والرمزية ، والتعبيرية والوحشية ... الخ .

(٢) - كان والد الشاعر يحمل لقب (كونت) فى الحياة المدنية .

(٣) - وهم أبيل وايجين وفيكتور .

تعرف الابن من طريق الأم الى أهم كتاب القرن الثامن عشر ، وفي مقدمتهم (فولتير) و (جان جاك روسو) و (ديدرو) . وكلهم من رواد الثورة في الأدب الفرنسي ومن مهدوا لقيام الثورة الفرنسية الكبرى التي قلبت أوجه الحياة في فرنسا .

الصبي العاشق

وعرف الصبي العاشق المبكر ..

أحب ابنة الجيران (أديل فوشيه) وتدله كل منهما في حب صاحبه الى حد بعيد حتى أن أسرتيهما عملتا على ألا يتم لقاء بين الصبي والصبية ، حرصا على كيان كل منهما ..

ولعل هوجو أحب في فتاته الملامح والسمات التي كانت عليها فتاته الاولى (1) التي تعلق بها في اسبانيا ، وكانت في السادسة عشرة وكان هو على أبواب العاشرة !! ان كل شيء في هذا الصبي يبدأ مبكرا .. حتى المعائب الغرامية .

عقدة التفوق

وآدخل الصبي الممزق ، والعاشق الولهان قبل أوانه مدرسة داخلية ، فانطوى على نفسه وقد اضطرب احساسه بمنزلته الاجتماعية ، وهي منزلة كان يرى انها لا تيسر له أمر الزواج من (أديل فوشيه) .

ثم ان في رأس الفتى أخيلة ذهبية تتجاوب بما يجب أن تكون عليه حياة ابن يشغل والده مركزا اجتماعيا مرموقا ، وقد تذوق ألوانا منها قبل أن يقع الشقاق بين والديه ، الا أن الواقع القائم الذي يحياه الفتى بعد ذلك ، لا يبعث الا أحلام الكآبة .

لهذا لم يكن عجبا أن يلهب الفتى احساس لاشعوري يدفعه دائما الى أن ينشد التفوق على أقرانه ، والى أن يستعرض قدراته على أوسع نطاق .

الصبي النابغ

كان الفتى هوجو في الرابعة عشرة حينما أرسل الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة تتألف من ثلاثمائة بيت من الشعر ، فأجازته الأكاديمية بالفاخر الطيب واكتفت بتسجيل اسمه بين الشعراء وهي في شك من أمر هذا الفتى ..

(1) - كانت تدعى (يبيتا) وهي ابنة المريكز دي مونت هاربوزا ، أحد أشراف (مدريد) وسرائها حيث أقام هوجو مع والدته ، ودحا من الزمن .

الا أن قصائد أخرى أخذت تتتابع وتثير الإعجاب ، كما تبعث على العجب من هذا (الصبي النابغة) كما أسماه الشاعر الكبير (شاتوبريان) (١) .

ودفعه سوء الأحوال المعيشية الى أن يعتمد على قلمه ، فأخذ يمدح النظام الملكي وقد عاد الى الحكم ، وعلى رأسه لويس الثامن عشر ، فتوالت عليه المنح المالية من جانب الملك وحكومته .

وأصدر مع شقيقه صحيفة دورية (٢) تتضمن انتاجه الأول في الشعر وفي القصة وفي البحوث الأدبية والفنية . وقد جاء كل هذا يحمل الطابع الكلاسي في الأدب ، ويعبر عن وجهة نظر الكلاسيين . أن (هوجو) يفضل (كورنى) و (راسين) (٣) على (شيلر) الألماني و (شكسبير) الانجليزى والأخيران من الرواد الذين عملوا على تحرير الأدب من القيود الكلاسية !!

ان (هوجو) ما برح حتى الساعة لا يؤمن (بالرومانسية) التي ارتسمت طلائعها في الأفق ، وان كان الشعر الذى صافه في محبوبته (أديل فوشيه) تطفئ عليه شحنات عاطفية يجفوها الامتدال ، والأخذ بالاعتدال في اطلاق العاطفة وتغليبها على العقل ورصانته ، كما هو معلوم من صفات الكلاسية والكلاسيين !!

كما جاء ديوانه الأول (أغاني وقصائد مختلفة) عام ١٨٢٢ يحمل نكهة ومذاقا من عنصر جديد لم تتبلور معاله بعد !!

زواج كُتيب

وفي العام التالى تم زواجه من (أديل فوشيه) وبدأت ملحمة زوجية كان الفصل الأول منها كُتيبا ومذهلا .

فبينما كانت حفلة العرس تدق أجراسها البلورية بالكؤوس يتبادل بها المدعوون. انتخاب العروسين ، حدث أن (أوجين) شقيق العريس وقع مغشيا عليه ، وقد صرعه نوبة عصبية ذهبت بكامل عقله بعد ذلك !! والسبب ؟؟

كان (أوجين) يكتنح حبا ضاريا للعروس ، زوج شقيقه المحتفل بزواجه ، ولكنه لم يبيح بهذا الحب وأخفاه عن كل الناس ، احتراما لشعور شقيقه !!

١ - شاعر وكاتب فرنسى كبير (١٧٦٨ - ١٨٤٨) عاصر الثورة الفرنسية وما بعدها ، واستطاع بمخيلته الخصبة وبأسلوبه البيانى القوي أن يغير من القوالب الأدبية وأن يمهّد لقيام الحركة الرومانسية .

٢ - اسمها (المحافظ الأدبى) .

٣ - كورنى وراسين من أكبر شعراء المسرح بالقرن السابع عشر ، وهما من أقطاب الكلاسية .

الحب - قدر

ان الحب - كما يبدو - مولع بأن يطبع كفه القادرة على الحائط أمام عيني الشاعر الناشئ ، بل هو - وكما سنرى بعد ذلك - عنصر ذو شأن في تطور مراحل حياته .

شاهد هوجو أباه وهو ينصرف عن حب والدته ويعشق أخرى تغلبه على أمره ، وتزف اليه في النهاية ..

ورأى الحب - وهو الحب للحب والقبلة للقبلة - وهو دون العاشرة ..

ثم اكتوى بالحب بعد ذلك بيد من أصبحت زوجته اليوم ...

وأخيرا رأى الحب يقتل شقيقه !!

ولم تنته القائمة بعد ...

أرهاصات للرومانسية

ومن يكن على قلب اكتوى بكل هذا ، فسرعان ما يسكن الى العاطفة ، ويستجيب الى الهزة ، ويرحب بالانفعالات القوية ، ويميل الى التحرر من القيود .

لهذا لم يكن أمرا مستغربا أن نرى شاعرنا مهيمًا لاستقبال هذه التيارات الأدبية الوافدة من المانيا ومن انجلترا تحمل في طياتها فيوضا من الانفعالات ، ومن النزعات التحررية وهي تتدفق في أوصال الأدب الفرنسي الكلاسي ، وتغير من معالمة لتعرف بعد ذلك باسم (الرومانسية) .

وأصدر هوجو صحيفة (الهة الشعر الفرنسي) La Muse Française تعكس هذه الحركة وتعبر عن آراء القائمين بها . وهم شباب متحمسون من الشعراء (١) والكتاب صاروا يعقدون ندوات دورية ، بعد أن أطلقوا على جماعاتهم اسم (الجمع) ليتناقشوا في الأدب والفنون ويتصايحوا .

الحركة الرومانسية

ولكن ما ماهية هذه الصيحة الجديدة في الأدب ؟
واضح انها تمرد على الأوضاع القديمة في الأدب وفي الفنون ، ووجبة في تحرير الشعر خاصة من قيوده القديمة ، وشوق الى الانطلاق نحو آفاق جديدة تكون الكلمة العالية فيها للعاطفة المشبوبة ، وهي تستمد وحيها من الطبيعة مباشرة وليس من

(١) - جدير بالذكر أن من بين هؤلاء الشعراء والنقاد والفنانين : ألفريد دي فيني ، اميل ديشان ، شارل فوديه ، تبوفيل جوتيه ، اسكندر دوماس ، ألفريد دي موسيه ، سانت بييف ، الموسيقار ، ليست المصور ديلاكروا .

خلال قوالب مصنوعة وأوضاع مجتلبة إلا أن هذه الصيحة ، وإن تمخضت عن حركة ونشاط ، فإنها كانت مائة رجراجة ، يعوزها صلابة ورسوخ تنتظم فيهما القواعد المحكمة ، والأبعاد الواضحة ، والأهداف المحددة ..

كان الرباط الأول الذى يجمع بين هؤلاء الثوار ، هو إيجاد نهضة حديثة في الأدب وفي الفنون !!! ولكن ..

ولكن ما ماهية هذه النهضة ؟ وما عناصرها ؟ وما أهدافها ؟؟

مسرحية كرومويل دستور الرومانسية

وفي عام ١٨٢٧ خرج أول عطاء مسرحى لشاعرنا ، هو مسرحية كرومويل وهى تاريخية تعالج حياة العملاق الانجليزى الثائر اوليفر كرومويل (١) .

وقد صدرت المسرحية (بمقدمة) طويلة ، تؤلف بحثا دقيقا وشاملا في ماهية هذه الحركة الجديدة ، من حيث قيمها ، وأوضاعها ، ومفاهيمها ، وأهدافها .

والمسرحية تؤلف بحق النموذج الأول للمسرحية الرومانسية بفرنسا إذ أن فى تناولها الموضوع ، ومعالجة سياقه ، شكلا وأسلوبا ، تطبيقا لما ورد فى (المقدمة) نظرا .

إلا أن هذه المسرحية ، على جدتها فى المعالجة وجرائتها فى الأسلوب لم تكن على حظ موفور من المشوقات والمفاجآت التى تكفل لها النجاح أمام الجمهور ، كما جاءت فى إطالة يضيق بها المسرح ، ولهذا لم تطالع أضواءه .

ولعل حرص الشاعر على إجراء أوسع تطبيق وأدق للنظريات التى أتى بها فى المقدمة ، وذلك فى ماهية الرومانسية ، شغله عن أن يعنى بالمسرحية العناية التى تؤكد لها نجاحا مسرحيا .

وهكذا وضع (هوجو) دستور الحركة الصاعدة كما تولى زعامتها .

وستكون لنا وقفة مع هذه (المقدمة) عندما نعالج ماهية الرومانسية على نطاق واسع .

بؤادر معركة :

وقامت معركة قلمية حامية بين أنصار هذه الرومانسية التى رفعت رايتها عالية بما جاء فى (المقدمة) ، وأنصار الأدب الكلاسى القديم ، أولئك الذين تألبوا يقدقون الجيل الصاعد من الأدباء بالانحراف ، وبأنهم همج وبرابرة !!

١ - أوليفر كرومويل (١٥٥٩ - ١٦٥٨) أطاح برأس الملك شارل الاول من أجل تدعيم الحياة البرلمانية بانجلترا ، واعلاء كلمة الشعب . وبهذا قضى على أسطورة (الحق الإلهى) التى كانت تعصم الملوك من محاسبة الشعب لهم إذا أخطأوا وتجرموا .

وجاء عطاء آخر من جانب (زعيم الهمج والبرابرة) ، هو ديوان شعر يحمل عنوان (الشرقيات) (١) أعلى من شأنه اذ كشف عن ناحية من انسانية رحيمة واسعة الرحاب ، فقد جاءت الاكثرية الغالبة مما تضمنه الديوان تشيد (بالثورة اليونانية) ضد الأتراك ، وهي ثورة تحررية ناصرها أصحاب الفكر الحر والنزعة التحررية في أوروبا .

وجاء عطاء ثالث ، ولكنه جاء في عالم القصة الطويلة ، يحمل عنوان (آخر يوم لمحكوم عليه بالاعدام) حمل فيها الشاعر القاص على عقوبة الاعدام ، مناديا بوجوب القاء (هذا القتل الذي يتم في رماية القانون وباسمه) .

وتعتبر هذه القصة ارهاصا لقصة (البؤساء) التي جالت بعد ذلك ، الا أن كل هذه الانتصارات وما يتبعها من تهجم القدامى عليها وانتقاصهم من قدرها لم يكن يتجاوز أمر المناوشات لمعركة قادمة ، ستكون ، ولا شك الضربة القاضية التي تحسم الأمر لأحد الطرفين القدامى والمحدثين .

ان هوجو لم ينس أن مسرحية كرومويل لم تطالع أضواء المسرح ، كما أنه يعرف أن الحكم على المسرحية لا يتأتى الا بأن يطالعها الجمهور فوق المسرح وقد تجسست معانيها تجسيدا ماديا بوساطة الممثلين والأستار والأضواء .

ماريون دي لورم

وانكب هوجو يكتب للمسرح ..

وانجز في مدى ثلاثة اسابيع ، مسرحية تاريخية تحمل عنوان ماريون دي لورم الا أن الرقابة الملكية على المصنفات الفنية ، لم تجز تمثيلها ، برغم أن الملك لويس الثالث عشر ، وهو أحد شخوص المسرحية ، يبدو بالفصل الرابع ، في مظهر لا يشرف الملكية ، بل هو يحط من كرامة الملك لويس نفسه ، وهو من أسلاف الملك شارل العاشر القائم على العرش اذ ذاك ؟

ولم تفت هذه الخيبة في غضد الشاعر الذي يريد أن ينازل الكلاسيين في عقر دارهم وفي اثرى مجالاتهم الادبية ، وهو المسرح !!

هرناني

وخرجت مسرحية جديدة أخرى في عام ١٨٢٩ ، هي هرناني لتلقى بوقود في المعركة ويعتبر تقديمها بمسرح الكوميدي فرنسيس في فبراير عام ١٣٨٠ حدثا في تاريخ المسرح الفرنسي ، اذ اكتسب الرومانسيون نصرا مبينا ، بعد أن تهافت الجماهير على رؤية المسرحية تهافتا لم يكن مألوقا من قبل .

١ - وفي مقدمتهم الشاعر الانجليزى الكبير (لورد بيرون) .

كان لهذا النصر دوى كبير في جميع المحافل الأدبية والفنية ، بحيث أطلقوا على ما جرى في الحفلة الأولى من حفلات هذه المسرحية ، اسم (معركة هرناني) ، اذ هب الجمهور في فترات الاستراحة بالحفلة ، وقد انقسم الى فريقين : -

الكلاسيين القدامى ، والرومانسيين المحدثين ، وأخذوا يترشقون بالهتافات ، وبالمباراة الشديدة ، وبما انطوت عليه الأيدي ، هذا وكل فريق يعلو من وجهة نظره .

وهكذا جاء للرومانسية نموذجها الكامل في عالم المسرح . بل ان اسم هذه المسرحية دخل تاريخ الأدب المسرحي العام ، بوصفه عنوانا لأطول نضال أدبي ، اذ استمر من عام ١٨٢٥ الى ١٨٤٣ .

وماذا في هذه المسرحية ليثير كل هذا الشغب ؟؟

اكتفى في هذا المقام بتسجيل موجز الموجز من موضوعها ، على أن تكون لي رخصة اليه :

- كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء :

* شاب قاطع طريق ..

* وثنائهم نبيل عجوز ذو جاه و ثراء ..

* وثالثهم ملك ذو حول وطول ..

* وحينما وقع الهجوم ، فاز بالحسناء قاطع الطريق !!

موضوع له نظائر وأشباه في قصص الحب وسفه الشيخوخة ، ولكن تناول الموضوع بمعالجته ، ولكن خروج السياق على المألوف ، ولكن القالب .. كل هذا جاء في أسلوب جديد لم يكن مألوقا في كتابة المسرحية الفرثسية (١) .

أحذب نوتردام :

ولم يمض عام حتى استقبل هوجو نجاحا مماثلا بنشر قصة (أحذب نوتردام) التي تعتبر معجزة قصصه ، وأكثرها طرافة ، وأمعنها غرابة في الحوادث وفي سلوك شخصها ، وأية شخصية أوغل في الغرابة من شخصية (كوزمودو) المحب الواثق

(١) - يذهب بعض نقاد الأدب المسرحي الى أن مسرحية السيد للشاعر (كورني) بالقرن السابع عشر ، سبقت مسرحية (هرناني) من حيث الخروج على وحدة الزمان والمكان . وهم على صواب اذا كانت الرومانسية مجرد تحطيم لهاتين الوحدتين ، أما اذا أريد بها الى جانب هذا الخروج على القالب ففيها أكثر بكثير من هذا من حيث المضمون .

والأحذب الدميم الذى يحمل بين جوانبه قلبا غير دميم ، ويقدم بساوكة أروع آيات السمو بحيث يمثل بهذه الأضداد التي يحملها في كيانه الظاهر والباطن ، ذلك التناقض الذى يميل الكتاب الرومانسيون الى الأخذ به فيما يصنفون وينادون الى وجوب الأخذ به ، باعتبار أن الطبيعة في جوهرها الدائم تجمع بين النقيض : الجمال والقبح ، النور والظلام .

ماريون دى لورم .. والملك يلهو

وفي عام ١٨٣١ ألغيت الرقابة على المصنفات الأدبية عامة ، فكان أن طالعت هذه المسرحية أضواء المسرح ، وكان أن تقبلها الجمهور بحماس شديد ، على الرغم من أن موضوعها دمغه الكلاسيون بأنه خروج على الآداب ، وجرح للوقار ..

وأى موضوع أشد جرأة من أن يتولى في ذلك الوقت ، كاتب الدفاع عن المرأة العاهرة بدعوى أن الحب النبيل في مواقفه الانسانية الكريمة يطهرها من أرجاس الرذيلة !!

وجاءت مسرحية الملك يلهو لتقيم شجارا جديدا .. ولكنه في هذه المرة شجار يقع بين المؤلف وبين السلطات التنفيذية بالدولة ..

أوقفت السلطات تمثيل هذه المسرحية ، بعد الحفلة الأولى ، بزعم أنها تخرس على قتل الملك ، بطريق غير مباشر !!

وثار الشاعر وأقام دعوى على الحكومة .. ولكنه خسرها .. وما الحيلة .. ان الشاعر يسبق عصره بحرية تفكيره !!

مسرحيات نثرية ١٨٣٣ - ١٨٣٧

وجاءت مسرحيات من طراز جديد من حيث أسلوب حوارها .. ان الشاعر يكتب الحوار بالنثر ، بدلا من الشعر .

وكانت مسرحية لوكريس بوجيا الاولى (١) من هذا النوع ..

كما أنها أيضا الاولى من ناحية الحدث الذى أسفرت عنه ..

أحدى المثلثات بالمسرحية ، أصبحت امرأة المقدور في حياة الشاعر بعد أن تدخلت فيها ..

كما أن الشاعر بلغ القمة من حيث رصيده من اعجاب الجمهور ، قد وقع حينما غادر الشاعر المسرح بعد أن انتهى تمثيل المسرحية ، واستقل عربته عائدا الى منزله .

١ - وجاءت بعدها مسرحيات ماري تيودور و أنجيلو ، أزميرالد وهى مقتبسة من قصة (أحذب نوتردام) ، وكلها مكتوبة بالنثر .

أن أحاط الجمهور بالعربة وسرحوا الجياد التي كانت تجرها ، ليتولوا هم دفعها بسواعدهم حتى منزل الشاعر وهم يزيطون ويهتفون !!

حياة جديدة بدأت تدق في قلب الشاعر بعد أن قامت علاقة مشبوبة بينه ، وبين إحدى الممثلات بالمرحلية ، هي (جوليت ورويه) بل هي علاقة جامحة من حب (رومانسي) من ناحية أنه في اندفاعه لا يعرف الاعتدال ولا يبالي بالقيود والأوضاع ! ونترك إلى حين ، قصة هذا الحب المائي ..

ونقرر أن من أهم الأسباب التي جعلت الشاعر ينصرف عن كتابة حوار هذه المسرحيات بالشعر هو أنه أصدر خلال هذه الفترة الزمنية أربعة دواوين (١) من الشعر ، تضمنت انطباعاته بأحداث عصره ، وتأثره بمزاج ناسه ، بحيث تُولف هذه الدواوين (ملحمة) عصر عن حق وجدارة .

روى بلاس - والقطاريف

ويؤلفان آخر عطاء للشاعر المسرحي وقد عاد فيهما إلى كتابة الحوار بالشعر . والمسرحية الأولى ، قصة التابع والخادم الذي ترفعه مواهبه ، عن جدارة ، لأن يتولى تصريف شئون الحكم ، وبعبارة أخرى هي قصة المواطن ابن الشعب ، وليس سليل بيت الشرف والنبل ، المواطن البسيط الذي يتولى أكبر المناصب ، ليكتب بسلوكه أن الأمانة والشرف ، ليسا وقفا على أبناء الأمراء والنبلاء ..

وهي أيضا قصة الحب الكبير الذي يسمو بصاحبه ، بعد أن يفجر طاقاته فيكون لفعل الخير ولاسعاد الغير . وتجرى حوادث المسرحية في اسبانيا مثل هرثاني .

والمسرحية الأخرى القطاريف Les Bu Rgraves وتجرى أحداثها في تلك القصور الاقطاعية بألمانيا .. حيث النور ينازل الظلمة ، بلا انقطاع في حنايا هذه القصور الحصينة المعتمة .

ولم تنجح هذه المسرحية النجاح الذي قدره الشاعر ولعل أهم أسباب هذا الفشل هو أن الملك الرومانسي أخذ يهبط تدريجيا وأن الجمهور يتطلع إلى أسلوب جديد . وكانت تجربة مريرة له هجر بعدها (المسرح الصغير) الذي قدم عليه خمس مسرحيات مكتوبة بالشعر المونق الأسر ، هجر المسرح الصغير إلى المسرح الكبير .. « الدنيا » .

الشعر رسالة

واتجه هوجو إلى عالم السياسة ، وكانت فرنسا في أشد الحاجة إلى السياسي صاحب القلم البليغ ، والدهن اللامع ، والجرأة الشديدة ..

(١) - هي (أوراق الخريف) و (أغاني الفسق) و (الهاتف الداخلي) و (الأشعة والظلال) .

وأقبل على عالمه الجديد ، فقد كان (هوجو) يؤمن بأن الشعر رسالة لا تقف-
ملاقتها عند انتاج شعر طريف يهز الاعطاف ، وتقديم مسرحيات تلهب الألف بالتصفيق ،
بل هي رسالة تتجاوز هذا ، الى تناول شئون الحياة في الواقع ، واقامة موازين-
فيها ابتغاء الارتفاع بها وتجميلها ، ولكنه نسي ولا شك ان الشعر شيء وان السياسة-
شيء آخر !!

انتخب رئيسا للأكاديمية الفرنسية ..

وانتخب عضوا في المجلس النيابي ..

وصار خطيب المجلس .. ورشح أكثر من مرة لثقلى دست الوزارة

وأصبح الشاعر الرسمي للدولة .. مناصب تلو مناصب ..

ودأر في قدر السياسة مثل ملعقة الطاهي .. ولكنه ...

ولكنه تقى في عام ١٨٥١ الى احدى الجزر ببحر المانش ، وبقي هناك سبعة عشر-
عاما .

غير أنه بقي صاحب الحب الكبير .. والقلب الكبير حتى النهاية .

هوجو والحب

والمقصي حياة هوجو ، لا بد أن يقف وقفات تأمل أمام (حالة) نفسية كانت-
تلابس الشاعر في فترات من حياته فتعصف بقلبه وتفجر فيه ينابيع كلما غاض-
الماء فيه .

هذه (الحالة) هي الحب ، وهي حالة أثرت في انتاج الشاعر والقت ظلالا-
على حياته .

وقد أتينا ، فيما تقدم ، على ذكر هذه الحالة ، والقلب فيها - قلب الشاعر -
تشغله امرأة واحدة ، ولا تنهشه فيه أنياب الفيرة .

الا أننا نحن الآن أمام حالتين جديدتين ، كل منهما تؤلف مسرحية لا نقل-
طرافة عما دبجته براعة الشاعر في عالم القصص !!

القصة الاولى ، ويقف هذا الثالث المعروف في حياة بعض المتزوجين ، وهو-
الثالث الذي يتألف عادة من الزوج ، ومن الزوجة ، ثم من الرجل الثاني (١) وقد-
يكون محبوبا من الزوجة ، بحيث تسكن اليه وتمنحه كل ما يريد ، أو يكون غير-
محبوب من جانبها فلا تعطيه شيئا الا أن ترثي لحاله .
ونأخذ بالتفصيل ..

(١) - ويقع أحيانا ان يتألف هذا العنصر الثاني من امرأة أخرى دخيلة فاذا

كان بين رفاق هوجو ومريديه في الريادة الرومانسية الناقد (سانت بيغ) ،
ناصره بقلمه ودافع عنه بقوة بياضه أثناء سنوات الجهاد الاول في معركة الرومانسية،
حيث يختلط النصر بالهزيمة ، فكان أن توطدت صداقة قوية بين الاثنين ، وكانت
زوجة الشاعر (أديل فوشيه) تحضر اجتماعهما بالمنزل وتشارك في حديثهما ،
بحيث قامت ألفة بينها وبين الناقد .

وسانت بيغ ، على قبح خلقته ، كان بفطرته قوى الشخصية ، ذلق اللسان
يملك طاقة شديدة في التأثير على مخاطبيه ، فكان أن تأثرت الزوجة بهذه الشخصية
تأثرا بريئا . الا أن الذي وقع ، هو أن الناقد تدله حبا بزوجة صديقه الشاعر ،
هذا في حين أن الزوجة لم تكن تشعر نحو هذا المحب الوامق الا بالشفقة ، يعنها
في قلبها هذا الدلق اللسان وهو يحكى من أيام طفولته الكثيرة العسة ، وما
يكابده الآن من الوحشة ، والوحدة والحرمان .

ويبدو أن هذه الشفقة تحولت تدريجيا الى عطف ، والمطف مدخل من مداخل
الحب اذا لم توصل في وجهه الابواب .

وأحس الزوج بأن هناك من يشاركه عطف زوجته ، كما لاحظ أن صديقه الناقد
يكثر من التردد على المنزل أثناء غيابه عنه ، فكان أن طلب اليه ألا يحضر الى المنزل
أثناء غيابه .

كانت صدمة للناقد ، ولكنه تحايل على الامر بأن طلب الى الزوجة أن تقابله
خلية في كنيسة مجاورة للمنزل . . فكانا يجتمعان هناك في حرم الكنيسة . .
معصومين من الخطيئة .

ولكن يبدو أن هذا اللقاء لم يعد يشبع جوع العاشق الولهان ، هذا ولم يدر
بخلد الزوجة يوما أن تستجيب الى العاشق في أن تقدم له الزاد الذي يتوق اليه،
بل حرصت دائما على أن تجعل ما بينها وبينه تقيا طاهرا .

ودامت هذه الحال ثلاث سنوات وانتهى الامر بأن طرد الشاعر صديقه من
منزله ونحاه عن المنزلة التي كان يحتلها في قلبه ، وأسدل الستار .

وهكذا نكب الشاعر في صديقه ورفيق الجهاد ، كما نكب في زوجته ، وان لم
يقم دليل على انحرافها عن جادة الشرف في موقفها من الصديق .

حب في الطريق !!

وفي أثناء ذلك ، كتب الشاعر مسرحيته لوكريس بورجيا وقدمها الى مسرح
(سان مارتان) وأسند دورا صغيرا فيها الى ممثلة ناشئة تدعى (جوليت دوييه) .

كانت الممثلة التى تشق طريقها في السابعة والعشرين من عمرها ، ذات جمال وانوثة طافية ، وذات دل وخطر ، يتهافت عليها الكثيرون من أصحاب الثراء والجاه وفى مقدمتهم أمير روسي أنفق عليها أموالا طائلة . .

الا أنها ، حينما رأت هوجو فى جلسات التدريب على المسرح ، وهو يقدم إرشاداته الفنية الى ممثل وممثلات مسرحيته ، استحوذ عليها ذهول ، وعصف بها لاجع من هيام ، تمنى معه أن يكون هذا (الاله الأدمى) صديقها وخليلها ، وكل شيء مما يربط بين الرجل والمرأة .

وكانت نظرة هوجو اليها ، فى أول الأمر ، غير ذات بال . . الا أن اهتمامها بأمره ، فى كل مناسبة جعله يلتفت اليها ويستجيب الى أشواقها .

وساعد على تدعيم ما قام بينهما ، تلك الحالة النفسية التى كان عليها الشاعر بتأثير ما وقع له مع صديقه وزوجته . . فقد كان الشاعر مهياً لأن يخوض مغامرة عاطفية تغدى كبريائه كرجل ، وتعيد اليه الثقة بنفسه فى مجالات الفحولة .

وانكس هذا الحب الكبير فى شعر الشاعر ، فكتب فى محبوبته القصائد الطوال والقصار مستنزلاً شأبيب الرحمة على بنات التفریط اللواتى قضى عليهن سوء الطالع بأن يصبحن زهرات تعيش فى الوحل ، مهيبا بالمجتمع أن يمد يده اليهن ليميدهن الى النور .

وقطعت (جولبيت) علاقتها بأصدقائها جميعا وانقطعت للشاعر بكائيتها ، وتركت المسرح وتقات مع الشاعر فى العمل الذى كان ينهض به .

رجل بين امرأتين :

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن : وماذا كان موقف الزوجة ؟ وماذا كان موقفه هو مع الزوجة ؟

ألم على ألم من جانب الزوجة ، ثم استطاعت أن تستكين الى هذا الألم ، وأن تحيله لونا من التضحية فى سبيل من تحب ، ولم تكف يوما عن حبها ، وظلت تفاخر به فى كل مجال ، وقد أدركت بوجودها أن لكل رجل عظيم محاسنه ، وله أيضا مواطن ضعفه ، وأن المجد لا يعصم العظيم عن التردى فى الأخطاء ، بل أن العظيم هو المجد والأخطاء معا !!

وتحول حبها الى أومة رحيمة وصداقة كريمة .

وفى إحدى رسائلها الى الشاعر كتبت تقول : -

« لا تحرم نفسك شيئا ، أنا لم تعد لى رغبة فى الحياة الا أن أرى من حولى يسعدون ، أن أسعدتى من سعادتهم ، فافعل ما يحلو لك فأتى سعيدة ما دمت أنت سعيدا » . .

ووقع حادب اذ ذاك له دلالة ...

طهر الناقد (سانت بيف) فجأة على مسرح الحوادث ..

اعتقد أن الفرصة قد واثته لان يتأثر من الشاعر ، فأخذ يتردد من جديد على الزوجة (اديل فوشيه) يوغر صدرها على الزوج الذي هجرها . وأطلق لسانه في كل المحافل يشنع على الزوج ذى الخليفة .

وعندما أصدر الشاعر ديوانه (الاشعة والظلال) انحنى عليه سانت بيف وعنى صاحبه بالنقد المسموم المفروض بدعوى أنه ما كان يليق أن يجمع الشاعر بين الزوجة والخليفة فيما صافه على شرف كل منهما من قصائد في ديوان واحد .

وتارت الزوجة لهذا الموقف غير الكريم من جانب الناقد وأخذت نسلكه بلسان جارح وذكرته أنها ما برحت تحب زوجها ، على الرغم مما حدث ، وأنها تعجب بعبقريته ، ثم أغلقت الباب نهائيا في وجه الناقد !!

وبهذا ازداد هوجو تعلقا بزوجته وبأولاده منها ، واستطاع بحذقه ولبافته أن يرضي الزوجة والخليفة ، بأن يعطى لكليهما - ولو في الظاهر - أقساما متساوية من العطف والحنان ، وأن يحفظ على كليهما كرامتها وكيانها الأدمى .

وحينما نفى الشاعر الى جزر بحر المانش طيلة حكم نابليون الثالث ، تبعته خليلته مثلما تبعته زوجته ، وأقام كل منهما في بيت يواجه بيت الاخرى ، ليتبادلا التحية والابتسام من غير كلام !!

هذا الشيء الذي لا يهدأ ؟

وموضع النظر ، أن الشاعر على حبه لهما ، لم يستطع أن يهدأ ، وأن يقطع ما بينه وبين مغامراته العاطفية !!

اقترن اسمه من جديد بأسماء نساء حادقات ومماتات جميلات ولكل منهن قصة تنبىء أن هذا الشاعر له فحولة تمتد الى كل شيء وانه على حيوية لا ينضب لها معين ..

ووقع أن زاحمه ابنه الاكبر (شارل) في حب ممثلة حسنة .. وحينما أحس الشاعر أن النصر سيكون الى جانب الشباب ، نخلع قبعته محبيا ولده وانصرف !!

ان الحب ، كما نرى ، مكتوب على جبين هذا الشاعر ، بحيث أنهما يلتقيان في كل مرحلة من مراحل العمر ، بل ان الحب يؤلف جزءا من كيان الشاعر الذي لا يطيق حياة هادئة لا يضربه فيها الحب ضرب العواصف ، ولا يقتلعه اقتلاع الاعصار .

ومن يدري .. فربما كان هذا الحب هو العامل الاول في تفجر مواهب هذا العملاق الذي خلف وراءه انتاجا ادبيا ضخما، ما برح يشغل اذهان الدنيا، لانه بابعاده وأعماقه ، وصدقته ، وانسانيته من صميم الدنيا ، ومن حنايا قلوب ناسها .

٢ - هذه المسرحية

هرنانى ؟

اسم .. مدلوله يتسع لاكثر من مسمى واحد !!

هرنانى : اسم لمسرحية خرجت فى أسلوب يحمل الثورة على ما كان متبعاً فى كتابة المسرحية ..

وهرناتى ، اسم علم لقاطع طريق وطالب ثأر لا يلين ، وهو محب وامق كتب بحبه وبجراته قصيدة شائقة فى عالم الحب والفتوة ..

وهرناتى ، معركة أدبية ، تؤرخ انقضاء عصر فى عالم الادب والفن ، وقيام عصر آخر .

وهرناتى ، اسم لقرية فى احدى مقاطعات اسبانيا (١) أمضى فيها المؤلف فيكتور هوجو حقبة قصيرة من الزمن أثناء تجواله باسبانيا بصحبة والده ، وخلفت انطبعا خاصا فى مخيلته ، بحيث أطلق اسمها على هذه المسرحية ..

فنحن والحالة هذه ، أمام مسرحية يثير طابعها الكثير من الفضول ..

وأبادر بأن أشبع بعض هذا الفضول بالكشف عما وراء الظاهر منه فى هذه المسرحية التى تجرى حوادثها فى اسبانيا وكان يحكمها اذ ذاك الملك شارل ، أو ، دون كارلوس ..

أقول .. نحن أمام حسناء شابة ، هى دونيا سول التى يتعشقها ثلاثة رجال فى وقت واحد ...

عجوز متصاب جاوز الستين من عمره ، هو عظيم من عظماء اسبانيا ، عظيم بثرائه وبأمجاده ، وبشرف عائلته .. وهو « روى جوميز دى سيلفا » .

« وكارلوس » ملك اسبانيا الذى قبل انتهاء المسرحية يجرون انتخابه امبراطورا للدولة الرومانية المقدسة باسم (شارلكان) أو شارل الخامس ..

ثم قاطع طريق ، ثأر على الملك ، فهو طلبته العدالة والمشفقة .

١ - تقع هذه القرية بالقرب من (سان سبستيان) وهى مدينة كبيرة فى مقاطعة (الباسك) باسبانيا .

ولكن (لهرنانى) اللص وحده يخفق قلب الحسنة ، ولا عجب فنحن عادة
لا نختار حين نحب !!

ويضع القدر ، مرتين ، الملك وقاطع الطريق وجها لوجه ، وذلك فى أحداث
المسرحية وفى المرة الأولى ينقذ الملك حياة اللص ، لا لسبب سوى أن للشرف مقتضيات ،
وللمروءة آدابا ..

وفى المرة الثانية ، يكون قاطع الطريق هو المتفضل بانقاذ الملك ، لنفسى الأسباب
السابقة ..

وفى الفصل الثالث ، نرى نفس الأسباب تقضى على العجوز (روى جوميز) بأن
يتمنع عن تسليم قاطع الطريق الى الملك ، وكان اللص قد نزل عليه ضيفا قبل أن
يكشف عن حقيقة حالة .. ويمعن العجوز فى هذا الإباء وان اغضب الملك وأثار
حفيظته .

وقبل أن يهبط الستار فى الفصل الرابع ، نجدنا أمام مظهر آخر من مظاهر
النبيل والشهامة .. العفو عند المقدرة والأمر بالمعروف ، وانكار الذات اذ يعفو الملك ،
وقد أصبح الامبراطور ، عن جميع المتآمرين ، كما يرد الى هرنانى القابه اللغاة
بمكانته الاجتماعية ويسلمه دونيا سول ليقترن بها ..

نهاية سعيدة ولا شك لمواقف مثيرة وغير سعيدة ، وختام مقبول وهادئ
لأحداث كان يجفوها الاستقرار والهدوء .

ولكن المؤلف لم يشأ هذا ..

اذ هو يجيء بفصل خامس ، وهو الأخير ، فاذا نحن مع ابطال المسرحية ، نيماس
عدا دون كارلوس ، فى مواقف يحكم بعضها السمو الخلقى والخير وانكار الذات
ويقضى فى بعضها الآخر ، التسفل والشر (١) والاثانية .

مواقف تؤكد انه من أعجب النقاظ فى الدنيا نقيضة القلب الانسانى ، اذ
يجمع فى وقت واحد صفتى التسامى والتسفل معا !!

ان المؤلف يقدم هذا القلب بوجهيه ، مثلما يقدم العملة المعدنية !!

فنحن والحالة هذه أمام مسرحية ينزع شخوصها نزعة مثالية رليعة فى أكثر
تصرفاتهم ..

هذه النزعة نطالع لها وجوها ، وألوانا كثيرة فى الادب الكلاسي الفرنسى الذى
يُعتبر المسرح فى احدى نواحيه جامعا ومدرسة وكنيسة .

١ - تسجيل التناقض فى الأشياء من صميم النزعة الرومانسية باعتبار انها
تستمد احياءاتها من الطبيعة ومن الحياة وكلتاها يتألف من متناقضات .. النهار
والليل ، الحر والبرد ، الخير والشر .

هوجو كورنى (١)

ولعل مسرحية (السيد) Iceid التى كتبها (بيار كورنى) فى القرن السابع عشر ، من أمتع النماذج وأكملها فى هذا الصدد ، كما أنها تحمل أكثر من مشابهة واحدة بينها وبين مسرحية (هرنانى) .

وإذا ركنا المشابهة بين المسرحيتين فى النزعة المثالية التى عليها أبطال المسرحية ، طالعنا مشابهة أخرى . . ان التاريخ وأحداثه فىهما لبس لذاته ، وإنما هو وسيلة ، إنما هو خلفية تجرى أمامها صراعات نفسية ، وتأزمات عاطفية عنيفة .

هذا والمسرحيتان تجرى حوادثهما فى قطر واحد . « اسبانيا » .

هذا والمسرحيتان تتفقان فى أنهما خرجتا فى الصياغة على (وحدتى الزمان والمكان) وهما من دعائم المسرح الكلاسي .

ثم تجيء مشابهة بين المسرحيتين من ناحية أن كلا منهما أثارت عند ظهورها شغبا أدبيا ، وتحزبات قلمية ، متأهما ما تحمله كلتا المسرحيتين من جديد لم يألفه الجمهور ، ويجافى ما عليه أقلام كتاب المسرح ، ويصبح أن نعتبر مسرحية (هرنانى) عام ١٨٣٠ بمعاركها الأدبية ، هى عين مسرحية (السيد) فيما أثارت بالنسبة للجمهور وللأدباء المعاصرين ولؤلؤها (كورنى) بالقرن السابع عشر .

وقيام هذا التشابه بين المسرحيتين فى أكثر من موضع ، ليس فيه غمض بأن (هوجو) نقل عن (كورنى) ، أو استلهم بعض مواقفه ، فالموضوع فى كل من المسرحيتين يختلف عن الآخر ، مضمونا وأسلوبا ، وكل ما يمكن أن نقوله ، أن « هوجو » برومانسيته التى يحمل لواءها ، لم يكن فى منجاة عن مثالية الأدب الكلاسي ، وهى مثالية تحرص على أن يتغلب العقل على شطحات العاطفة وأن يتحكم فى الهوى ، هذا فى حين أن الرومانسية فى صميمها تغلب دقات العاطفة على مراجعات العقل والنهى .

وأنصف ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد ، انه إذا صح أن نعتبر مسرحية

(١) - مسرحى فرنسي (١٦٠٦ - ١٦٨٤) كان ينزع نزعة خلقية ومثالية فى مسرحياته ، مصورا الحياة كما يجب أن يكون ، وليس كما هى عليه . ومن أهم مسرحياته السيد ، وهو رأس ، وسنا . وهو يعتبر رأس الأدب الكلاسي فى المسرح الفرنسي .

(٢) - (وحدتا الزمن والمكان) أن تجرى المسرحية فى مكان واحد وفى يوم وليلة ، ثم هناك (وحدة الفعل) وهو أن يشغل (الفعل) موضوعا واحدا ، ولا يماشيه موضوع جانبي . وأطلق الكلاسيون على هذه القيود (الوحدات الثلاث) .

(السيد) جاءت من رومانسية متقدمة (١) وقبل أن تصلب لها أرض في الادب الفرنسي فانه يصح أن نعتبر (هوجو) هو (كورنى) القرن التاسع عشر !!

حب يناضل

وهناك ناحية أخرى تلقى على مسرحيتنا ظلا من الكلاسية .

ان أبطال مسرحيتنا صرعى الحب ، أو هم ، على الاقل في نضال معه ولكل منهم لون من الحب يخالف في نوعيته الحب لدى الآخر .

فالحب عند (الملك) جنس وممتعة ، وهو عند (روى جوميز) أنانية وشهوة

طامناك .

ثم هو مع (هرناني) بذل وعطاء ، وإيثار ، وكذلك الحال مع (دونيا سول) .
وهذا الحب مع اختلاف ألوانه يناضل عن كيانه ليعيش ، وهذا الحب يؤلف قدرا محتوما يهيمن على حياة كل منهم ولا يفنى هذا الحب الا بأن يحترق القلب من غير أن يتدلج منه لهب ، أو أن يموت صاحبه ..

هذا النضال الذى قوامه (ثلاثة رجال يحبون امرأة واحدة ، ويتعاركون في سبيلها) يثير في مخيلتنا أطيافا من معارك غرامية عالجها المسرحى الكلاسي (جان راسين) (٢) على نطاق واسع !!

ولم يكن (هوجو) أيضا في منجاة من التأثر بالادب الاوروبى عامة ، ان الانجليزى (وليم شكسبير) بمخيلته المجنحة ، وبوشاته المفاجئة في التعبير ، ثم

١ - الرومانسية في أكثر اوضاعها كانت لها ملامح الانتاج الادبى والفنى ، قبل أن تخطط لها الاوضاع وتقام الحدود في الادب الفرنسي بالقرن التاسع عشر . اذ الرومانسية في صميمها تحرر من الاوضاع القائمة ، وتشوق الى جديد ، هى نوع من الليبرالية : فلوليم شكسبير رومانسيته ، وكذلك لشيلر الالماني و (جوته) رومانسيته ، وهؤلاء يعتبرون من الرواد الاوائل للرومانسية . أما الرومانسية عند (كورنى) فحالة طارئة بحكم أن كل مسرحياته - فيما عدا مسرحية (السيد) - ننحو نحوا كلاسيا صريحا .

٢ - احد الثلاثة الكبار من الشعراء الكلاسيين بالقرن السابع عشر ١٦٣٩ - ١٦٩٩ أتحف الادب الفرنسي بمسرحيات مأساوية محورها الاول هو الحب في مختلف بوجوهه ، وفي منفوان جبروته ، كما جاءت شخوص مسرحياته بعيدين عن مثالية (كورنى) .

باستفراقاته العميقة التي تمتص المعاني ، يقف وراء شاعرنا في بعض مشاهد مسرحيته (١) .

والألمانيان (شيلر) (٢) و (جوته) يطلان أحيانا من ثنايا المسرحية لفترات قصيرة .

الحبكة المسرحية

فإذا انتقلنا الى الحبكة المسرحية ، وهي أن تتابع مشاهد المسرحية وتنتظم في تخطيط محسوب تتصاعد فيه فاعلية الأحداث ، بحيث تتأزم ، وتؤلف عقدة تثير انتباه الجمهور وتستبد بفضوله ، في ترقب الانفجار أو الحل ، فإننا نلاحظ تأثير « هوجو » مما كانت عليه هذه (الحبكة) في الكثرة الشاملة من المسرحيات التي كتبت في نهاية القرن الثامن عشر والتي تؤلف نوع (الميلودرام) (٣) .

إن هوجو ينحو نحوهم ، ويميل إلى هذه الحبكة على تشكيل شخصيات مسرحيته تشكيلا إنسانيا وقد يجنح في سبيل ذلك إلى أن يركب المبالغة والافتعال .

إلا أن خصب الخيال في (هوجو) ، وسحر الحوار - وقد جرى في شعر نباض بمعاني الوجود - يضفيان على هذا الافتعال ما يمسح من طابعه ويخفف من أثره .

الشاعر ابن بيئته

ولن نعدم العثور على مؤثرات أخرى انتقد لها هوجو من حيث لا يشعر ، لأن الشاعر ، مهما أوتي من ملكة الابتداع والاصالة ، فهو ابن بيئته الأدبية والفنية ، وهي ، في أحد وجوهها ، اخلاط من مخلفات قديمة ذات جذور في الوعي العام ،

١ - بالمشهد الرابع من الفصل الثالث وذلك في الحوار الذي يجري بين هرناني ودونيا سول أطياف من مسرحية (هملت) إذ أنبرى هملت يقنع أوفيليا بأن تنصرف عن حبه وإن تدخل الدير . وبالمشهد الثالث من الفصل الخامس ما يذكرنا بموقف لورنزو وجيسكا في مسرحية تاجر البندقية وهما يتحدثان عن سحر الموسيقى وهذه الليل .

٢ - شاعر مسرحي ألماني ١٧٥٩ - ١٨٠٥ تأثر بشكسبير المتحرر ، وبروسو الطليق من قيود الكلاسية ، وكان أول عطاء له بالمرح اللصوص ، وهي صرخة تدعو إلى التحرر من قيود الاستبداد كما أن آخر عطاء مسرحي له غليوم تل وهي اعلاء للتحرر الوطني .

٣ - نوع من المسرحيات يقوم على المبالغة في رسم الحبكة المسرحية بإيراد المفاجآت وبافتعال المشوقات أكثر مما يعلى الصدق الفني وتحليل شخصيات المسرحية.

ومن مستحادثات صاعدة تحاول أن تزحم هذه المخلقات لتميش الى جانبها ، أو لتأخذ مكانها .

الا أن كل هذا ، وما عسي أن يجيء على قراره ، لا يتجاوز أن يرسم انطباعات المؤلف بالبيئة المسرحية المحلية ، وأن يحدد أيضا مبلغ تأثيره بالتيارات الأدبية التي ترد من الخارج ، كما ينزل المسرحية مكانها الحق بالنسبة الى غيرها اذا أخذنا بأسباب المقارنة .

وليس في ذكر ما تقدم ، ما يسلب مسرحيتنا هذه أصالتها في تناول الموضوع ثم في معالجته بابتداع أحداثه ومواقف الاثارة فيها ، ثم بتقويم شخصوها .

نقول ان الموضوع سهل ، وهو يجول في الكتب وفي ادمغة الناس ، وتجري به اللسن ، ولكن معالجة الموضوع أمر صعب وعسير ، وبه تتفاوت أقدار الكتاب .

مستند ضائع

وليس أدل على ما نذهب اليه ، من أن نورد الاصل موضوع مسرحيتنا هذه .
اذاع هوجو ، قبيل أن يطالع الجمهور بمسرحيته ، أنه استعار لباب موضوعها من مستند قديم عثر عليه بين المستندات التاريخية . ويحكى أن (دون كارلوس) ، كان أيام شبابه الاول ، وهو ملك على اسبانيا ، نزقا مستهترا يجرى وراء المفامرات الغرامية ، وينشد الاناشيد الليلية تحت شرفات الحسان في مدينة سرقسطة ، ولا يبالي أن يجرد سيفه للمبارزة ولدفع من يقف في سبيله ، ولكن الامر تغير تغيرا تاما حينما اختاروه امبراطورا ، اذ لبسته حالة من التمثل والحجا جعلته يزهد في هذه المعاشات ، ويخلد الى الجد والوقار .

من هذه الحكاية القصيرة التي لا تقول كثيرا ، استطاع (هوجو) أن يقول كثيرا . . أن ينشيء مسرحية ذات خمسة فصول مليئة بالاحداث ، وتنتظم فيها المفاجآت ويصول ويجول فيها نماذج بشرية ، نرى في تصرفاتها اصداء لبعض ما هو قائم فينا .
هذا والحوار يجري في شعر مونق آسر تتيه به المعانى ، ويشيع الضموء الساطع في كل ما يتناوله ، فاذا للحصا بريق الجوهر ، واذا الجوهر ، نور على نور !!

ان الشعر في المسرحية الرومانسية هو المصدر الاول في بهائها ، وهو العنصر الرئيسي الذي كتب البقاء لهذا النوع من المسرحية ذات النطاق الضيق ، من حيث انها تسجيل لمعالم زمنها ، وتقويم شخصوها التقويم النفسي الذي يجعل منها نماذج انسانية تعيش في كل مكان وعلى الزمن بل ان الشعر هو الباب الاوحد الذي دخلت منه هذه المسرحية عالم الادب الرفيع . طابع كلاسي ، مضمون وقالب روماني :

ونخلص مما تقدم ذكره الى أن نقرر أن مسرحيتنا ، وإن كنت رومانسية المضمون والقلب فانها على الرغم من ذلك ، تحمل طابعا كلاسيا بما يعصف بنفوس أبطالها من مشاعر تنزع نزعة مثالية وتسكنها شحنات عنيفة من الانفعال الذي تضيق به الطاقة البشرية أحيانا .

الا أن الصراع أو (الفعل) في الموضوع ، يجرى تبعا لقيم غير كلاسية ، لي نسج المسرحيون الكلاسيون على منوالها (١) واليك بعضا من هذه الموضوعات : -
ففي مسرحيتنا يخلط عنصر الفكاهة (٢) بالعنصر المأساوى هذا في حين أن المسرح الكلاسي ، أما أن يكون فكاهيا أو مأساويا خالصا .

و في مسرحيتنا هذه ، نرى الاشخاص فيها يعبرون عما في نفوسهم بألسنتهم وبأفعالهم وليس بما يحكى عنهم بلسان شخصيات اضافية . فأحداث القصة ، والحالة هذه ، نراها رأى العيان ، ولا تصل إلينا منقولة على ألسنة الآخرين .

وإذا كان بالمسرحية أربع مقطوعات فردية طويلة تتخلل فصولها الخمسة وبها ينقطع الحوار - وهذه من مميزات المسرح الكلاسي - إلا أن هذه المقطوعات جاءت لضرورات شعرية وانطلاقات بلاغية ، أكثر مما تؤلف مشاهد ترسم أحداثا في المسرحية ، ثم إن في الامكان الاستغناء عنها .

وإن تسلسل حوادث المسرحية وتتابع أحداثها يعوق انطلاقتها أحيانا في خط مستقيم ومضروب ، بتدخل مشاهد جانبية وطفيلية (٣) يجافيها المنطق السليم وعمل على تباطؤ في الحركة المسرحية وعلى انحرافها أيضا . .

فلو لم يعمد المؤلف الى تدخل (البوق) وذلك في نهاية الفصل الثالث ، وجعله عاملا يتحكم في حياة (هرناني) لانتهد المسرحية بهبوط الستار بالفصل الرابع . ولكانت نهاية سعيدة للمسرحية ، ونهاية سياسية موفقة لدون كارلوس إذ أصبح امبراطورا !! .

الا أن المؤلف زاد فصلا خامسا ليلعب هذا (البوق) دوره لينهى المسرحية نهاية عاطفية ومأساوية !! .

والفصل الرابع يجرى عادة في بناء المسرحية الكلاسية ليمهد لحل (العقدة) .

١ - هذه القيم والادضاع تضمنتها مقدمة مسرحية كرومويل وسنتناولها في حديثنا عن ماهية الرومانسية .

٢ - كما هو وارد في المشهد الاول من الفصل الاول ، والمشهد الاول من الفصل الثاني ، ثم في الاول من الفصل الخامس .

٣ - المشهد الاول في كل من الفصول الثاني والرابع والخامس بالمسرحية .

عقدة الموضوع النى تكون قد أخذت تتعقد وتتأزم ، وتنتهى المسرحية ، ولا يجىء نهاية
لأحداث المسرحية .

وإذا انتقلنا الى الناحية الاسعراضية ، وهى الناحية التى تخاطب الرؤية
يما تترأى فيه المسرحية من مناظر وأستار ، وملابس ، ومهمات ، وبما غسى أن
يتخللها عزف موسيقى وعرض عسكري الخ .. وجدنا أنفسنا أمام مظاهر أخاذة
منها . فلكل فصل من الفصول الخمسة منظر قائم بذاته ، ومتفرد بفخامته ، ويأخذ
بمجامع البصر والسمع بما يجرى فيه ، مشاعل تضيء ظلمة الليل ، حاشية الملك
تزهر فى ملابسها وأسلحتها ، أجراس تدق ، وكل هذا يعمل على احياء سبعة
محلية ذات معالم محددة وواضحة .. وفي هذا ما فيه من تنوع فى تشكيل الاطار
المادى الذى تخرج فيه المسرحية ، هذا التنوع الذى يضيف متعة الى العين الى
جانب متعة الاذن بسماع حوار المسرحية ، وكل هذا امر لم تكن تعرفه الكلاسية .

ونضيف الى ما تقدم - وهو قليل من كثير مما يصح أن نرفه فى التفريق بين
الكلاسية والرومانسية - نضيف ، أن شخوص المسرحية فى أبطالها ، تعصف بهم
أهواء جامحة ، وانفعالات ملتبة يعوزها الاعتدال والرزانة ، وهما من أبين ملامح
الادب الكلاسي .

هذا ، وهؤلاء الشخوص فى مسرحيتنا ، يتناقضون فيما بينهم سنا ، وعقلية ،
ومركزا اجتماعيا .. مثل الالوان التى لا تناسق بينها ولا يجمع بينها رباط !!

ان المذهب الرومانسي ، يعنى بابرار (التناقض) فى كل شيء وهو فى هذا
يستجيب الى وجهة نظره فى أن كل شيء فى الدنيا له نقيضه وعكسه !!

شرح فى المرآة :

الا أن المأخذ على هذه الرومانسية فى المسرح الفرنسى هو أن كتابها لا يتوفرون
على تناول شخوص مسرحياتهم بالتحليل النفسى الدقيق الذى يجعل منهم نماذج
بشرية عامة ، وليس مجرد شخصيات تعيش فى اطار المسرحية .

فالملك دون كارلوس ملك .. ولكن أى ملك فى أبعاده النفسية وفى (عمومية)
مُشاعره الانسانية ؟؟

والنائر هرنانى ..

وكذلك العجوز روى جوميز ..

والحسناء دوئيا سول ..

كلهم مجرد شخوص فى دنيا المسرحية فحسب ، وليس فى دنيا العالم الكبير ،
هذا اذا استثنينا بعض لمسات هنا وهناك تضيف عليهم دفئا انسانيا من وقت لآخر .

ومرجع هذا ، فيما اظن ، أن هذه الرومانسية ليست أصيلة في الأدب الفرنسي ، بل هي إحدى الوافدات الأجنبية عليه ، وقد شغل الكتاب الفرنسيون بمباهجها ، وبما تحمله من طريف وجديد فيها ، شغلوا بها عن الجوهر في كتابة المسرحية ، وهو التقويم الانساني لشخصها .

وقد ساعد على قيام هذه الحال ، ولا شك ما كان يسود التأليف المسرحي عامة بفرنسا في أواخر القرن الثامن عشر ، من حيث الاهتمام بالحبكة المسرحية وإيراد المفاجآت ، والتأثير على الجمهور بإيراد ما هو عجيب يثير الغرابة وليس بإيراد مشوقات مأثما الغرابة والتناقض في سلوك شخص المسرحية .

وفي هذا تفرق رومانسية هوجو ، خاصة عن رومانسية شكسبير .

إلا أن مواطن الضعف هذه ، كان يخفي معالمها جدائل وبقايات من الزهر ، ينتظمها ذلك الرواء اللفظي الحاذق الذي يتدفق شعرا موتقا أسرا في حوار مسرحياتها (١) .

من روح العصر

ويجىء تساؤل مشروع . .

إلى أى حد تعكس هذه المسرحية صورا من عصر مؤلفها ، ثم من حياته في تفكيره ، وقد تأثر بأحداث عصره ؟؟

نقرر في هذا ، أول ما نقرر ، أن مسرحية هوفمانى ليست فكاهية نماذج بشرية ، كما أنها ليست لتسجيل سمات جيل ونقد أحواله ، ومحاولة إصلاح ناسه بطريق السخرية واثارة الضحك من سلوكهم .

إن مسرحيتنا لغير هذا ، ومجالها ليس مجال التفكه والسخرية ، إنها مسرحية جدية ذات نهاية مأساوية دامية ، إذ يسقط قبل هبوط الستار النهائي على أحداثها ، ثلاثة من أبطالها موتى . . إنها مسرحية (ميلو درامية) (٢) إذا أردنا الدقة في التعبير .

مسرحيتنا ، في أقصر عبارة ، مجالها الأول اصطحاب صراعات نفسية ، لتكشف عن مواجهات عاطفية تتسم بالعنف والشدة ، وقد تتساقط من خلالها عبر لمن يبحث عن العبرة في المسرح ، ولعل أهم هذه العبر ، التي تلتقطها النظرة المجلى ، أن الاعتدال في تناول شئون الحياة ، حتى في الحب وفي رغبة الامتلاك ، أمر محدود .

١ - نسج على منوال هوجو شعراء وكتاب مسرحيون جاءوا بعده ، وفي مقدمة الشعراء منهم (فرانسوا كوبيه) بمسرحيته **عابر الطريق** و (ادمون رويستان) بمسرحيته **سيرانو دي بيرجيراك** بل تشكلت مدرسة رومانسية في النشر ، سيطرت على الانتاج المسرحي طوال القرن التاسع عشر ، ولعل أهم كتابها (فيكتوريان ساردو) الذي ترجمت له كثير من المسرحيات قدمها المسرح العربي .

٢ - ذكرنا فيما تقدم ماهية هذا النوع من المسرحيات .

ثم .. ثم انه « لا يغنى حذر من قدر » أى أن المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين !! »

ويجرى كل هذا أمام خلفية تاريخية لا تخلو من مشابهة لما كان عليه عصر مؤلف المسرحية نفسه ، من حيث الاصطراع في نظم الحكم ، وما يتبعه من الانقلابات العسكرية .

ان أكثر فقهاء الادب والاجتماع يذهبون الى أن (الرومانسية) في نزعتها الهدامة والبناءة في وقت واحد ، انما هي من انعكاسات الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ .

والزمن الذى عاشه (هوجو) انما هو حلقة من الحلقات التى تتابعت في اعقاب هذه الثورة بل هي حقبة تؤلف ثورة بدورها .. فبعد الثورة الكبرى ، جاء (بوناپرت) القنصل ، ثم (بوناپرت) الامبراطور ، وجاءت بعد ذلك ملكية رجعية ، تبعثها أخرى دستورية الخ (١) . ثم عاد الحكم الامبراطورى مرة ثانية (٢) .

ولم يكن عجبا أن يتعاطى الجمهور شؤون السياسة كما يتعاطى الطعام ، بعد أن تفرق أحزابا وشيعا ، حزب يناصر النظام القائم ، الى جانب آخر ، يتوق الى أن تعيد فرنسا سيرتها الحربية تحت النظام الامبراطورى ، هذا الى جانب حزب يعمل على قيام الجمهورية .

عاش المؤلف كل هذا ، ودار في أحداثه وانطبع بمؤثراته ، هذا والمؤلف شاعر ، وأى شاعر ! ، ولهذا لم يكن عجبا أن تراه يخلق فوق المرثيات والمحسوسات الصغرى القائمة في سلوك الناس ، ليعيش ويعنى بالمرثيات والمحسوسات الكبرى .

وهو الشاعر الذى يتكلم :

ونسلم صوتة عاليا يجلجل خلف شخصية الملك دون كارلوس ، وذلك في الفصل الرابع ، وقد وقف الملك فارقا في تأملات عميقة أمام ضريح الامبراطور شارلمان الذى صنع أوروبا ، وهى تأملات بعضها سياسى مبعثه ما هو قائم وما يجب أن يقوم في أنظمة الحكم ، وبعضها الآخر غير سياسى مما يدخل في بدهيات الحياة وحقائق الوجود ، مما يحسها الجمهور في نطاق زمته .

هو يجيد قيام النظام الملكى بعودة أسرة البوربون ، وأن يكون هذا النظام وراثيا (٣) .

١ - أوردنا هذا في المقدمة الاولى

٢ - وهو الامبراطورية الثانية وعلى رأسها نابليون الثالث .

٣ - كان فيكتور هوجو محط رعاية من جانب لويس الثامن عشر ، ومن شقيقة شارل العاشر ، وهما من أسرة البوربون وقد ظهرت هذه المسرحية في أيام حكم شارل العاشر عام ١٨٣٠ .

وهو يلوح في مكان آخر بمشروعية قيام السلطة الزمنية ، وعلى رأسها الملك أو الامبراطور ، ثم السلطة الدينية ، وعلى رأسها البابا فنسمعه يقول : -

« فالبابا والامبراطور يتمثل فيهما كل شيء ، ويعود اليهما كل شيء ، لأن فيهما سرا علويا ، ومن السماء هبطت عليهما الحقوق الالهية » .

بل ان (هوجو) ليحيى ذكر « الحق الالهى » الذى هو (طوق النجاة) والذى تتمسك به الملكية حينما يجتاحها غضب الشعوب ويرحزها من العرش .

و (هوجو) فى الوقت نفسه لا يففل أمر الشعب ، بل هو يعلى من شأنه وينبه إلى خطره فيقول :

« أيها الملوك احرى بكم أن تنظروا الى ماتحت أقدامكم هناك الشعب .

الشعب ؟ المحيط ؟ أمواه لا تنقطع عن الحركة .

الشعب ؟ الوجه العاتية التى تسحق عرشا وتحفر قبرا ..

المرآة التى قل أن يرسم على صفحاتها وجه وسيم ملك !! »

وواضح أن الشاعر مقسم بل هو ممزق بين النظام الملكى الذى لا يمكن أن يعيش الا على هضم حقوق الشعب ، والشعب الذى قلما يسترد حقوقه المشروعة فى ظل هذا النظام .

لماذا تركنا هذه التلويحات السياسية - وقد أوردنا منها قليلا من كثير مما جاء فى مناجاته ، فاننا نجدنا أمام سباحات شامر ، ولحاجات مفكر يتلفسف ويجرى الحكمة على لسانه .

حتمية التطور - الجبرية :

أسمعه يقول « تكفى أن تطل برأسها يومها فكرة تستولدها حاجة من حاجات العصر حتى تراها تنمو ، وتكبر ، وتسعى على قدمين وتجري ، بل هى تتمثل كائنا انسانيا يحفر فى المجتمع خطوطا ويشق أخاديد » .

وفى الوقت الذى نسمع فيه الشاعر يؤكد ايمانه (بفكرة المصير) أو دأى التطور ، نسمعه بعد ذلك معربا عن ايمانه بان هناك يدا علوية تدبر شئوننا الكبرى ، وتسخر من تقديراتنا ، نسمعه وهو يوجه كلامه الى المجلس الذى اجتمع لينتخب من سيتولى أمر الامبراطورية الرومانية المقدسة ، هذا ومعلوم أن دون كارلوس يتوق ويصل على تولى هذا المنصب :

« أيها الناخبون تختالون فى الأردية يوشى الذهب حوافيها ، ان شأكم فيما تيرمونه لا يتجاوز شأن من يمثلون استعراضا مسليا ومحسوبا اذ أن الله ، وحده ، هو من يفعل ما يشاء »

والى التراب نعود :

ويبلغ تأثر الشاعر مبلغا كبيرا بما يرى حوله في هذا المكان من أسباب الفناء ، وقد تضاعفت عظمة هذا العملاق (شارلمان) فصارت ضريبا من حجر يتوارى بين أعمدة من حجر ، فنسمعه يقول :

« اعمل ما استطعت في طلب الامبراطورية ، ثم انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !! املأ الخافقين ، املأها جلبة ودويا ، وارفع البناء ، ودمم امبراطويتك ولا تقنع بشيء . »

أتدرى ما يتبقى منك يوما ؟؟

لن يتبقى - وباللهجنون - غير هذا الحجر القائم على موقدك !! «

ان هوجو ، يذكر ولا شك - ولو بطريق غير مباشر - ما انتهى اليه أمر الامبراطور نابليون بونابرت ، وقد كان الشاعر من أشد المعجبين به ، وفي أمجاده صاغ أروع قصائده .

ان في دون كارلوس قسما وملامح من شخصية الشاعر المؤلف ، وبعبارة أخرى ان الشاعر هو بعض دون كارلوس !!

فنحن في هذه المسرحية هرناني لسنا أمام مؤلف ذكى الفؤاد ، حلو الذماعة ، يخلق الملاحظة ، ويذهب بفراسته الى استخراج ما هو قائم وراء الظاهر من الناس ، بل اننا في هذه المسرحية أمام المنظور البعيد لشاعر كبير ، خياله يبرى بالواقع ، وأحاسيسه تنطلق تهدير كالسيل يقطع السدود ، وقد انحنى بشاعريته بتفحص حنية من حنايا الوجود .. شخوصها طين من حمأ مسنون .

٣ - هذه الرومانسية ؟

والكلمة ليست عربية ، كما هو واضح ، وانما هي تحريف لكلمة Romantisme الأجنبية ..

هذه الكلمة ما أكثر ما تدور على ألسنتنا وأقلامنا في مختلف المناسبات ومع ذلك نحس أن جوانبا من ماهيتها يكتنفها شيء من الغموض ، أو هي تعطى ، ولكن بعد مماثلة وتأمل .

والمرجع في هذا ، كما قلنا ، ان الكلمة ليست عربية أصيلة تكشف عن كل دلالاتها كشفا لا يلبسه الغموض ، كما أن الكلمة في صيغتها الأجنبية تحمل ، كما سنرى دلالات عدة ، اذا احطنا بأطراف منها ، بقيت خافية علينا أطرافها الأخرى .

ونبادر بارساء تعريف هذه الرومانسية (١) فنقول انها اتجاه ، أو هي مذهب ،
في التعبير الأدبي والفن الأوروبي ، ينهض على التحرر مما هو قائم من قيم ، وصيغ ،
وقوالب في الأدب ، وفي الموسيقى ، وفي الفنون التشكيلية ، وقد ولى وجهه في
استلهاماته ، وفي ابتداعاته نحو الطبيعة غير المقيدة بقوالب مصنوعة ، واتجه نحو
الحياة في واقعها ، مستهديا باحساسه الشخصي وبانفعالاته الذاتية .

فالرومانسية (حالة) في الفكر وفي الأسلوب ، تنشأ التحرر من قيود ما هو
قائم - والتحرر ثورة - ابتغاء ارتياد آفاق جديدة من الفكر والتعبير (٢) .

و (للحالة) هذه أشباه ونظائر في الآداب والفنون عند الشعوب المتحضرة ،
أشباه تتفق في البواعث وفي الأهداف ، ولكنها قد لا تتفق في مقدار توفيقها في تحقيق
هذه الأهداف ، وذلك من حيث قيمة ما تقدمه من جديد وطريف في عالم الابتداع
الأدبي والفني .

والادب العربي مر بمثل هذه الانتفاضات والثورات في مدارج تطوره ، ونذكر
منها على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر ، ما وقع للأدب العربي حين
استوى العصر العباسي وزكى هود ، إذ ثار على عبوس العصر الأموي السابق له ،
وعلى زهده في الترف والرفاهية ، إذ كان عصرا خشنا متقشفا بفعل الحروب
والفتوحات الإسلامية ، فإذا الأدب في العصر العباسي يتدع أدب الرسائل ، ويأخذ
بالرواء اللفظي وبالزخرفة في الأسلوب البياني ، ويفرق في الأخذ بالخيال ، كما يميل
إلى إعلاء العاطفة . - - - - -

الا أن هذه الثورة ، أو الانتفاضة لم تحمل اسم (نوع) يحدد معالم جوهرها
بحيث يميزها من غيرها ، واكتفى في تسمية هذه الحالات الثورية في عالم الأدب بأنها
مظاهر (تجدد) و (تطور) !!

وفي دفتنا الأخيرة نحو تعريب كل ما هو اجتبي ، أطلق بعضهم اسم (الابتداعية)
على هذه (الرومانسية) .

١ - لعل هذه الكلمة مشتقة من كلمة Romon وتعني قصة يغلب على صياغتها الخيال
وتتابع فيها الحوادث في سياقها مؤثرة بحيث تجتذب القارئ . الا أن هناك رأيا
ينص على أن كلمة Romon tisme مشتقة من كلمة ايطالية كانت قائمة وهي
Romon ticisme ومعناها « التجديد في الأدب بحيث يناشئ التيار التحرري
القائم » وقد استعمل الكاتب الفرنسي (استندال) Stendal هذه الكلمة ،
وهو من رواد الرومانسية ، وهو سابق على (هوجو) نفسه .

٢ - والثورة ، أية ثورة ، تقوم بالانفعال الشديد وبالهزة ، وبالحماس المتقد ، وكل
هذا يمهّد للعاطفة انطلاقات واسعة المدى تتحكم فيها وتسيطر عليها .

والاسم ، كما هو واضح ، يملأ السمع بتركيب حروفه ، ولكنه لا يملأ الذهن بمدلوله لان (الابتداع) ، انما هو درجة من درجات التفوق والتفوق في الخلق الأدبي والفنى ويصح أن تكون هناك مجالات ابتداع في أى مذهب أدبي ، قديما كان أو حديثا فليس مجال الابتداع ، والحالة هذه ، مقصورا على الرومانسية فحسب .

وافدات أجنبية :

ونعود الى هذه الرومانسية لنكشف عنها في جذورها وفي مقوماتها .

نقول ، أول ما نقول ، انها في نشأتها الأولى حركة أوروبية وافدة من الشمال وليست فرنسية مثل (الكلاسية) خاصة .

وقامت طلائع هذه الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر ، وقامت أول ما قامت في انجلترا (١) ، ثم في المانيا ، وزحفت بعد ذلك الى فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ، ثم امتدت الى ايطاليا فاسبانيا ، وعبرت البحر المتوسط الى الضفة المقابلة حيث تقوم أقطار من الشرق العربى .

ثم نقول انها قامت رد فعل لما كان يحكم الادب والفنون اذ ذاك من (كلاسية) ضارية منذ القرن السابع عشر ، أحالت الانتاج الفنى والأدبى وكأنما هو يصدر من قوالب لا تتغير ويتمشى فيها الجمود والتحجر .

وحيثما قامت هذه الحركة المضادة للكلاسية ، لم يكن همها الأول الا محاولة تحطيم ما هو قائم من الأوضاع ، وكان يعوزها المنهج ووضوح الهدف .

سئم الجمهور هذه الكلاسية .. فهو يبحث عن جديد ، وقد تفتحت واعيته لكل ما يجيء يحمل شيئا غير (كلاسى) ...

ويتتابع تدفق التيارات الأجنبية .. من الخارج .

ان (شكسبير) بشعره الحر الطليق ، وبوثباته المحلقة في سماء المعانى الرفيعة يدق بها أبواب القلب الانسانى ، وفي غير قوالب مفتعلة ومقاييسات محسوبة ...

١ - في قصص الروائى (ريتشارد سون) تنطلق الانفعالات جامحة تطفئ على صوت العقل ، وقد ترجمها الى الفرنسية الكاتب (الأبيه بريفوست) (Lobee Prevost) ثم أصدر هو قصته المشهورة (مانون ليسكو) متأثرا بالكاتب الانجليزى .

ونرى كذلك في قصص (فيلدينج) و (جولد سميث) حساسية مرهفة طاغية ومسيطر . وكل هذا ينافى الكلاسية ويرهص لشيء جديد يطل برأسه

وان (شكسبير) (١) أيضا بمسرحياته الخارجة على الوحدات الثلاث ، والتي تجمع في ثناياها ما يبكى وما يضحك ، وما هو قبيح وما هو جميل « وتجمعه في مزيج شهى » ...

وان المسرح الالماني تحت راية كاتبه المسرحى (شيلر) الذى تعتبر مسرحياته مرحلة انتقال ، اذ تؤلف الحلقة التى تصل بين المأساة الكلاسيكية ودرامات (شكسبير)

وان انتشار ماكتبه الناقد الالماني الكبير (وليم فون شليجيل) فى الأوساط الأدبية والفنية (٢) وهو يشيد اشادة بليغة ومؤثرة بمسرح (شكسبير) ويحاول أن يستخلص المقومات التى ستنهض عليها المسرحية الرومانسية

وان ماكتبه (استاندال) .. وهو أديب فرنسى ذو شأن - فى كتابه (راسين وشكسبير) (٣) وقد أخفض من شأن الكلاسيكية ، وقرر أن مسرحياتها لم تعد تتفق والمزاج العام الذى عليه الجمهور ، الامر الذى يدعو الى البحث عن قيم حديثة فى صياغة المسرحية وفى قالبها بحيث تروق الجمهور

وان ما جاء قبل كل ما تقدم ، مما أورده (جان جاك روسو) (٤) فى مؤلفاته (العقد الاجتماعى) و (الاعترافات) الخ ، وكله يدعو الى الثورة على الأوضاع القديمة والرجوع الى الطبيعة فى صفاتها وبساطتها

كل هذا ، شكل جبهة متماسكة تواجه الكلاسيكية لتنزل بها دقات عنيفة ، وتمهد الرأى العام لاستقبال شىء حديث .

١ - تعرف الفرنسيون الى شكسبير عن ترجمة بعض من مسرحياته ، ثم من الندوات والمحاضرات التى كانت تتتابع لتقديمه شاعرا ومؤلفا مسرحيا ، وكذلك عن طريق الفرق التمثيلية الانجليزية التى زارت باريس فى عام ١٨٢٢ ثم فى ١٨٢٧ وقد سخر الفرنسيون مما قدمته هذه الفرقة فى المرة الأولى ولكنهم اعجبوا به فى المرة الاخرى .

٢ - الكتاب يحمل عنوان (محاضرات فى الادب المسرحى) وقد ترجم الى الفرنسية عام ١٨١٤ .

٣ - قرر (استاندال) فى كتابه ان كلا من شكسبير وراسين كان رومانسيا فى عصره ، وذلك بالجديد الذى قدمه فى أعماله المسرحية ، وهو جديد كان يتفق ومزاج العصر ، الا ان راسين بقى أسير القيود الكلاسيكية ، هذا فى حين أن شكسبير حطم هذه القيود وقدم النماذج التى يسير عليها المسرح الحديث وقد تطور .

٤ - من أكبر الكتاب الفرنسيين فى الاجتماع (١٧١٢ - ١٧٧٨) .

والذى لا شك فيه ان الذى زاد من فاعلية هذه الدقات ، ان الجمهور كان مهيبا لاستقبال كل حديث ، بعد ان الف التغير المتتابع فى شئون السياسة وفى انظمة الحكم (١) .

والذى لا شك فيه أيضا ، ان الحالة السيئة التى كان عليها المسرح الفرنسى ، من حيث هزال مسرحياته ، جعلته يفتح ذراعيه مرحبا بما عسى ان تجيء به هذه الحركة الصاعدة .

الحدث الكبير

وخرجت (المقدمة) .. على قلم (فيكتور هوجو) كما سبقت الإشارة ..

وهى مقدمة مسرحية (كرومويل) تجمع فى بحث دقيق وشامل اشتات الآراء ووجهات النظر فى هذه الحركة لتستخلص القيم والاضاع لهذه (الرومانسية) ولتقيم نظريات يركز عليها هذا المسرح الصاعد .

بهذه المقدمة أصبحت (الرومانسية) مذهبا واضح المعالم ، ومدرسة ذات تعاليم لتدخل تاريخ الادب الفرنسى خاصة من الباب الكبير .

وماذا جاء فى هذه المقدمة ؟

أعتقد أن بعضا مما ورد فيها ، قد أجريت ذكره فيما تضمنته وأنا أعرف بالمؤلف وبالمسرحية إلا أنه جاء خطفا وعبرا ، وللإحاطة السريعة التى كان يقتضيها المقام . ولهذا لابد من رجعة الى ذلك .

لنفصل إذن ما أوردناه اجمالا ، من غير أن نتجاوز النطاق المحسوب لهذه المقدمة مؤكدين خصائص هذه الرومانسية وملامحها فى كتابة المسرحية .

الجمع بين النقيض

ان كلاسية القرن السابع عشر ، قضت بأن تكون المسرحية ، اما للمأساة والحزن واما للفكاهة والضحك خالصا ، وبأنه لا يجوز الخلط بين هذين الأمرين واجتماعهما فى وعاء واحد .

ويرى (هوجو) ان فى هذا القيد اعتسافا وتحكما وخروجا على مظاهر الطبيعة والواقع بل ان هذا القيد يتنافى مع ماركبته الفطرة فى الانسان نفسه ، الانسان الذى يؤلف المادة الاولى فى المسرحية .

فالانسان ، كما هو محسوس ، ولموس ، ومنصوص عليه فى العقائد السماوية ، جسم وروح أى هو مادة تفنى وعنصر لا يفنى !!

١ - سبق أن ذكرنا ان هذا القرن التاسع عشر شاهد ألوانا من انظمة الحكم من ملكية مطلقة ، الى أخرى دستورية ، الى نظام امبراطورى ، الى جمهورية !!

وفي ناحية من الانسان تحكم الفرائز السفلى والشهوات والجنس ، وفي ناحية أخرى منه نراه يحلق في أجواء من الرفعة والسمو الخلقى !!

هذا الانسان يبدو ، وكأنه يعيش بقدميه المغروزيين في الطين ، وبرأسه المرتفع يطالع به وجه السماء ، فهو السمو والتسفل ، وهو الرفعة والانحطاط ، في وقت واحد !!

بل ان الانسان في قلبه الشكلى يجمع بين الجمال والقبح

فالانسان والحالة هذه ، يتشكل من عناصر دائمة التناقض دائمة العارك ، ويبدو وكأنه مركب من عدة أشخاص يختلفون طبعاً ومزاجاً ، فالخلاف بينهم وسوء التفاهم لا ينتهى !!

وأعجب مما نقدم ، أنه من خلال اصطراع هذه المتناقضات وتعاركها ، يتشكل عنصر الانسان ، وهو الانسانية ، وتتألف التمثيلية الخالدة التي تتخذ من الانسان نفسه مسرحاً له !!

وإذا انتقلنا الى الطبيعة التي تحيط بنا ، وجدنا أن التناقض فيها يؤلف أحد قوانينها الاولى ، فهو قائم فيها على قدم وساق ، بحيث أن لكل شيء فيها ضداً ونقيضاً .

فالنور ، والجمال ، والدفع ، والسرعة يقابلها الظلام والقبح ، والبرودة والبطء ... والامثلة كثيرة ..

فانتفاء عنصر التناقض فيما تتضمنه المسرحية ، انما هو خيانة لما تجرى به الحياة ، وخروج بالمسرحية على الصدق الواقعي الذي هو أساس أولى في التأثير على الجمهور .

وبعبارة أخرى ، ان الجمع بين النقااض في كيان المسرحية هو السبيل لأن تشق طريقها الى أن تصبح مرآة للواقع وصورة منه (١) .

الدراما الرومانسية

وارتسمت الملامح الاولى للمسرحية الرومانسية وقد أطلق عليها (هوجو) اسم (الدراما الرومانسية) تمييزاً لها عن نوع المأساة التي تنصب كل حوادثها في قالب محزن ، قلما يضيء به شعاع من فكاهة .

١ - المذهب الواقعي R alisme الذي خلف الرومانسية انما هو فرع منها ، وحنية من حناياها ، ولكنها اكتسبت صفات جديدة بحكم التطور الزمني وبالخضوع لمقتضيات روح العصر ، وبعد أن تخلت عما في الرومانسية من ميل شديد الى اعلاء الجمال ، والاخذ بالتجميل ، والاغراق في الوشى والزخرفة .

واستعمال كلمة (دراما) (١) يجرى في هذا الصدد كاسم نوع للمسرحية ، وقد سبق (لشكسبير) أن أطلق هذا الاسم على مسرحياته الجديدة (٢) .

ويكاد الآن تتبلور أرض لتعريف أولى لماهية (الدراما الرومانسية) وذلك في ضوء ما أوردناه ، وهو قليل من كثير سنورده ، وينلخص هذا التعريف في أن هذه الرومانسية إنما هي في تركيبها مزيج من أكثر ما أخذ به الانجليزى (شكسبير) في صياغة المسرحية ، إلى جانب ما جرى عليه الألمانى (شيلر) وهذا المزيج يصطفق في وعاء تجمعت به خصائص المسرحية (الميلودرامية) التى قامت في المسرح الفرنسى في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وهى المسرحية التى تؤثر على الجمهور بمفاجأتها الكثيرة ومواقفها الحادة المفتعلة ، وينهايتها المفجعة .

ملامح أخرى

الا أن هناك ملامح أخرى ذات أهمية... وبها تستكمل هذه (الدراما الرومانسية) صورتها مضمونا وقالبا ، وتزداد بهذه الملامح اختلافا عن المسرحية الكلاسيكية .

ان الرومانسية ، وهى حماس متدفق فى الوجدان بفعل الارتواء فى أحضان الطبيعة ، تميل الى تغليب الانفعال على خطرات الذهن فى وضوحها واتزانها ، بأن تجعل للعاطفة الكلمة العليا فى (الفعل) بالمسرحية ، وفى سلوك شخصياتها بدعوى أن القلب أصل ، وأن الدهن فرع ، هذا وفى القلب تكمن الفرائز التى هى صاحبة كلمة عليا فى سلوكنا .

وان الرومانسية تركيبها نزعة تحررية من شأنها أن تجعل التعبير ينطلق حراً لا بتقليد صيغ موضوعه ، وقوالب مصنوعة . ان الطبيعة ، وهى مصدر الإلهام

١ - - المعنى الأصيل فى كلمة (دراما) Drama انه يفيد (الفعل) Action فيما تناوله ، فهى تؤلف فيه عنصر النضال والمناقرة ، لأنها مشتقة من الكلمة اليونانية Dromices التى تفيد هذا المعنى ، ومن أجل هذا ، أطلقوا هذه الكلمة وصفا للشعر الذى خرجت منه المسرحية أول ما خرجت ، وهو (الشعر الدرامى) بحكم أن المسرحية تقوم فى عنصرها الأول على (النضال) القائم بين شخصياتها لاختلافهم فى الخلق وفى وجهات النظر الى ما يجرى به موضوع المسرحية وباعتبار أن المسرحية حركة وفعل وليست سردا مسطحا ووصفا .

٢ - - وقبل شكسبير أطلقوا (الدراما الدينية) Dromo Lituegrgue على المسرحيات التى كان يقدمها (المسرح الدينى) فى القرون الوسطى بأوروبا . بل ان لهذه الكلمة مدلولاً آخر فى المسرح الإغريقى ، اذ هى تحدد نوعاً من المسرحية ، كان يقف الى جانب المأساة والفكاهة وهو نوع (الدراما الساتيرية) وهى مسرحيات تجمع من أخلاط من الحزن والفكاهة .

لا تفرض علينا قوالب وأشكالا حينما نستقى منها .. وان الطبيعة فطرتنا ولكل منا
قلبه ومزاجه !!

ان الرومانسية لا تقبل (الانقيادية) وتأبى السير في الطريق المضروب .

فالرومانسية بهذا تعلى شأن (الذاتية) في الانتاج الادبي الفني ، واعلاء الذاتية
ينقلب الى لون من (عبادة الفرد) .

والرومانسية تجعل للمخيلة - وهى مثل الذهن والاحساس من ملكات النفس
ومن قدرات الخلق الفني - المقام الأول في تناول موضوع المسرحية وفي معالجته ، ثم
في تحليل شخصه ، والخيال - وهو ابن المخيلة - خداع يتملص من قبضة المنطق ،
ما لم يقم عليه من جانب الذهن حارس يقظ يكبح جماحه . ولهذا فكثيرا ما يقع أن
يجيء سلوك شخص المسرحية ، وهم يدورون في حوادثها ، على وجه يعوزه المنطق
السليم وسلامة الادراك ، وان كان لا يعوزه البهاء ، ووسامة الطلعة .

والرومانسية تستقى مواضيعها من التاريخ الأوروبى ، في العصرين الوسيط
والحديث ، وليس من التاريخ القديم ولا من الاليادة والأوديسة ، ومنابع الأدب
اللاتينى . وبهذا تجيء مسرحياتها تجمع ألوانا من الصبغة الاقليمية والمحلية .

والرومانسية تنزع نزعة جمالية في رسم الواقع لأنها تتوخى دائما الابتكار وتسعى
اليه ، والابتكار يخلق الجمال ، بل هى تغلو في التجميل وفيما يصاحبه من وشى
وزخرفة ، ولعل السبب اللاشعورى ، هو ما يحمله الأدب الكلاسى من أسباب الجهامة
ولا نقول القبح !!

والرومانسية في معالجة الموضوع تحرص على أن تجعل أحداثه تجرى فوق المسرح
(فعلا) وفي مناقرة ، أى في أخذ ورد ، وليس حكيا يسرده بعض شخص في المسرحية
أقحموا اقحاما عليها لأجل هذه الغاية .

والرومانسية ، في موقفها من (الوحدات الثلاث) تضرب بوحدة الزمان والمكان
عرض الحائط ولا تبقى الا على (وحدة الموضوع) .

ان كلاسية القرن السابع عشر (١) كانت تحكمها نزعة قوية الى الاستقرار
الدائم .

وقد تأتى من الأخذ بوحدة المكان أن المسرحية الكلاسية لم تكن تعنى به بالمناظر
المسرحية وبمبهماتنا ، بحكم أنها تجرى في منظر واحد ، فجاءت المسرحية الرومانسية
على تقيض هذا ، أى جاءت مليئة بالحركة ، غنية بالاستعراض ، وبما يثرى متعة
النظر .

١ - الكلاسية القديمة لدى الاغريق والرومان ، لم تلزم الكتاب بالأخذ بوحدة
الزمان والمكان . ان هذا الالتزام من صنع كلاسية القرن السابع عشر التى أرسى
قيودها وقوالبها الشاعر (بوالو) كما هو معلوم .

والشعر ، وبه يجرى حوار الدراما الرومانسية ، جاء سلما وعلى مرونة واسعة المدى ، بحيث يستطيع الشاعر أن يتنقل بسهولة بين المواقف التي تختلف طبيعة ومعنى ، وأن يجرى فيها حرا بعد أن أصبح غير مقيد بنظام (المقاطع) (١) الكلاسيكية التي كانت تعوق الشاعر عن الانطلاق في التعبير .

هذا والحوار يكشف في الوقت نفسه عن كلمات واسمارات حديثة لم تكن معروفة لدى القدامى ، أو هي على الأقل لم تكن تحرى على أقدامهم .

الرومانسية في عنفوانها

ولم تشمل الرومانسية الشعر وكتابه القصة وغيرهما من ألوان الأدب فحسب بل امتدت الى فنون التشكيل (٢) ، والى الموسيقى ، والى النقد الأدبى ، والى المصنفات التاريخية .. الخ .

وليس هذا بالأمر المستغرب ، لأن الرومانسية مذهب ، ومزاج عام ، وأسلوب في التعبير قضت به روح العصر الذى يضع بصماته على كل ما يقع عليه الحس .

هذا ومن الملحوظ أن الأسلوب الرومانسى نفسه قد يخلف في منواله - وليس في جوهره طبعاً - باختلاف أصحابه ، بحكم أن لكل منهم طبعاً يخالف طبع الآخر .

فالى جانب (فيكتور هوجو) من كتاب المسرحية والقصة يقف (لامارتين) بقصصه وتأملاته وشعره ، ثم (ألفريد دى فينى) بمسرحيته شاترتون و (ماريشال دانكر) . ثم (اسكندر دوماس الاب) بمسرحيته كين وفوضى العبقريّة و الملك هنرى الثالث وبلاطه ثم بقصصه .

و (ألفريد دى موسيه) بمسرحيته لورانزاسيو ، وهو ليس الأخير من الكتاب الرومانسيين إذ أن هناك كتاباً يؤلفون الصف الثانى والثالث .

ولكل من هؤلاء في انتاجه الأدبى ، ما يميزه عن غيره .

الرومانسية مجازاً

وتجاوز كلمة (الرومانسية) مدلولها اللغوى والاصطلاحي ، تجاوزتهما الى

١ - هي أشطر البيت من الشعر .

٢ - ففي التصوير برزت أسماء (ديلاكروا) و (جيريكو) و (جرو) وبفرشاتهم استقبل فن التصوير مرحلة جديدة من حيث التقنية في الانشاء وفي التلوين ، وفي مصادر الاستلهام . وفي الموسيقى اندفعت الألحان مجنحة في سماء الخيال ، وهى تن وتضحك في انفعالات عنيفة ، وجاءت تلاحين أوباً (لعنة فوست) للموسيقار (برلبوز) انموذجاً للموسيقى الرومانسية ، وفي النقد الأدبى والفنى ، قدم (سانت بييف) ألواناً من وجهات نظر نقدية تحمل من الرومانسية تحررها وجرأتها ونزعته الى التجديد . وصنف (ميشيليه) في التاريخ متأثراً بهذه الرومانسية .

المدلول المجازى ، فصارت تعبر عن حالات خاصة فى التفكير ، وفى العواطف ، وفى السلوك ، وفى المظهر ، وفى أزياء الحياة وفى اللباس أيضا !!

وقد تختلف هذه الحالات من حيث النوع ، ولكنها لا تختلف من حيث ما تكون عليه من صفات ، ترجع كلها الى الجوهر واللباب الذى عليه هذه الرومانسية .

ونضرب على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

(فرومانسية التفكير) تعنى نزعة فى التفكير تجنح الى التحليق فى أجواء الخيال وازدراء الواقع

(ورومانسية الحب) يقصد بها الحب وقد أصبح طاغيا وغلابا بعنف انفعالاته .. وقد يقصد بها الحب فى أخيلته الجميلة وفى دفء أحاسيسه ..

(ورومانسية) الأسلوب البيانى ، أن يجرى الأسلوب بحيث يعلى الزينة اللفظية والصور العاطفية على أى عنصر آخر .

والقائمة تطول .. والكلام لا يفرغ عن هذه (الرومانسية)

وهناك من يذهب فى تقويم الرومانسية الى القول بأنها قضية من قضايا الانسان ، هى قضية التحرر والاطلاق واغفال ما هو قائم من الأوضاع ، حتى تستطيع النفس بما أوتيت من ملكات وقدرات أن تدق باب المجهول لنطالع الحقيقة الكامنة فى (اللامأ وراء) .

وكأنى به يريد أن يقول أن الرومانسية ، هى التطور والارتقاء ، هى التجدد ، وهى الطموح الانسانى الذى لا يعرف الحدود .

٤ - الرومانسية فى الأدب وفى المسرح المصرى

جاءت الرومانسية الى الشرق العربى ضمن الوافدات القادمة من أوروبا ، وهى تيارات تحمل جديدا فى أساليب التفكير ، وفى الذوق ، وفى انسلوك وفى أزياء الثياب ، والموضوعات العامة .

وجاءت فى أواسط القرن الماضى ، وكان الشرق العربى عامة ، ومصر خاصة ، متعطشة الى ما يحمل جديدا يعمل على تطوير ما كانت آخذة بأسبابه ، من حيث احياء التراث العربى ومراجعته . فسرعان ما شملت هذه الرومانسية الوجود العربى فى انتاجه الأدبى والمسرحى أولا ، بعد أن نسجت تأثيرها على الحياة العربية نفسها ، بحيث أصبحت تؤلف خلفية لهذا الانتاج .

اكتسبت الرومانسية ، فى أول الأمر ، أرضا الى جانب حركة احياء القديم من الأدب العربى ، ثم أخذت بعد ذلك تنازع هذه الكلاسية العربية وتدفعها من وعى الجمهور وتعالى للشعر الرومانسى ، خاصة ، أعلاما ورايات .

في الشعر العربي

وسبق الى هذه الرومانسية ، الأولون من الأدباء ، سبقا غير محسوب ، ثم توارد عليها شعراء المهجر الأمريكى (١) في العقد الأول من هذا القرن ، وفي نفس الوقت برزت خصائص هذه الرومانسية في الشعر العربي المصرى . على أقلام شعراء (الديوان) (٢) .

وصاحبت هذه الحركة فيوض من المترجمات (٣) عن الأدب الرومانسى بفرنسا وإنجلترا وألمانيا خاصة ، تقدم نماذج من هذا الأدب ، وتدعو الى فرض خصائصه على الأدب العربى الصاعد .

وبلغ الشعر الرومانسى في الأدب العربى حدا بعيدا من النضج في أوائل الثلاثينات .

وصدوت مجلة (أبولو) (٤) تفيض بآراء جريئة تستهدف تطوير الشعر العربى في ظل هذه الرومانسية ، وتنادى بغيام (الشعر الحر) الطليق من القافية ، وهو الشعر الذى كتب به شكسبير مسرحياته .

واتخذ القدامى ، وهم الكلاسيون ، موقف العداء من هؤلاء المحدثين ، وقامت معارك قلمية - ما برحت لها اصداء حتى الآن في أذهان الناس .

في القصة والصحافة

واخذت القصة المصرية الناشئة سَمتَ هذه الرومانسية، وتركت تلك الكلاسيبة التى أصدرت من قوالها قصصا كثيرة ، لعل أشهرها ، قصة (حديث عيسى بن

١ - في مقدمتهم أمين الريحانى ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وكلهم من الشام .

٢ - وهم ابراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى ، وعباس محمود العقاد وكانوا أصدروا ، الى جانب انتاجهم في الشعر ، دوريات نقدية أطلقوا عليها اسم (الديوان) هاجموا فيها الشعراء الكلاسيين المعاصرين . وفي مقدمتهم الشاعر (أحمد شوقى) .

٣ - ترجم (محمود السباعى) الكثير من شعر (لورد بيرون) خاصة وهو الشاعر الانجليزى الذى كان معاصرا (لهيجو) كما - ترجم (محمد كامل حجاج) ألوانا من الشعر الرومانسى كما جاء على يراعة (هيجو) وزملائه في فرنسا ، وكما جاء من الشعراء الرومانسيين في ألمانيا وإيطاليا وظهرت هذه المجموعة في كتاب يحمل عنوان (بلاغة الغرب) في العشرينات من هذا القرن .

٤ - أصدرها الدكتور الشاعر (زكى أبو شادى) عام ١٩٣٢ تتضمن نماذج من شعر شباب ناثر على الكلاسيية ، نذكر منهم أبو شادى نفسه ، والصيرفى وعلي محمود طه ، وابراهيم ناجى ، ثم أبو القاسم الشابى من تونس .

هشام) فلمويلحي ، و (ليالى سطيح) للشاعر الكلاسي ، حافظ ابراهيم .

وفي أوائل الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) جاء أول عطاء للرومانسية في القصة المصرية على قلم الدكتور (محمد حسين هيكل) بقصته الطويلة (زينب) وعلى قلم (محمد تيمور) في قصته (مآثره العيون) ويجيء عطاء بعد عطاء وكل منه يشق أفقا جديدا للقصة وذلك في المضمون الثائر على التقاليد والمواضعات ، وفي الأسلوب البياني الذي ترك السجع ، وأزرى بالمحسنات البيانية .

وقبيل هذه الحرب أصدر (أحمد لطفى السيد) صحيفة (الجريدة) مكتوبة بأسلوب بياني سهل مشبوب الوجدان يحمل مضمونه من الرومانسية كل جراتها وتحريها في تحطيم الأوضاع الاجتماعية فتنادى بسفور المرأة العربية وبتحررها ، ودعا الى احياء (الصبغة المحلية) المصرية في جميع قطاعات الحياة .

الرومانسية في المسرح

ولعل هذه الرومانسية الوافدة وجدت في المسرح العربى أخصب مجالاتها .

كان المسرح العربى المصرى فى أواخر القرن الماضى يكابد حالة مفزعة من الجمود ومن الكساد ، بعد الموجة الاولى التى جاء بها (الثلاثة الكبار) (١) من رواد المسرح العربى ، جمود فى كتابة المسرحية بعد أن استنفدت وسائلها فى الاقتباس عن المسرحيات الأوروبية ، وكلها من المسرح الكلاسي فى القرن السابع عشر (٢) ثم كساد فى اقبال الجمهور على حفلات التمثيل ، مأتاه السأم من مشاهدة مسرحيات تصدر كلها من قالب واحد ، وتغلب عليها نزعة الى الوعظ والارشاد ، والى تمجيد العقل والتعقل والحفاظ والتحفظ ، هذا والرجال يقومون بأدوار النساء فوق المسرح !! هذا والحياة المصرية تهزها هزا عنيفا يقظة قومية مأتاها الثورة العمرانية (١٨٨٢) وما خلفته وراءها من يقظة تتطلع الى حال غير الحال القائمة .

وبهذا كان المسرح المصرى مهيشا كل التهيؤ لاستقبال ما يدخل عليه جديدا من شأنه أن يدفع بالماء الراكد فيه الى الجريان .

١ - وهم مارون النقاش ، وهو أول من قدم مسرحية باللسان العربى ، هى (البخيل) عام ١٨٤٨ فى بيروت ، واليه ترجع المبادرة الاولى فى اقامة مسرح عربى ، ثم (يعقوب بن صنوع) وشهرته ابو نظارة ، واليه يرجع أمر انشاء أول فرقة مصرية تقدم مسرحيات ذات صبغة محلية مصرية ويجرى حوارها بالعامية (١٨٧٠) ثم (ابو خليل القباني) الذى يعتبر الاب الشرعى للمسرحية التاريخية العربية .

٢ - الاكثرية الغالبة من هذه المسرحيات مقتبسة من مولير ، وكودنى ، وراسين .

هرنانى - حمدان

كان أول عطاء رومانسى فى المسرح المصرى هو (هرنانى) ولكن بعد أن أجرى تعريبها الشيخ نجيب الحداد وأطلق عليها اسم (حمدان) (١) وأجرى حوادثها فى الأندلس ، وهى أسبانيا الإسلامية .

ولانت هذه المسرحية المصرية نجاحا كبيرا فكار أن أجرى نفس الكاتب تعريب (٢) مسرحية (الفطريف) (وأسمائها (ثارات العرب) وجعل حوادثها تجرى بالجاهلية ، وفى شمال الجزيرة العربية ، حيث تتاخم الأرض العربية مقاطعات بيزنطية .

وتتابعت جهود هذا الكاتب فى تقديم مسرحيات أخرى (لهوجو) أجرى ترجمتها ، ولم يعرب واحدة منها ، وهى مسرحيات (مارى تيودور) و (ليكريس بوجيا) و (أنجيلو) .

وواضح أن مسرحيات (هوجو) نالت إعجاب الجمهور ، بدليل أن المسرحيات التى لم يتناولها قلم (نجيب الحداد) قد ترجمت بعد ذلك ، وهى مسرحيات ماريون دى لورم و الملك يلهو و روى بلاس ، وذلك فى العشرينات من هذا القرن وقدمتها الفرق المصرية (٣) كما ترجم هرنانى الشاعر خليل مطران فى الثلاثينات (٤) .

ولا شك فى أن ما تضمنته هذه المسرحيات من حركة نشطة فى تتابع الأحداث ، ومن حبكة قوية فيها ، مع ما يحيط بها من مواقف حادة ومفاجآت مؤثرة ، كل هذا يؤلف سببا له فاعلية فى أقبال الجمهور على هذه المسرحيات ، هذا الى جانب ما يتمشى فيها من نزعة تحررية ، ودفع الى التجدد والتطور ، وهو دفع كان الجمهور يستجيب اليه فى مختلف مظاهره .

وهناك مترجمات لمسرحيات رومانسية لكتاب آخرين . ولعل أهم هذه المترجمات هى شاترنون لافريد دى فينى ، وكين أو فوضى العبقريّة لدوماس الأب . .

١ - اخذ هذا الاسم مكان اسم (هرنانى) .

٢ - التعريب ، هو أن يضيف المترجم على المسرحية مسحة عربية واضحة تشمل أماكن وقوعها ، وحوادثها ، وشخصياتها بحيث تبدو كأنها (عربية) والتعريب لون من الاقتباس تسوده الصبغة المحلية العربية .

٣ - لا أعرف أن فرقة من المحترفين أو الهواة قدمت مسرحية (كرومويل) . والأسباب معروفة وقد أحطت بها فى تقديم مسرحيتنا هذه (هرنانى) .

٤ - ترجمها الشاعر الكبير بتكليف من رواد وزارة التربية بناء على اقتراح لمعهد التمثيل الحكومى التابع لها ، بترجمة بعض روائع المسرحيات العالمية ترجمة نموذجية فى عام ١٩٣١ .

وهناك مترجمات لمسرحيات الصف الثانى والثالث من الكتاب الرومانسيين فى فرنسا وفى إيطاليا خاصة ، نظرا الى تقارب المزاج اللاتينى من المزاج العربى
ثم مترجمات مآسى وفكاهيات (وليم شكسبير) الذى يصح أن نعتبره الرائد الأسبق للرومانسية المسرحية

ويطول بنا المقام اذا أزمعنا أن نتقصى آثار هذه الرومانسية فيما يقدمه المسرح العربى من مسرحياتها المترجمة ، وحسبنا أننا أحطنا بالأهم مما خرج منها فى القرن الماضى .

التأليف فى المسرح العربى

وكان أمرا طبيعيا أن تتأثر المحاولات الأولى فى التأليف المسرحى العربى بهذه النزعة الرومانسية . بل ان المسرحية الأصلية التى تبلور لها كيان خلال الحرب العظمى وفيما بعدها نراها تستمد معينها من هذه الرومانسية ، من حيث الصياغة والمنوال .

والملاحظ أن أكثر الانتاج فى كتابة المسرحية عندنا حتى الآن ينزع نزعة رومانسية تختلف صراحة وخفاء ، هذا فى حين أن بعضه يتجه نحو الواقعية ، التى هى وجه من وجوه الرومانسية ، كما سبق أن أشرت ، وأقله يخضع لقيم المذاهب الأخرى من رمزية وتأثرية الخ . .

الا أن الرومانسية القائمة الآن - ويطلقون عليها ، اسم أصبحت تتسم بما يكون عليه السيل وقد ابتعد عن منحدره ، فهى التزام بأن تقصر همنا الأول على الجوهر والصميم فيما نتناوله ، وأن ننصرف عن الهيمان فى الجوانب ، وأن نعلى الجوانب المادية . وقد قامت هذه النزعة بتأثير تغير المزاج العام تحت ضغط التقدم العلمى واملاء الوعى به ، ثم بتأثير عامل السرعة وسيطرة النزعات المادية .

فن الممثل وفن المناظر المسرحية

وكان أمرا مقضيا أن يتأثر فن الممثل العربى . . باعتباره جزءا من كل . . . من فنون المسرح .

ان النزعة الكلاسية التى كانت تضى على أداء الممثلين طابع الاتزان ، والاعتدال فى اصدار الصوت والحركة

وان محاولة الممثل ، وهو يبتدع دوره أن يجرى على نمط أستاذه أو سلفه فيه

كل هذا أخلى مكانه لقيام تقاضى له . .

انفعالات جامحة تحطم كل شكينة لردّها .. صرخات تعلو حتى الحشجة ،
بحلقة في النظرات ، ودق على الصدر ... (داتية) مندفعة ، تنشد النحر من كل
شيء ، وتبغى تحقيق ابعاد الغايات ، ولكن قبل أن تستكمل عناصر كيائها ومقومات
قدراتها .. انها رومانسية مخبورة .

ثم جاءت في أعقاب هذه الحالة الخشنة في فن الأداء التمثيلي ، رومانسية مهذبة
مصقولة تصدر عن مقاييس ، وتحاول أن تجعل للذعن دخلا في ضبط قدراتها وتنسيقها
على الرغم من انطلاقات الانفعالات المشبوبة التي كثيرا ما تتألق في اصدار الصوت ،
بعد اختيار حاذق في نبراته الندية المؤثرة ، وذلك على حساب ما تعبر عنه هذه
النبرات الصوتية ، وهو شخصية الدور الذي يؤديه الممثل ..

ان النزعة الجمالية غالبة في هذا اللون من الأداء ، وهي في الأسلوب وليس في
المضمون .

وبهذا قامت (المدرسة الصوتية) في الأداء التمثيلي بالمرح العربي في
العشرينات ، وهي مدرسة ، كما ترى ، تعلو الأداء الصوتي والحركي ، على الخلق
الفني للدور ، أي هي مدرسة تعلو الأسلوب على المضمون ، مدرسة شعارات .

وعلى هذا النمط جاءت المناظر المسرحية ، والاضاءة والملابس ، فهي في
تصويرها ، وفي تنظيمها ، وفي تركيبها وخطوطها ، تنزع الى تجميل الواقع ، واقع
المسرحية ، من غير أن يكون هناك داع .. يدعو الى الأخذ بكل هذا .. فهي تقدم
اطارا يمتع العين ويسر خاطر لاكثر !!

وحيثما تكون هذه المناظر للمسرحية التاريخية ، فان مصورها يفرط ، مع أخذه
بالنزعة الجمالية ، في احياء الصبغة المحلية والتاريخية بحيث نجىء هذه المناظر ،
وكأنها صورة من الواقع التاريخي ..

الا أن كل هذا قد تطور بعد ذلك بفعل تغير المزاج العام والامتلاء بمفاهيم المسرح .

وهكذا يتضح أن الشعوب العربية تشد كثيرا على يدي هذه الرومانسية ، وذلك
بحكم مزاجها المشبوب ، وبفعل ما يختلج به وجدانها من ميول قوية الى تحطيم القيود
والى الخروج على القوالب القديمة .. انها شعوب نتطلع الى غد أفضل في أنظمة
الحكم ، وفي مواضع الاجتماع ، ثم في تقويم ذاتيتها بحيث تكون للفعل أكثر مما
تكون للقول .

الكويت ١٥/١٢/١٩٧١

ہر سانی

تألیف : فیکنور ہیجو
ترجمہ و تقدیم : زکی ظلیماٹ

العنوان الأصلي للمسرحية

VICTOR HUGO

H E R N A N I

drame

Classiques Larousse

شخصيات المسرحية

Hernani	* هرنانسي
Don Carlos	* دون كارلوس
Don Ruy Gomez De Silva	* دون روى جوميز
Dona Sol De Silva	* دونيا سول دى سيلفا
Le Duc De Baviere	* دوق بفاريا
Le Duc Gotha	* دوق جوتا
Le Duc De Lutzelbourg	* دوق لوتزلبورج
Don Sancho	* دون سانشو
Don Matias	* دون ماتياس
Don Ricardo	* دون ريكاردو
Don Garci Suarez	* دون جارسى سواريز
Don Francisco	* دون فرانثيسكو
Don Juan De Haro	* دون جوان دى هارو
Don Gil Tellez Giron	* دون جيل تيليز جيون
Premier Conjuré	* المتآمر الأول
Un Montagnard	* أحد رجال الجبل
Dona Josefa Duarte	* دونيا جوزيفا دورات
Une Dame	* إحدى السيدات
Conjares	* المؤتمرون
Montagnards, Seigneurs Soldats, Pages, Peuple	جيليون - سادة - حاشية وصفاء

((زمن المسرحية ومكانها))

- * اسبانيا عام ١٥١٩ •
- * تجرى حوادث المسرحية ابتداء من شهر فبراير الى حلول فصل الصيف من العام نفسه •
- * توفي الامبراطور ماكسميليان في ١٥ يناير ١٥١٩ •
- * وجرى انتخاب خلفه في ٢٨ يونيو ١٥١٩ •
- * وبهذا يمكننا أن نؤرخ على وجه التقريب ، فصول المسرحية على النحو الآتى :
- الفصل الأول والثانى يجرىان فى شهر فبراير •
- الفصل الثالث فى شهر ابريل
- الفصل الرابع فى شهر يونيو
- الفصل الخامس فى شهر أغسطس •

الفصل الأول

الملك - في مدينة سرقسطه

غرفة نوم . بالليل . مصباح على منضدة .

المشهد الأول

دونيا جوزيفا

دوارت

: (امرأة عجوز ترتدى السواد وقد وشى ثوبها في
قسمه الأعلى المحيط بالصدر بحجارة من الكهرمان
الاسود تبعا للزى الذى كان للملكة ايزابيلا
الكاثوليكية .)

دونيا جوزيفا

: (وهى تسدل الستائر القرمزية على النوافذ ثم تجرى
تنظيم قطع من الأثاث . وتسمع طريقة على باب
صغير قائم في الناحية اليمنى من المنظر . فتنصت
دونيا جوزيفا ، ثم لا تلبث أن تسمع طريقة أخرى
من نفس الناحية)

أىكون هو القادم ؟

(طريقة أخرى)

ان الطرق قادم من السلم الخفى

(طريقة رابعة)

لنسرع بفتح الباب

(يفتح الباب الصغير المختفي في الجدار . يدخل
دون كارلوس وقد أخفى وجهه بوضع أحد
أطراف عباءته فوق أنفه وأسدل أطراف قبعتيه
على عينيه)

طاب يومك أيها الفارس الوسيم .

(توسع الطريق للقادم فيدخل ، ويزيح العباءة
فاذا هو يبدو في حلة ثمينة من المخمل والحرير
على الزى الشائع في قشتالة عام ١٥١٩ . وتحقق
دونيا جوزيفا في وجهه لتراجع في دهشة)
ما هذا ! ! أأنت السيد هرناني ؟ الغوث . .
النجدة

دون كارلوس : (وقد أمسك بذراعها) كلمتان أكثر مما تكلمت
أيتها الوصيقة ، وتصبحين في عداد الموتى .

(تحقق دونيا جوزيفا في وجه القادم وقد عقد
الفرع لسانها)

أأنت في حرم دونيا سول ، خطيبة دوق باسترانا
الهرم ، عمها ، السيد الجليل الغيور ؟ أجيبي . .
قولي ان الحسناء ملهقة في حب فارس لم ينبت بعد
شاربه . . هي تستقبله كل مساء ولا تعباً بعيون
الوشاة والحساد . . تلقى هذا الفارس الوسيم الذي
لم تستو له لحية بعد ،

من خلف حليمة الشيخ الهرم ، ولا تبالي بشي .
ألست واثق العلم فيما أقول ؟

(تلزم دونيا جوزيفا الصمت فيهنها دون
كارلوس من ذراعها)
أحسبك ستجيبين . .

دونيا جوزيفا : جعلت محظورا على أن أنطق بكلمتين
دون كارلوس : لهذا لا أطلب الا كلمة واحدة . . نعم ، أولا ؛
ان مولاتك هي دونيا سول دي سيلفا ؟ أجيبي

دونيا جوزيفا : نعم ، ولم ؟
دون كارلوس : لا شيء — والدوق خطيبها الهرم ، هل هو غائب
الساعة ؟

دونيا جوزيفا : نعم
دون كارلوس : هي اذن تترقب فتاها ؟
دونيا جوزيفا : نعم
دون كارلوس : لي الويل ولهاك !
دونيا جوزيفا : نعم
دون كارلوس : أيتها المربية . . اذن هنا ، في هذا المكان يكون
اللقاء .

دونيا جوزيفا : نعم .
دون كارلوس : خبثيني في مكان ما ، هنا .
دونيا جوزيفا : انت ؟

دون كارلوس : أنا .

دونيا جوزيفا : ولماذا ؟

دون كارلوس : لا شيء .

دونيا جوزيفا : أنا أخبئك ؟

دون كارلوس : هنا .

دونيا جوزيفا : لن يكون هذا .

دون كارلوس : (يخرج من حزامه خنجرا و كيس نقود) تنازلى
يا سيدتى بالاختيار . . هذا الكيس ، أو هذا
الخنجر ؟

دونيا جوزيفا : (وهى تلتقط الكيس باحدى يديها) أنت الشيطان
بمينيه .

دون كارلوس : نعم أنا هو يامربية .

دونيا جوزيفا : (تفتح باب خزانة داخلية في الجدار) اختبئ هنا

دون كارلوس : (وهو يتفحص المخبأ) هذه العلبة ؟

دونيا جوزيفا : اذن اخرج من هنا اذا لم ترد .

دون كارلوس : (وهو بعيد فتح باب المخبأ) بلى . (وهو
يتفحص المخبأ مرة ثانية) أياكون هذا اصطبيل
جوادك كلما خبأت عصا^(١) مكنستك وانت
تنتقلين بها في الفضاء . . اساحرة ؟

(وهو يحشر نفسه داخل المخبأ) أوف ! !

دونيا جوزيفا : (وهى تفرك يديها كمن ستنكر الأمر الذى

١ - من الشائع في عالم السحر والسحرة ، خرافة مفادها أن بعض الساحرات ينتقلن
من مكان إلى آخر على الهواء وهم ركوب على عصا المكنسة .

تورطت فيه) رجل هنا يا للفضيحة ! !
دون كارلوس : (وقد استوى داخل المخبأ) أكانت مولاتك
تنتظر قدوم امرأة ؟
دونيا جوزيفا : يا الهى . . اسمع وقع أقدام دونيا سول . سيدى
أسرع وأغلق الباب
(وتدفع باب المخبأ فينذاق)
دون كارلوس : اذا بدرت منك ريبة بامرئية ، فأنت مائتة .
دونيا جوزيفا : (منفردة) من الرجل ؟ يا الهى . . ألا أطلب
النجدة ؟ ممن ؟
كلهم نيام أهل القصر فيما عداى وسيدتى . .
أوه . . ولكن سيحضر الآخر صاحب الأمر فيما
نحن فيه . . ومعه سيفه الطويل . احمنا يا الهى
من عذاب النار . (وهى تزن كيس النقود بين
يديها) ومع كل هذا . . فليس الرجل لصا . .
(تدخل دونيا سول تختال في ثوب أبيض فتخبيء
دونيا جوزيفا الكيس بين طيات ثيابها)

المشهد الثاني

دونيا جوزيفا — دون كارلوس « المختبئ » — دونيا سول

ثم هرمانى

دونيا سول : جوزيفا . .
دونيا جوزيفا : سيدتى . .
دونيا سول : أخشى وقوع مكروه . . كان يجب أن يكون هرمانى

هنا الساعة !! (يسمع وقع أقدام من ناحية الباب الصغير)

ها هو ذا مقبل . . افتحي الباب قبل أن يذوقه . .
اسرعى ، هيا ، بادري . .

(تفتح جوزيفا الباب الصغير ويدخل هرناني ،
هو فارس متدثر في عباءة فضفاضة وعلى رأسه
قبعة كبيرة ، ويبدو تحت عيائه زى أهل الجبل
مما هو شائع بين سكان أراجون ، له لون رمادي ،
هذا وقد غطى الفارس صدره بدرع من الجلد
وشد السيف والخنجر وبوقا من أبواق الصيد
إلى حزامه ، فتجري نحوه دونيا سول)
هرناني .

هرناني : دونيا سول . . أخيرا أأنت أرى ؟ أهذا الصوت
الذي أسمع هو صوتك ؟ لماذا تعمل الأقدار على
أن تباعد ما بيني وبينك شد ما أنا في حاجة إليك
لكي أنسى الآخرين !!

دونيا سول : (وقد لمست ثيابه) يا إلهي . . ان عباءتك تسيل
ماء !! ان المطر شديد ولا شك ؟

هرناني : لا أدري .

دونيا سول : لا بد انك تحس البرد

هرناني : ما أهون أمره !!

دونيا سول : اخلع هذه العباءة في الحال .

هرناني : دونيا سول . . يا حبيبتي وميتيتي . . نبشني ، اذا

ما أقبل الليل . ودب النوم في عينيك فاستسلمت
اليه وغبت عن الوجود ، يخف بك سكون وبراءة
وطهر ، بعد أن باعد النوم ما بين شفتيك ، وقرب
بأصبعه ما بين جفنيك ألا يهيب بك صوت من
ملاك يقول : كم أنت مؤنسة وعذبة للبائس
الذي هجره كل الناس ، فصار للوحدة والوحشة؟

دونيا سول : لم جئت متأخرا يا مولاي ؟ . . ولكن نبشني ،
أشعر بالبرد ؟

هرناني : أنا ؟ أنا أشتعل وأحترق حينما أكون قريبا منك .

آه . . حينما تغتلي في رؤسنا تباريح الحب والغيرة
حينما تتورم قلوبنا بفعل ما يصطخب فيها من
أعاصير الجوى . . فما أيسر أمر سحابة يؤلفها
الهواء لترسل فوق رؤوسنا — ونحن نعبر الطريق —
بروقا ورعودا !!

دونيا سول : (وهي تخلع عنه عباة) هيا أعطني العباءة
وناولني السيف

هرناني : (ويده على قبضة سيفه) إلا هذا ، هو صديقي
الآنخر الأمين الذي لا يوارب .

دونيا سول ، خبريني ، هل الدوق الهرم —
عملك ، وزوجك المقبل — مازال متغيبا ؟

دونيا سول : نعم . . ان هذه الساعة لنا .

هرنانى : هذه الساعة !! هذا كله ما نملكه ، ليس لنا الا

هذه الساعة ، نعم وبعدها ماذا يهم؟ ليس أمامنا الا
أن ننسى هذه الحقيقة ، أو أن نموت .

أيها الملاك ، الا إن ساعة الى جوارك . ساعة
واحدة ، لتساوى في الحق الحياة كلها لمن
يشتهيها ، ولا يهم أن يجيء الموت بعدها .

دونيا سول : هرنانى .

هرنانى : ما أشد فرحى أن يغادر الدوق القصر !! انى -

كلص ينتفض فزعا وهو يقتحم أحد الأبواب -
أدخل اليك ، وأمثل بين يديك لأستلب الشيخ
ساعة من سحر لفظك وأنس نظرتك . انى بهذا
جد سعيد ، بل جد محظوظ ، وارانى أهلا لأن
يحسدنى كل الناس ، اذ أستلب هذه الساعة ، ولو
دفعت حياتى ثمنا لها

دونيا سول : تمالك نفسك (تسلم العباءة الى دونيا جوزيفا) اليك

هذا المعطف فجفيفه (تخرج جوزيفا وتجلس دونيا
سول ، وتومئ الى هرنانى أن يقترب منها)
تعال الى جانبي

هرنانى : (و كأن لم يصل سمعه ما تقول) اذن فالدوق قد
بارح القصر ؟

دونيا سول : ما أجلك في نظرى

هرنانى : هو غائب عن القصر . .

دونيا سول : يا أحب الىّ من روحى ، لانشغل أنفسنا الآن
بأمر الدوق .

هرناني : بل يجب أن نشغل أنفسنا به ياسيدتي .
ان هذا الهرم يحبك ، وسيقترب بك ، فماذا بعد
ذلك ؟ ثم . ألم يخطف منك قبلة منذ يوم ؟ فكيف
تريديني على ألا أفكر فيه ؟

دونيال سول : (وهي تضحك) أهذا ما يدفع بك الى هذا الضيق ؟
ان قبلة العم فوق الجبين . لأقرب ما تكون الى
قبلة الوالد .

هرناني : كلا انها قبلة محب . . قبلة زوج . قبلة غيور . .
ألا ترين انك ستصبحين ملكا له يا سيدتي ! ألا
تفكرين في هذا ؟

يااللهرم المخرف !! ان رأسه يستند الى صدره
وهو يقطع الطريق الى نهاية حياته . ومع ذلك فهو
يؤمل ، ويعمل على أن تكون له امرأة . بل
هو يريد فتاة في مقتبل الصبا ليصبح زوجا لها !!
فيا للشيخ السفيفه المخبول !!

ألا يحس ، وهو ممسك يدك باحدى يديه ، ان
الموت يشده من يده الأخرى ويضمه اليه ؟ ؟ ايه
أيها الشيخ الذي يقترب من نهايته ، اذهب الى
حفار القبور ليهيئ لك القبر الذي سيحتويك .
ولكن من ذا الذي دبر أمر هذا الزواج ؟
في ظني انهم أرغموك عليه ؟ ؟

دونيا سول : يقولون ان الملك هو من يريد هذا الزواج .

هرناني : الملك ؟ الملك !! لتي أبي حتفه فوق منصة الاعدام
بأمر من أبيه . وعلى الرغم من تقادم العهد وكر

الأيام بهذا الحادث المفجع ، فان حقدى على
 الملك الأب ، وعلى ابنه ، وعلى أرملته ، وأتباعه
 ما برح قائما ، وهو يتجدد كل يوم . وقد مات
 الملك فانتهى حسابه ، وقد حلفت منذ ان كنت
 طفلا على أن أخذ بثأر أبي من ابنه . . كارلوس
 يا ملك قشتالة ، انى في اثرك أينما توجهت فالحقد
 يتلظى ويتوهج بين أسرتينا منذ ثلاثين عاما قضاهما
 الآباء في نضال واعتراك لا يعرفون فيها الرحمة
 ولا الندم . ولما ذهب الآباء بقى الحقد في الأبناء
 وظلوا وقوفا في مواقف النضال يرفضون الصلح
 ولا يجنحون الى السلام . ان الحرب سجال بيننا .
 آه . . اذن أنت لاسواك ، من يرغب في تحقيق
 هذا الزواج الكريه ! ! حسن جدا . . كنت أجد
 في أثرك ، أبحث عنك ، فاذا بى ألقاك تعترض
 طريقى . .

دونيا سول : انك تملوئنى رعبا .

هرنانى : نذرت نفسى لهذه المهمة ، أوّديها كما لو أنسى
 أوّدى فرضا من فروض الله ، وهى مهمة تدفع
 بى الى أن اكون خارجا على المجتمع وتملوئنى
 رعبا . أصغ الى : ان الرجل الذى اختاروه لك ،
 على الرغم من اقتبال شبابك ، وهو (روى
 جوميردى سيلفا) عمك ، ودوق باسترانا - غنى
 من أغنياء أراجون ، له المال الوفير ، والحسب
 الرفيع ، والجاه الواسع ، بحكم انه كونت قشتالة

وعظيمها ، فاذا فاته الشباب فلن يفوته ، أن يحمل
إليك الذهب أيتها الشابة ، وأن يغطي بك بالجوهر ،
فيشرق جبينك بين الحياة الملكية . وفوق هذا ،
فإن ما ستبلغينه من مراتب المجد ، والغنى ، والرفعة
على يديه ، وأنت دوقة ، سيجعلك محسودة من
جانب الكثيرات من ربات التيجان .

هذا ما يقدر الدوق على أن يقدمه لك .

أما أنا . . فاني ابن العوز ، وريب الفقر ، لم يكن
لي ، منذ طفولتي ، غير الأحراش والغابات ،
أذرعها حافي القدمين . وقد يكون لي بين ما يخفيه
صدأ الدمار ، شعار كريم ينبئ عن طيب عنصري
ورفعة أرومتي وقد تتكشف لي فيما هو مخفي خلف
الظلال ، وبين ثنيات الدثار الذي يغطي منصة
الاعدام ، حقوق تبرز الى النور مع خروج هذا
السيف من غمده ، اذا لم يخذعني الأمل ويعينني
الصبر .

وفي انتظار هذا ، فإن السماء الضئيلة بالعطاء لم
تمنحني غير الهواء والضياء والماء ، منح لاتضمن
بها على كل الناس .

فلا مناص لك عن أن تتخلصي من الدوق أو مني
فاختاري بيننا . تزوجين بالدوق أو تلحقين بي؟

دونيا سول : أتبعك . . .

هرناني : وسط رفاق غلاظ القلوب خشنين ؟ رفاق هم

طلبة الجلال الذى يعرف أسماءهم من قبل .
جماعة لم يرق لهم قلب ، ولم يستقر لهم سلاح في
غمد ، ولم يسلس لهم قياد ، اذ يحملون ثارات
لا تنتهى .

تحضرين لتتولى القيادة في عصابتى — كما
سيجرى القول وتتناقله الأفواه ؟

يبدو انك لا تعرفين . اعلمى أنى قاطع طريق ،
وحيثما ينطلق الجميع في إثرى ، بأمر من جميع
السلطات في أنحاء اسبانيا ، يلاحقونى للقبض على
فلن يعصمنى منهم الا تلك الغابات الكثيفة والجبال
الشاخنة الذرى ، والصخور التى لا تطل منها غير
رووس العقبان . . أرض قطلونية العتيقة ، الأم
الرووم التى تلقتنى ونشأتنى . بين أهل الجبال
درجت وكبرت ، وكلهم أحرار ، شامخون في
فقرهم ، وكلهم أهل نجدة ، فاذا حمل هذا
البوق صوتى مستنجدا بهم ومدويا بأصدائه بين
ربوعهم ، فان ثلاثة آلاف من هؤلاء الشجعان
يلبون ندائى ويهبون لنجدتى . .

أراك ترتعدين . . فكرى مرة أخرى ، وأمعنى
النظر ! !

تلحقين بى في الغابات ، والجبال ، والشواطىء
المهجورة ، وفي صحبة رجال يشبهون العفاريت
التي تروعك رؤيتهم في الأحلام . .
تحذرين من كل شيء ، وتتوجسين . .

من النظرات ، من الأصوات . من وقع الخطأ ،
وتفزعين من الضجيج .

مرقدك العشب ، ومشربك مياه السيول ، وفي
هدأة الليل وأنت ترضعين طفلا أيقظه الجوع .
يخرق سمعك أزيز رصاص البنادق . .

تنطلقين على وجهك معى ، منفية ، يتعقبك
القانون ، ويطاردك رجال الأمن ، وقد يحدث أن
تجدى نفسك مسوقة الى أن تتبعينى الى حيث أمضى
في اثر أبى ، الى منصة الاعدام ؟ ؟

دونيا سول : ألحق بك وأمضى معك

هرنانى : الدوق ثرى ، عظيم المقام ، ويحوطه الخشب
والازدهاء ، والدوق ليس في عنقه عهد قطعه
بأن يثار لأبيه ، والدوق في وسعه أن يفعل كل
ماتشائين ، والدوق ، فوق ما تقدم ، سيمنحك
مع الزواج غنى المال ، ورفاعة الألقاب ، ورغادة
العيش . .

دونيا سول : نسير غدا جنبا إلى جنب .

هرنانى لا تلمنى على هذه الجرأة العجيبة ! !
أأنت شيطانى ، أم ملاكى الحارس ؟ ؟ لست
أدرى ! !

ولكننى أسيرتك وعبدتك ،

أصغ الى . .

انى أتبعك الى حيث تريد ، تمكث أو تسير

فانى رهن اشارتك . .

ولماذا أتصرف على هذا الوجه ؟ لا أدري ! !
ولكننى أدري أننى فى حاجة إلى أن أراك ، وإلى
أن أراك ثانية ، بل أن أراك دائما ، وحينما
يتلاشى وقع أقدامك وأنت منصرف ، أحس أن
قلبي لم يعد ينبض ، وتهتاجنى وحشة اليك ،
إذ أشعر بفقدك ، فأصبح وكأنى غائبة عن نفسى .
ولكن ما أن يطرق أذننى من جديد وقع أقدامك
الذى يطربنى سماعه ، حينئذ أذكر أننى
أعيش ، وأن الروح ترد إلى من جديد ! !

هرنانى : ياملاكى . . .

دونياسول : غدا اذا انتصف الليل ، تعال فى عصبتك تحت
نافذتى . . هيا . . سترانى ذات بأس وقوة .
ولا أرهب شيئا . ستدق ثلاث دقات ايندانا
بمجيئك .

هرنانى : الآن عرفت من أنا ؟

دونياسول : مولاي ، لم يعد يهمنى هذا الأمر ، سألحق بك
جنباً إلى جنب .

هرنانى : لا . . بما أنك تريد اللحاق بى فى كل مكان
أيتها المرأة المسكينة ، فيجب أن تعلمى كل
العلم ، الاسم ، والطبقة ، والروح الذى ينطوى
عليه كيان الراعى هرنانى ، وأن تعرفى المصير
الذى سيؤول اليه أمرك . .

قبلت بى قاطع طريق ، أتقبلينى منفيا مطاردا ؟

دون كارلوس : (يفتح في جلبة باب الخزانة) متى تنتهى من
حكى قصتك ؟

أو تظن أن المحبوس في هذه الخزانة يكون في
راحة ودعة ؟

(يتراجع هرنانى خطوة وقد لبسته دهشة أذهلته ،
وتصدر دونيا سول صرخة فزع ، مرتمية بين
ذراعى هرنانى وقد سمرت عيناها المذعورتان
في وجه دون كارلوس) .

هرنانى : (ويده على مقبض سيفه) من يكون الرجل ؟

دونيا سول : ياالهي . . النجدة

هرنانى : صممتا يادونيا سول ، ولا توقظي عيون الحساد ،
حينما أكون إلى جانبك فأرجو ألا تطلين العون
من غيرى ، مهما يحدث .

(إلى دون كارلوس)

ماذا كنت تصنع هناك ؟

دون كارلوس : أنا ؟ واضح اننى لم أكن أستعرض جوادى في
الغابة ،

هرنانى : ان من يسخر باهانة غيره ، يكون أهلا لأن
يسخر منه .

دون كارلوس : لكل منا دوره . . لتكلم بصراحة ياسيدى ،
أنت تحب هذه السيدة ، وفي كل مساء تسعى
أنت إلى هنا ليتراعى كل منكما في نظرات

صاحبه فتلتقى هذه النظرات من جانبكما في شبه
عناق . .

أمر جميل للغاية ، ولا اعتراض لى عليه . .
الا أننى بدورى أهتم حبا بهذه السيدة . . كما
أريد أن أعرف من الرجل الذى ألمحه مرارا ،
وهو يدخل عليها من النافذة ، بينما أبقى أنا
واقفا على الباب ؟

هرنانى : اعلاء لقدرك أيها السيد ، سأجعلك الآن تخرج من
حيث كنت ترانى ادخل .

دون كارلوس : سئرى . . غير أننى أقدم مشروعا إلى السيدة . .
أن تجعلنا نتقاسم حبها ، نحن الاثنان . . ألا
توافق ؟ اننى أحبها ، وقد رأيت أن روحها
الطيب يتفجر عن فيوض من الحب والطية
والرقة ، مما يجعل السيدة أهلا لأن ترضى . وفي
هذا المساء ، وقد نويت أن أحقق هذا المشروع
بعد عرضه عليها ، فاقترحت الطريق إلى هنا ،
فإذا هم يحسبوننى أنت ، وتواريت مرهفا أذنى
إلى الاستماع ، ولكننى - ولا أنكره القول . .
لم أستطع أن أسمع جيدا ما يجرى هنا ، وكادت
أنفاسى تزهق لضيق المكان ، ورأيت أن ثوبى
الفرنسى قد تجعد وفقد استواءه وبهائه ، فلم أجد
بدا من الخروج .

هرنانى : وخنجرى أيضا تضيق أنفاسه بالبقاء في غمده . .

دون كارلوس : (محيا) أنا عند ما يروقك

- هرناني : (وهو يمتشق حسامه) خذ حذرك
- (دون كارلوس يمتشق حسامه بدوره)
- دونيا سول : (وهي ترتطم بين السيفين المشرعين) هرناني . .
أتوسل اليك
- دون كارلوس : تمالكى نفسك ياسيدتي
- هرناني : ما اسمك ؟
- دون كارلوس : هيه ! ! بل قل لي أنت ما اسمك ؟
- هرناني : أبقية سرا لا أبوح به الا لشخص واحد ،
وسيسمعه وأنا جاثم فوق صدره وقد اخترق
خنجري قلبه
- دون كارلوس : إذن ما اسم هذا الشخص الآخر ؟
- هرناني : وما يعنيك من شأنه ؟ خذ حذرك ودافع عن
نفسك .
- (يتلاقي السيفان ، دونيا سول تقع وهي ترتعد فوق
تكأة ، وفجأة يسمع طرق على الباب الكبير القائم
في مؤخرة المنظر)
- دونيا سول : هناك من يطرق الباب . . يا الهى ! !
- (يمسك المتبارزان عن الحركة وتبدو دونيا
جوزيفا داخلة من الباب الصغير وقد تملكها
الفرع الشديد)
- هرناني : (الى جوزيفا) من عسى أن يكون هذا الطارق ؟

دونيا جوزيفا : (الى دونيا سول) شخص لم يكن منتظرا مجيئه
ياسيدتى ، انه الدوق ، وقد عاد على غير انتظار .

دونيا سول : (وهى تمسك يدا بالآخرى) . . الدوق ؟ ضاع
كل شيء . . . وياالتعاستى !

دونيا جوزيفا : يا للمسيح ! ! الرجل المجهول ! ! سيوف
ومبارزة . مفاجآت لم تكن تخطر لى ببال ! !
(يرجع كل من المبارزين سيفه الى غمده ،
ويتدثر دون كارلوس فى عباءته كما يرخى حوافي
قبعته على عينيه ، ويسمع الدق من جديد)

هرنانى : ما العمل ؟

(الدق من جديد)

صوت : (من وراء الباب) دونيا سول افتحى
(تخطو دونيا جوزيفا خطوة نحو الباب ولكن
هرنانى يعترضها)

هرنانى : لا تفتحى .

دونيا جوزيفا : (وهى تخرج مسبحتها من جيبها) أيتها القديس
سان جاك ، مولانا ، أنقذنا مما نحن فيه .

(الدق يعود من جديد)

هرنانى : (مشيرا بيده الى دون كارلوس والى الخزانة)
فلنختبئ .

دون كارلوس : فى الخزانة ؟

هرنانى : (مشيرا الى بابها) ادخل ، أتكفل بأن أجعلها
تسعدنا نحن الاثنين .

دون كارلوس : لك جزيل الشكر ، انها أكبر من أن تسعدنا .

هرنانى : (مشيرا بيده الى الباب الخفى) اذن لنهرب من
هنا .

دون كارلوس : مساء الخير ، أما أنا فباق .

هرنانى : ستدفع غالبا حين يحىء حسابك ، دمك ورأسك
(موجهها الكلام الى دونيا سول)
ماذا اذا حصنت المدخل بالأثاث ؟

دون كارلوس : (الى جوزيفا) افتحى الباب .

هرنانى : ماذا تقول ؟

دون كارلوس : (الى جوزيفا وقد ترددت في فتح الباب) افتحى
قلت لك .

(الدق مستمر على الباب ، فتتجه جوزيفا وهى
ترتعد لتفتح الباب)

دونيا سول : انتهيت . .

المشهد الثالث

السابقون - روى جوميردى سيلفا

(في لحيته وفي شعره الأبيض وفي بزته السوداء ، ثم أتباع يحملون
في أيديهم المشاعل وهى مضاءة)

روى جومير : رجال في حضرة ابنة أخى في مثل هذه الساعة من
الليل ! !

ادخلوا جميعكم فالموقف يحتاج الى الاشهاد والى
الايضاح ، الى المجاهرة بالصوت العالى .

(الى دونيا سول)

قسما بالقديس يوحنا دافىلا ، أننا ثلاثة في هذا
المكان ، وأقسم بنفسى أن في اثنين منا كفاية
يا سيدتى !!

(موجهها الكلام الى دون كارلوس وهرنانى)

أيها الفارسان الشابان ما تعملان هنا ؟ في الزمن
الماضى كان (السيد) و (برنار)^(١) هذان
العملاقان اللذان كانت تخضع لهما اسبانيا ، بل
العالم كله ، كانا يحترمان الشيوخ ويحميان الفتيات
وكانا من الأبطال ذوى البأس الشديد ، الذين
يجدون فيما يحملونه من أثقال العدة والسلاح شيئا
أخف من لباس المخمل والحرير . . أقول كان
هؤلاء الرجال يحترمون الشيوخ ذوى اللحى
الغبراء ، وكانوا يخضعون لواعج الحب في
قلوبهم ، لما تقضى به شريعة الكنيسة ، فلا تراهم
الا ركعا أمام الهيكل ، وفي عقد قران ،
ولا ينخدعون ولا يخادعون ، اعلاء لشرف الأسرة
فاذا رغب أحدهم في امرأة أخذها تقية العرص ،
وفي النهار المبصر ، وأمام كل الناس ، وقد
أمسك بيده السيف أو الفأس ، أو الرمح .

١ - من كبار فرسان قشتاله باسبانيا ومن كبار قادتها .

أما هؤلاء الخبثاء المراءوغون . الذين يركبون
الليل متسللين الى مقاصدهم الدنيئة وعيونهم
لا تنقطع عن النظر الى الوراء ، والى كعوب
أحذيتهم ، ليستطوا على شرف الزوجات اللواتي
غفلت عنهن عيون الأزواج . . فاني أوكد لو أن
(السيد) ، وهو سيدنا جميعا ، يعلم أمرهم ،
لألقى بهم على وجوههم احتقارا لهم ، ولنحى
عنهم النبل الذي اغتصبوه ، صافعا بالسيف
شاراته وشعاراته .

هذا — ويا للألم الذي أحسه — ما كان يفعله رجال
الزمن السابق برجال الزمن الحاضر .

تكلمما فيما جئتما من أجله ؟

الآنكما تريان في شيخا فانيا جديرا بأن يضحك
منه الشباب ويسخروا ؟

أتسخران مني أنا بطل (زامورا) ^(١)

اتضحكان مني اذ ترياني أتعثر في شعري الأبيض ؟
اذا كان الأمر كذلك فلستما انتما على الأقل ،
الذان يضحكان في آخر الأمر .

هرنساني : أيها الدوق . .

روى جوميز : صمتا . . عجيب أمركم !! بين أيديكم السيف ،
وتتبارون في التقاط الخاتم بسان الرمح وتحتكم

١ - مدينة في إحدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركة حريتان قامتتا فيها
احدهما في عام ٩٠١ ، والأخرى ١٠٩٣ .

الحيول تركض . تركبون للصيد تتقدمكم الصقور
والكلاب المدربة . تقصفون في المآدب . تنشدون
الأغاني بالليل تحت الشرفات . لكم الريش يزين
قبعاتكم ، والصديرية من الحرير . ترتادون
المراقص . تلهون في المركبات . هذا والصببا
ملء أعطافكم ، والمرح يصطخب في أجسامكم .
ولكن ما أن ينالكم السأم أيها الفتية حتى تنطلقوا
بلا تبصر ، وحيثما اتفق ، تبحثون عن العوبسة
تلهون بها ، وتتخذون من شيخ طاعن في السن
ألهيّةً لكم !!

آه .. انكم حطمت هذه الألهيّة ، ولكن الله
يأبى الا أن يصيب حطامها المتطاير وجوهكم !!
اتبعاني ..

هرناني : سيدى الدوق ..

روى جوميز : اتبعاني قلت لكما . اتبعاني ..

أيها السادة هذا الموقف ليس للتنذر والضحك !
ماذا !! هنا في بيتي كتر ثمين .. انه شرف
فتاة ، وكرامة امرأة وسمعة أسرة . وأنا أحب
هذه الفتاة وهي ابنة أخي ، ويجب أن تستبدل
قريبا بنخاتم القران منى ، هذا الخاتم الذى في يدها ،
لتصبح زوجتى .

اننى اعتبرها عفيفة ونقية ، ومقدسة في نظر كل
رجل ، وأهلا لاحترامه ، فاذا وقع أن أترك بيتي
ساعة أنا (روى جوميز دى سيلفا) ، فانى

لا أستطيع أن آمن عليها من أن يتسلل اليها لص
من لصوص الشرف ؟

الى الوراق يا رجالا بلا أرواح وبلا ضمائر . نظفوا
أيديكم من الدنس ، اذ لا تكاد تمتد الى نسائنا ،
حتى يصبحن ملوثات .

ولكن فيم يفيد كلامي ! حسن ما انتما عليه
وتابعوا ما جئتما من أجل سلبه أتريدان شيئا آخر ؟

(وهو يخلع قلادته من حول عنقه) إليكما هذه
القلادة فاهرساها بأقدامكما وأهرسا أيضا هذا
الوسام ، وسام الفروسية
(ويلقى بقبعته الى الأرض)

واليكما شعري فشدها شدا ، ولوثاه ، كما يخلو
لكما واجعلا مني أضحوكة . .

وفي وسعكما غدا أن تفخرا في المدينة ^(١) ، بأنه لم
يسبق من قبل لفسقة مفسدين مثلكما ، أن أتيح
لهم من أسباب المهاترة واللهو ، مثلما أتيح لكما
اليوم ، وأن يلوثوا رأسا أنصع بياضا من هذا
الرأس .

□

دونيا سول : سيدى .

روى جوميز : أيها الأتباع ، أيها الأتباع انى أدعوكم الى أن تقفوا
الى جانبي وتشهدوا أزرى . هاتوا لي الفأس

١ - مدينة في احدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركة حربية قامتا فيها
احدهما في عام ٩٠١ ، والاخرى ١٠٩٣ .

والخنجر وهاتوا سيفي الطليطلى^(١)

(الى الرجلين)

اتبعاني أنتما الاثنان .

دوق كارلوس : (متقدما خطوة) أيها الدوق ، اعلم أولا أن الموقف ليس كما تقول وتقدره ، ان الأمر — فيما نحن فيه الآن — يتعلق بوفاة مكسيميليان ، امبراطور ألمانيا . (يلقي بعباءته جانبا ويزيح القبعة عن وجهه)

روى جوميز : أتسخر مني ؟ .. ويا الهى . . الملك !

دونيا سول : الملك ؟

هرنسانى : (وقد التمعت عيناه) ملك اسبانيا .

كارلوس : نعم كارلوس . ما هذا يادوق ! هل فارقك

حسن الادراك ؟ جدى الامبراطور توفي . ولم يبلغنى نعيه الا هذا المساء ، فبادرت لأطلعك عليه بنفسى ، أيها التابع الأمين ، نظرا الى حبي اياك ، ثم لكى أستهدى بنصائحك ثم . . ثم كان أمرا لازما أن أجيء اليك متخفيا وفي الليل .

فالأمر ، كما ترى ليس بذى بال ولا يستأهل كل هذه الضجة التى أثيرتها !! (يصرف روى جوميز أتباعه بإشارة ثم يقترب من دون كارلوس . هذا

١ — نسبة إلى مدينة (طليطلة) وكانت لها شهرة فى صنع السيوف .

بينما بقيت دونيا سول في مكانها تحد وجه بنظرات
ملؤها الفزع والدهشة . أما هرناني فبقي في ركن
يغطي دون كارلوس بنظرات من نار)

روى جوميز : اذن ولم تأخرتم كل هذا التأخير في فتح الباب ؟

دون كارلوس : لم تأخرنا !! لانك جئت في حرس كبير .
وحيثما يكون مجيئي الى قصرك لتناول سر من
أسرار الدولة ، أكون من اللائق أن يقف خدمك
عليه ؟

روى جوميز : يا صاحب السمو سامحي ، فالمظاهر ..

دون كارلوس : أيها الأب الطيب اخترتك محافظا على قصر
(فيجير) ولكنني لا أدري من أختاره الآن
ليحافظ عليك !!

روى جوميز : أرجوك الصفع ..

دون كارلوس : يكفي . ولنمسك عن الكلام في هذا الأمر . أقول
أن الامبراطور توفي .

روى جوميز : أليس هو جدكم أيضا يا صاحب السمو ذاك الذي
توفي ؟

دون كارلوس : وها أنت ذا تراني الآن يا دوق والألم يفيض بي .

روى جوميز : ومن سيخلفه ؟

دون كارلوس : يتحدثون عن ترشيح دوق ساكس ، وهناك
منافس آخر ، فرنسوا الأول ملك فرنسا .

روى جوميز : وأين يجتمع ناخبوا الامبراطور ؟

دون كارلوس : اختاروا ، فيما أظن ، مدينة (ايكس لا شيل)
وقد يجتمعون في مدينة (سير) أو (فرانكفورت)

روى جومير : وملكينا — حفظه الله وأطال أيامه — ألم يفكر في
أمر هذه الامبراطورية ؟

دون كارلوس : لم أنقطع يوما عن التفكير فيها .

روى جومير : سيؤول أمرها اليك .

دون كارلوس : أعرف هذا .

روى جومير : والدك كان أرشيدوق النمسا ، فلن يغيب عن
أذهان الناس بالامبراطورية انه جدكم هو من
يلف الآن بالكفن ، بعد أن خلع بزة الحكم
الأرجوانية .

دون كارلوس : وفوق هذا فاني من مواطني مدينة (جاندا)

روى جومير : في مستهل صباى شاهدت جدكم ، وأنا وحدي
الآن من تبقى من جيل قدماء ناسه ، أقرر أن
جدكم كان امبراطورا عظيما وحازما ،
وأسفاه . .

دون كارلوس : (منساقا مع خياله) ستقف روما إلى جانبي . . .

روى جومير : وكان شجاعا صلب الارادة في غير تعسف ومن
غير أن ينزل ظلما بأحد ، كان من ألبق الرؤوس التي
علت الجسم الجرمانى القديم ، وساست أموره .
كم أرثي لك اذ أراك — وأنت مازلت في مقتبل
العمر — تحمل ارزاء هذه المحنة .

دون كارلوس : (متابعاً خياله) البابا يريد أن يعود إلى بسط كفه
على صقلية . . ولكن هيهات فإنها لى . ويزعم
انه لا يمكن للامبراطور أن يحتفظ بهذه الجزيرة .
ولكن إذا وقع ووافق على تنصيبى امبراطورا ،
فسأكون ملزماً — بحكم طاعة الابن لأبيه — بأن
أعيد اليه أيضاً نابلى !!!

لنستولى أولاً على الامبراطورية يزين مفرقها شعار
النسر ، ثم لنر بعد ذلك هل نترك له أن يقص
ريش جناحيه .

روى جومير : كم سيسعد سلقك الراحل إذ يرى جبينك الواسع
ينزل فيه تاجه الكبير ويستقر .

ايه يامولاى .. معك سنبكى سوياء ذلك الامبراطور
الطيب الشديد التمسك بشعائر الكنيسة !!

دون كارلوس : (يناجى نفسه على حدة) حق ان قداسة البابا
لرجل حذق ومهارة !!

فما هى صقلية ؟ انها جزيرة مدلاة من احد
أطراف مملكتى . نعم هى جزيرة صغيرة ،
أشبه ما تكون بخرقة ، أو قطعة مهلهلة من ثوب ،
هى تكاد ترتبط باسبانيا بنحيط رفيع ، وتتعلق
بجوارها ..

وينخيل إلى أنه سيسألنى « ما عساك أن تفعل يابنى
بهذه الجزيرة الحذباء التى شدت بنحيط إلى
أطراف امبراطوريتك ؟ ان امبراطوريتك ،

ولا شك غير متناسقة الأقسام والأحجام ..
تعالى سريعا الىّ ومعك المقص ولنصلح الأمر .
ايه أيها الأب الأقدس ، شكرا لك ! !
ولكن اعلم ، اننى إذا وافانى الحظ السعيد ،
فانى من هذه الخرق الصغيرة المهلهلة سأضم
أرضا جديدة إلى الامبراطورية المقدسة ، توسع
من رقعتها . وإذا حدث أن انتزعت منى هذه
الشرائح من جزر أو دوقيات ، عمدت الى
ترقيع جوانب دولتى بأشباه لها .

روى جومير : لتعزفنى السماء امبراطورية تضم الاخيار
والصالحين ، وفيها يرى الموتى وقد تألهوا قداسة
ومجدا !

دون كارلوس : هذا الملك فرنسوا الأول طموح وطمّاع ! !
ما ان توفي الامبراطور الشيخ ، حتى أسرع
يتطلع بعينه إلى الامبراطورية ويرمقها بنظرات
محب وامق ! ! عجباً ! !

أليست له فرنسا العريقة في مسيحيتها وتقواها
آه . . ولكن الصفقة في الحق مغرية وأهل لأن
يُسْتَحَوذَ عليها . كان جدى الامبراطور يقول
للملك لويس : « لو كنت الرب الأب ، وكان
لى ولدان ، لجعلت الأكبر منهما ربا ، ولجعلت
من الآخر ملك فرنسا »

(موجه الكلام إلى روى جومير)

أو تظن انه في وسع فرنسوا ان يحقق أمله في
نيل الامبراطورية ؟

روى جومير : ازدان جبينه أخيرا بانتصارات حربية .

دون كارلوس : لكي يتحقق له ما يريد ، ، يجب أن تغير الأمور
من طبيعتها ، لأن بقانون الانتخاب شرطا يحرم
انتخاب أجنبي ...

روى جومير : ولو أجرى تطبيق هذا الشرط يامولاى ، فأنت
بدورك ملك اسبانيا ...

دون كارلوس : اننى من مواطنى مدينة (جاند)

روى جومير : حملته الأخيرة في ايطاليا وانتصاره فيها رفعتنا
من شأن الملك فرنسوا .

دون كارلوس : النسر الذى ربما يستقر شعاره في أعلى خوذة ،
يستطيع أن ينشر جناحيه ليكتسب انتصارات
حربية .

روى جومير : سموكم ، هل يعرف اللاتينية ؟

دون كارلوس : معرفة ناقصة .

روى جومير : خسارة ، فان نبلاء ألمانيا يميلون إلى أن يخاطبوا
باللاتينية ، وهى اللغة الرسمية .

دون كارلوس : بل سيقنعون بأن يخاطبوا بلغة اسبانية مرفعة ..
ان الذى يهم في مخاطبة الناس — وصدق ما
ما يقوله لك الملك كارلوس — هو أن ترفع
الصوت مجلجلا قاطعا ، ولا يهم أمر اللغة التى
تخاطبهم بها .

سأسير إلى الفلاندر .. يجب أن يعود اليك الملك
امبراطوا ، ياعزيزى . « سليفيا » ، سيثير ملك
فرنسا متاعب كثيرة ، ولكننى سأخذه بسرعة
المبادرة سأسافر بعد قليل ..

روى جومير : تفارقنا يامولاى قبل أن تقضى على هؤلاء
الصوص وقطاع الطرق وهم يعيشون فسادا في
الأراجون بعد أن شمعخوا بأنوفهم في أعلى
الجبال ؟

دون كارلوس : سأصدر أمرى إلى دوق (أركوس) بالقضاء
على هذه العصابات .

روى جومير : ورئيسهم ؟

دون كارلوس : ومن يكون هذا الرئيس ؟ وما اسمه ؟

روى جومير : أجهل كل هذا ، ولكننى سمعت أنه رجل
شديد المراس .

دون كارلوس : لا يهم .. أعرف الآن أنه مختف في (جاليس)
ومن الحزم أن أسير إليه حملة من الجند تقصفه
في وكره .

روى جومير : لابد أنها اشاعات لا نصيب لها من الصحة
وقد تواترت بأنه يحوم على مقربة من هنا .

دون كارلوس : نعم انها اشاعات كاذبة .. ستضيفنى الليلة في
قصرك ؟

روى جومير : (وقد أحنى هامته حتى قاربت رأسه وجهه ،
الأرض) شكرا يا صاحب السمو :

(مناديا يا خدمه)

أدوا واجب الشرف كله في خدمة ضيفي الملك
(يدخل خدم يحملون المشاغل ويجري السدوق
تنظيمهم بحيث يملؤون مؤخرة المسرح حتى الباب
الكبير في صفين متقابلين ، وفي أثناء ذلك تقرب
دوينا سول من هرناني ، وان كانت نظرات الملك
تلاحقها في كل مايدر منهما)

دوينا سول : (بصوت منخفض الى هرناني) غدا تحت
نافذتي ، عند منتصف الليل فايك أن تتأخر ،
ثم تصفق ثلاث مرات

هرناني : (بصوت منخفض) غدا

دون كارلوس : (على انفراد) غدا ! !

(ثم يرفع صوته وهو يتقدم نحو دوينا سول في
لطف وأدب)

اسمحي لي أن أمد يدي اليك لأسير بك الى مخدعك
(تمد يدها ويسير هو بها نحو الباب لتخرج منه)

هرناني : (ويده في صدره يتحسس خنجره) يا خنجرى

الأمين .

دون كارلوس : (وهو يتجه منفردا نحو هرناني) رجلنا أراه

منقبض الوجه (وقد اقترب من هرناني) شرفتك
بأن جعلت سيفي يلمس سيفك يا سيدى . وانى
لشديد الارتياح فيك لاسباب عدة ، ولكن
الملك كارلوس يأنف من الغدر والخيانة. انطلق ،

وسأتنازل أيضا بحماية خروجك .

روى جومير : (يكون قد انتهى من اعداد الخدم في صفين ،
وعاد نحو الملك فيشير بيده نحو هرناني) ومن
يكون هذا السيد ؟

دون كارلوس : سينصرف . . انه أحد أتباعي .

(يخرج جميع الخدم يتقدمهم الملك يتبعه الدوق
وفي يده مشعل)

هرناني : (على انفراد) نعم من أتباعك أيها الملك . . من
أتباعك ! !

اني لكذلك .

ففي الواقع انني ، ليل نهار وخنجرى ملء يدي ،
أمضى مترسما خطاك الواحدة بعد الأخرى ،
وعيني لا تفارق أثرك ! !

ان حسي ودمي يطاردان فيك حسبك ودمك
ثم ها أنت ذا أصبحت منافسي وغريمي ! !
مرت بي لحظة كنت أتأرجح فيها بين الحب
والبغضاء اذ لم يكن قلبي يتسع لك ولها ويشغل
بكما . .

بل نسيت في حبي لها حقدي عليك . .

ولكن بما أنك أردت أن تذكرني من أنت ، بل
جئت بنفسك تحيي هذه الذكرى ، وهذا جلد
جميل ، فليكن لك ماتريد . . انني أذكر الآن
كل شيء ، وضعت حبي اياها في احدي كفتي

ميران ، أمام حقدى عليك ، فاذا كفة الحقد
ترجح الكفة الأخرى .

نعم أنا من أتباعك . . أنت نفسك الذى قاله
حسن جدا . . اعلم اذن أننى في اقتفاء أثرك
ومتابعة سيرك أشد حرصا وأبعد مواظبة مسن
المرائى الذى يتملقك ، ومن السيد الذى يقبل
ظلك طمعا في رفدك ، ومن رئيس الخدم الذى
يلاحقك وقد أفرغ قلبه من كل شيء لتحل أنت
فيه محل الرب ، ومن الكلب الذى ألف أن يلاحق
المملك أينما مشى . ان ما يطمع فيه ، كل عظماء
قشتالة ، لا يتجاوز أمره الألقاب الجوفساء ،
اللعب البراقة ، القلائد اللامعة تحيط بالأعناق .
أما أنا ، فلم يبلغ بى العتة ، أن اكتفى منك بتحقيق
هذه الرغبات التافهة . ان ما أريده منك ليس منحا
سخية تجود بها . .

ان ما أريده انما هو روحك الذى يسكن بدنك ،
الدم الذى يتدفق في عروقك . هو كل ما يمكن
أن ينترعه الخنجر الثائر وقد أوغل في اختراق
القلب وغاص في سويدائه . .

ان الانتقام الذى يشاركنى السهر ، يرافق دائما
خطوى ، ويهمس دائما في أذنى . .

سر أمامى . فأنا في اثرك أراقب وأتحمس في غير
جلبة

خطاى تبحت عن خطوك وتقتفى أثرها . .
فى النهار لا تملكك أيها الملك ، أينما وليت
وجهك ، الا أن ترانى رأى العيان فى حفلاتك
ومواكبك . . .

واذا جن الليل ، فلا منصرف لنظراتك ، أيها
الملك ، من أن ترى عيني ، وهما يشتعلان
وتتقدان خلفك (يختفى من الباب الصغير)

(ستار)

الفصل الثاني

قاطع الطريق

في مدينة سرقسطة

ساحة في فصر سيلفا . إلى اليسار تبدو في الليل جدران القصر
شامخة متماسكة ، وتتراعى في أحد الجدران نافذة تؤدي إلى شرفة ،
وفي أسفل الشرفة باب صغير .

وإلى اليمين ، وفي مؤخرة منصة التمثيل ، تتراعى منازل ، وطرق
هنا وهناك . وفي واجهات المباني المحيطة بالقصر ترى نوافذ ما برحت
مضيئة .

المشهد الأول

(دون كارلوس — دون سانشو سانشيردي روينجا — كونت دي
موتيري — دون ماتياس سانتوريون — ماركيردي المونان — دون
ريكاردو دي روكاس — سنيور دي كازابالما » يقدون أربعة ، وعلى
رأسهم دون كارلوس ، وقد أرخى الجميع قبعاتهم ، وتلقفوا في
عباءات طويلة ، ترفع سيوفهم أطرافاً من ذيولها »)

دون كارلوس : (وهو يتفحص الشرفة بنظراته) تماماً — هذه
هي الشرفة ...

وهذا هو الباب . آه يشور بي دمي !!

(وهو يشير إلى النافذة المطلة على الشرفة)

- ما برحت مظلمة حتى الآن
(ثم يتابع بنظره النوافذ المضيئة)
الضوء في كل مكان ، فيما عدا النافذة التي
أريده فيها !!
- دون سانشو : فلتتابع الحديث يامولاي عن ذلك الخائن . تقول
انك تركته يمضي بسلام !
- دون كارلوس : كما تقول
- دون ماتياس : ولعله يكون قائدا قطاع الطريق .
- دون كارلوس : ليكن القائد أو القائم بأمرهم ، اني ماشاهدت حتى
بين حملة التيجان رأسا يشمخ كبرياء مثل رأسه .
- دون سانشو : ما اسمه يامولاي ؟
- دون كارلوس : (دون أن يحول نظره عن الشرفة) مونوز ..
فرنان (في حركة من تذكر أمرا فجأة)
- دون سانشو : لعله هرناني ؟
- دون كارلوس : نعم .
- دون سانشو : هو بعينه .
- دون ماتياس : اذن فرئيسهم هو هرناني ؟
- دون سانشو : (للملك) أما زلت تذكر شيئا من كلامه ؟
- دون كارلوس : (وهو لم يحرك نظره عن النافذة) لم يصل إلى
سمعي شيء وأنا في تلك الخزائن الملعونة
- دون سانشو : أعجب لماذا أطلقت سراحه ، وقد كان بين
يديك ؟

دون كارلوس : (وقد استدار نحو نحو محدثه في وقار ، ثم حدجته
بنظراته وجها لوجه) انك تقف منى موقف
المحقق ؟

(يتراجع دون سانشو)

ومع ذلك فلم يكن هو من يشغل بالى ويستأثر
باهتمامى . كنت أريد عشيقته ، ولم أكن أطلب
برأسه . .

آه انى بها لفتون ، وأكاد أجن بهذه العيون
السود أحلى وأفن ما تكون بين العيون ! !
ايه أيها الأصدقاء .. عيناها ؟ تصوروا مرأتين
صافيتين !

شعاعين من نور ! ! مصباحين يتوهجان ..

أقول انه لم يصل إلى سمعى ، من كل حديثهما ،
غير هذه الكلمات الثلاث : غدا ، تعال ، بالليل .
وهذا هو كل ما يهمنى في الأمر .

أليس أمرا طريفا ومستغربا ما وقع ؟ بينما كان
قاطع الطريق ذو الوجه الوسيم ، قد تأخر عن
موعد حضورة لانشغاله بازهاق روح ، أو
بحر رمس أجى أنا مفاجئا ، وأتسلل في لطف
إلى عش حمامته ؟

دون ريكاردو : كان الأجدد بانها هذه المغامرة ، قتل النسر
لانتراع الحمامة من العش

دون كارلوس : (يا كونت) . اليك نصيحة ذات بال فتدبر
أمرك .. ان لك يدا سريعة في الخطف

دون ريكاردو : (وقد انحنى نحو الأرض) ما اللقب الذى يروق
للملك أن يحمله الكونت ؟

دون سانشو : (متدخلا) وموجهها كلامه إلى دون ريكاردو (
هذا لقب سقط سهوا

دون ريكاردو : (محتجا) خلع الملك على لقب كونت .. وقضى
الأمر .

دون كارلوس : كفى . كفى . (الى ريكاردو) .. حسن .
تركت هذا اللقب يسقط منى فالتقطه .

دون ريكاردو : (مبالغة في انحناءة أخرى) شكرا يامولاى .

دون سانشو : (الى دون ماتياس) ياله من كونت !! كونت
صدفة !!

(الملك يزرع مؤخرة المنصة وهو يتفحص في
قلق النوافذ التى ينبعث منها الضوء ، هذا بينما وقف
الشريفان السابق الذكر في مقدمة منصة التمثيل

دون ماتياس : (الى دون سانشو) ولكن ما عسى أن يصنع
الملك بالحسنة بعد أن يستولى عليها ؟

دون سانشو : (وهو مازال يلاحق دون ريكاردو بنظراته)
يصنع بها كونتيسة ، ثم وصيفة شرف . فاذا
أنجبت ولدا فسيصبح ملكا في المستقبل ..

دون ماتيئاس : ماذا تقول ؟ ابن سفاح يمكن أن يصبح كونتا .
وقد يغدو صاحب سمو ، ولكنه أمر متعذر كل
التعذر أن يجيء من أحشاء كونتيسة .

دون سانشو : اذن يجعل الملك منها مركيزة . . يا عزيزى المركز

دون ماتيئاس : انهم يحتفظون بأولاد السفاح لتولى امارات البلدان
التي يقهرونها ، يولونهم أمرها بأسماء (نواب
الملك) انهم لا يصلحون الا لمثل هذا الأمر

دون كارلوس : (وهو يمشى الى المقدمة بعد أن يقذف بنظرات
غاضبة ما تبقى من نوافذ يشع منها النور) ألا
يصح القول أن هذه النوافذ التي تطل علينا أشبه
ما تكون بعيون يواقظ تشتعل بنار الغيرة ؟
أخيرا انطفأ النور في نافذتين . . هيا أيها السادة
ما أمض واطول فترات الانتظار !!
الا يوجد من يستحث الساعة على أن تسرع في
المسير ؟

دون سانشو : هذا ماتقوله أحيانا اذ نكون في حضرة سموكم !

دون كارلوس : وهذا ما يكرر قوله شعبي حينما يجتمع بكم !

(ينطفئ النور في النافذة الأخيرة)

انطفأ النور في النافذة الأخيرة

(يتجه نحو شرفة دونيا سول التي ما برحت غارقة
في الظلام) أيتها النافذة الملعونة . . متى سـطـع
فيك النور ؟

ان الظلام دامس في هذه الليلة ، ولكن طلعة دونيا
سول ستبدده ، كما يفعل النجم المنير .

(ملتفتا الى ريكاردو)

كم الساعة ؟

دون ريكاردو : سيتصف الليل بعد قليل .

دون كارلوس : يجب أن نفرغ من هذا الأمر ، فان الآخر قد
يفاجئنا بحضوره في آة لحظة .

(يسطع النور من نافذة دونيا سول ويبدو ظلها
مرتسما على زجاجها) أيها الأصدقاء . اشتعل
المصباح في حجرتها ، وها هو ذا ظلها ينطبع على
زجاج النافذة ، ما رأيت صباحا يولد في مثل هذه
البهجة . لنسرع ولنرها الاشارة التي تنتظرها .
يجب أن أصفق ثلاث مرات وما أن تنقضي لحظة
بعد ذلك ، حتى ترونها يا أصدقائي ، ولكن ربما
يفزعها أن ترانا مجتمعين . هيا ثلاثة منكم يستترون
في الظلام هناك ، وعليهم أن يترصدوا القادم
الآخر . أيها الأصدقاء لنقتسم العاشقين . . لى
السيدة ، ولكم قاطع الطريق .

دون ريكاردو : لك عظيم الشكر .

دون كارلوس : فاذا جاء الآخر فاخرجوا اليه سراعا من الكمين
وخذوه بأطراف سيوفكم في رفق ، فاذا ما
استعاد صوابه وهو ملقى على الأرض ، أكون أنا قد
هربت بالحسنة .. وسنضحك كثيرا بعد ذلك .

ولكن حاذروا أن تقتلوه ، انه رجل مقدام قبل أى اعتبار ، هذا فضلا عن أن ازهاق روح إنسان ، أمر بالغ الخطورة (ينحنى الثلاثة ويخرجون ويصفق دون كارلوس مرتين بمجرد أن ينحني السابقون)

وتنفتح النافذة وتظهر دونيا سول^٧ بالشفرة (

المشهد الثاني

دون كارلوس - دونيا سول

دونيا سول : (في الشرفة) اهذا أنت ؟ هرنانى

دون كارلوس : (منفردا) يا للشيطان ! فلنصمت

(يصفق للمرة الثالثة)

دونيا سول : سأحضر .

(تغلق دونيا سول النافذة فينطقى النور بالحجرة ، وبعد لحظة قصيرة يفتح الباب الصغير وتخرج منه دونيا سول وفي يدها مصباح وعلى منكيها معطف) هرنانى ..

(دون كارلوس وقد أرخى أطراف قبعته على وجهه يتقدم مسرعا اليها) ويلي .. هذه ليست خطاه !

(يسقط المصباح من يدها وتحاول الرجوع الى الباب ولكن دون كارلوس يهرع نحوها ويمسكها من ذراعها)

دون كارلوس : دونيا سول .

دونيا سول : وهذا ليس صوته !! ا ل ش ق و تى !

دون كارلوس : وأى صوت يجرى فياضا بالحب أكثر من هذا الصوت تريدین سماعه ؟ انه صوت عاشق متيم ، وهذا العاشق المتيم ، هو الملك

دونيا سول : الملك !!

دون كارلوس : اشتهى ما تريدین . . مرى . ان مملكة بأسرها طوع أمرك : ان الذى تصدين عنه ، هو الملك مولاك ، وهو كارلوس عبدك .

دونيا سول : (وهى تتملص بين ذراعيه وتحاول الفكاك)
النجدة هرنانى . . .

دون كارلوس : انه خوف مشروع وجدير بك ، ولكن الذى يمسك بك الآن قاطع الطريق . وانما هو الملك .

دونيا سول : كلا ، بل قاطع الطريق أنت . ألا تستحى مما تفعل ؟ اننى لأحمر خجلا بالنيابة عنك . أهذه احدى المآثر التى يطيب للملك أن تدوى أخبارها بين الناس ؟ يركب الملك الليل متسللا ليسطو على امرأة على كره منها ؟؟ ان لصى خير منك مائة مرة . وانى لأجهر أيها الملك بالقول . لو أن المرء نزل حيث توأله سجايا نفسه ، لو ان الله يضع الناس درجات بما يسكن قلوبهم من السمو والترفع اذن لكان هو الملك ، ولكنك أنت أيها الملك ، قاطع الطرق .

دون كارلوس : (وهو يحاول أن يجتذبها نحوه) سيدتى
دونيا سول : أنسيت أن والدى من النبلاء وكان كونتا
دون كارلوس : سأجعل منك دوقة .
دونيا سول : (وهى تدفعه بعيدا عنها) أمسك . . ان ماتأيسه
هو العار .

(تراجع خطوات)

لا يمكن أن يقوم بيننا شيء يادون كارلوس . ان
والدى الشيخ بذل أنهارا من دمه في سيلك ، وانى
لفتاة نبيلة ، وبهذا الدم أعتز وعليه أغار . وهو
يجعلنى أرفع من أن أكون لك خليلة . وأقل من
أن أصبح زوجا لك .

دون كارلوس : اجعل منك أميرة .
دونيا سول : أيها الملك كارلوس ، هذه المعاثات الصبوية
أبقها لفتيات الهوى . والا ففى وسعى أن أريك
انى سيدة ، وانى امرأة اذا تماديت في جرأتك
ولم تحفظ على كرامتى

دون كارلوس : حسن تعالى وكونى شريكة لى في تاجى وفي اسمى
تعالى ستكونين ملكة . . . امبراطورة .

دونيا سول : لا . . هذا اغراء خادع . . طعم لاصطياد السمك .
وفوق هذا ، فاعلم يا صاحب السمو ، أنه اذا
وجبت المصارحة ، لقلت لك - ولو لم أعنك أنت
بالذات - اننى لا أبغى أحدا غير هرنانى ، فهو
مليكى ، ومعه أوثر أن أهيم على وجهى طوال

العام وأنا خارجة على القانون ولا سلطان لأحد
على ، أتمرس بالجوع والعطش ، وأقاسمه حظه
العائر بين الالهمال والحرب ، والنفي ، والفاقة
والجزع ، أوثر أن أكون معه بكل هذا ، على أن
أكون امبراطورة تجلس الى جانب امبراطور

دون كارلوس : شد ما هو سعيد هذا الرجل ! !

دونيا سول : حتى وهو فقير ومطارد ؟

دون كارلوس : ما أسعد ما يكونه الفقير المطارد اذ يحس أنه
محبوب ومرغوب فيه ! !

أما أنا فوحيد ، هذا في حين أن ملاكا كريما
يرعاه ويسير الى جانبه . . يبدو انك تبغضيني

دونيا سول : لأحبك .

دون كارلوس : (وهو يشد على ذراعها) اسمعى . . تحبيني أو
تبغضيني ، هذا أمر لم أعد أهتم به ستمضين معي ،
ان يدي أقوى من يدك . ستصحبيني لانني أريدك
وسترين جيدا اذا كنت حقا ملك اسبانيا والهند ،
ولى السلطان كله . . .

دونيا سول : (وهي تحاول أن تتخلص من قبضته) مولاي
أناشدك الرأفة . ماذا ؟

أنت صاحب سمو وصاحب جلالة ، وملك
يدك نبيلات ، دوقات ، مركيرات ، وكونتيسات ،
وما عليك الا أن تختار من بينهن من تشاء ، هذا
وسيدات القصر كلهن ، وفي كل وقت .

متحفزات على أن يبادلنك حبا بحب . ولكن
طريدى . . ما حظه من القدر الضنين ؟

آه لك قشتالة ، والأراجون ، ونافارا ، ومورسيا
وليون . . مع عشر ممالك أخرى . لك القلمنك ،
والهند ، بما فيها من مناجم الذهب ، لك
الامبراطورية الشاسعة التى لا تغيب عنها الشمس ،
والتي لم تنتهيا لعاهل من قبل ، فهل تريد ، على
كل ما تملكه أنت الملك القادر — أن تنزعنى
منه ، أنا الفتاة المسكينة ، في حين أن ليس له أحد
سواى ؟

(ترمى جائية على ركبتها في حين أن الملك
يحاول أن يشدها لتسير معه)

«دون كارلوس : سىرى معى . لن أستمع لشيء مما تقولين . . سىرى .
إذا صاحبتي جعلتك تختارين أربعا من مقاطعاتي
الاسبانية أهبها لك . قولى أيها تريدين ؟
(وهى تتقلب بين ذراعيه)

«دونيا سول : لا أخذ منك شيئا سوى هذا الخنجر يامولاى
لأدافع عن شرفي .

(وتنزع الخنجر المعلق في حزام سترته فبتر كها
مراجعا خطوة)

تقدم نحوى الآن . . اخط خطوة واحدة . .

«دون كارلوس : لاجب في أن تتدلى بشائر عاص .»

(يحاول أن يتقدم نحوها خطوة فتشرع الخنجر
عاليا في يدها)

دونيا سول : ان خطوات قتلتك وقتلت نفسي .

(يتراجع خطوة بينما هي تستدير ناحية وتصيح)
هرنانى . . هرنانى .

دون كارلوس : اصمتى .

دونيا سول : (والخنجر مشرع في يدها) خطوة واحدة وينتهى
كل شيء .

دون كارلوس : سيدتى أمام هذا التمرد ، لم يبق مجال للتلطف معك
هناك ثلاثة من أتباعى وفي وسعهم ارغامك على
ما أريد

هرنانى : (وقد ظهر فجأة من وراء الملك) نسيت واحدا
آخر .

(يستدير الملك فىرى هرنانى وقد وقف لا يبدى
حراكا ، مشبكا ذراعيه فوق صدره وقد لفته
عباءة واسعة ، وارتفعت حوافي قبعته فظهر وجهه
واضحا وتبدر من دونيا سول صرخة ثم تترتمى
بين ذراعيه)

المشهد الثالث

دون كارلوس — دونيا سول — هرنانى

هرنانى : (في هيئته السابقة الذكر وقد صوب نظراته البراقة
نحو الملك) وتشهد السماء أننى كنت أجد في طلبه

في كل مكان ، وها هو ذا في منال يدي !!

دونيا سول : هرناني انقذني منه .

هرناني : اطمئني يا هواي .

دون كارلوس : وماذا يفعل أصدقائي هناك في المدينة ، وكيف
يتركون الزعيم البوهيمي يدخل على !!

(مناديا) مونتيرو

هرناني : جميع أصدقائك تحت سلطان رجالي ، فلا تستنجد

بسيوفهم العاجزة . لولبي نداءك ثلاثة منهم .

فان ستين من أعوانى سيفدون اذا دعوت .

والواحد منهم يوازي أربعتكم . لنته من تصفية

حساب هذا النضال . ما هذا ؟ ترفع يدك على هذه

الشابة !! لا يجرؤ على اتيان هذه الفعلة غير

الأحمق ، غير الجبان ياملك قشتالة .

دون كارلوس : (مبتسما في ازدياء) أيها المولى قاطع الطريق . .

ليس لمثلك أن يتوقع بلوم على مثلي .

هرناني : هو يسخر !! لست ملكا ، ولكن اذا أهانني

ملك وسخر مني ، فان غضبي يرفعني ويطيئ من

قامتي بحيث تعلو قامته . ثم حذار ، فان من

يهينني يفرع من روية احمرار جبينى أكثر مما

يخاف الشعار على خوذة الملك وانك لمعتوه اذا

راودك الأمل في انك ستخلص من يدي .

(ممسكا بذراع دون كارلوس)

أتعرف صاحب اليد التي تمسك بك الآن ؟ أصغ

إلى ، قتل أبوك أبي فأنا أبغضك . . وسلبتني لقبى

وثروتى فأنا أبغضك.. وكلا نأمدله نى حب امرأة واحدة
فأنا أبغضك. أبغضك. نعم أبغضك من كل جوانحى

دون كارلوس : عظيم . . .

هرنانى : نسيت حقدى عليك تلك الليلة ، ولم يكن يملأ

نفسى غير رغبة واحدة وشوق واحد ، ولم أكن
أهتم الا بأمر واحد . . أن ألقى دونيا سول .

كان الحب — وهو ملء جوانحى — يدفعنى دفعا
الى هذا المكان . ولكن — ويا عجباً — أفاجئك
وأن تحاول أن تنال منها أمرا مشينا !!

يا لله . . ما هذا الذى يجرى !! كنت قد نسيتك
فاذا بى أيها المولى أتعثر بك فى طريقى .

ها أنت ذا تقع فى شرك لا منجاة لك منه ، ولن
يفيدك للخلاص منه صراخ واستنجد . أنت الآن
فى قبضة يدى وحيدا منفردا ويحاصرك أعداء
من كل صوب . فما أنت صانع ؟

دون كارلوس : (بكبرياء) أتسألنى أنت ؟

هرنانى : كن مطمئنا فلن أكل أمر عقابك الى ذراع خامل

مجهول ، ولن أضيع على انتقامى بأن ينالك أحد
غيرى . . دافع عن نفسك .

(يشهر هرنانى سيفه)

دون كارلوس : اننى الملك مولاك . اطعن اذا شئت ، ولكن لن

تقوم مبارزة بينى وبينك .

هرنانى : تذكر أن سيفى قارع سيفك أمس

دون كارلوس : كان ذلك في الأمس ، إذا كنت أجهل اسمك ،
و كنت أنت تجهل اسمي ومرتبتي ، أما اليوم أيها
الرفيق ، ، فكلانا يعرف الآخر

هرنان : ربحا

دون كارلوس : لا مبارزة . . اقتلى . . تقدم !!

هرنان : أو تحسب اننى ممن يرون في الملوك قداسة تعصمهم
من كل شيء ؟ لا . . دافع عن نفسك

دون كارلوس : لك أن تقتلى .

(يتراجع هرنانى الى الوراء تحقق به نظرات نسر
من جانب دون كارلوس) واها لكم ياقطاع
الطريق !! أو تحسبون أنه في وسع عصاباتكم
الشريرة أن تزرع الاثم في البلاد ، وتثير الرعب ،
وتعتدى ، وهى تقتل وتنهب ، من غير أن ينزل
بها القصاص ؟ ثم يحلو لها بعد ذلك أن تتعاطى
مظاهر النبيل ، وتطلب الينا نحن من كنا هدفنا
لاعتدائهم ، ان نشرف خناجرهم بأن تقارع
سيوفنا !! لا ، لن يكون هذا ، ان الجريمة تدمغ
جباهكم . . أينما ذهبتم !

لا . لن تقوم مبارزة . . الى الوراء . . أو اقتل .
(يريد وجه هرنانى ، وقد أخذ برهة إلى
التفكير ، وإلى مداعبة قبضة سيفه ، ثم يستدير
فجأة نحو الملك ويكسر سيفه أمامه)

هرنان : اذهب .

(يستدير الملك نصف استدارة نحو هرنانى وهو
يرمقه في استعلاء)

سنلتقى في مجالات أفضل من هذه . . اذهب .

دون كارلوس : حسن ياسيدى سأذهب . وبعد ساعات سأكون
بقصر الحاكم . أناملكك وسيكون أول عمل
أقوم به أن أستدعى القائم على الخزانة العامة . .
ألم يرصدوا جائزة مالية لمن يأتي برأسك ؟

هرنانى : بلى .

دون كارلوس : يا أستاذى . . أعتبرك منذ اليوم نائرا وخائنا .
وانى أنذرك سأطاردك في كل مكان . وسأذيع
اننى أسقطت عنك جميع الحقوق المدنية . وانك
منفى من جميع أرجاء مملكتى .

هرنانى : انى لكذلك من قبل .

دون كارلوس : حسن وسرى . .

هرنانى : ولكن فرنسا قريبة من اسبانيا . وهى ملجأ
أمين .

دون كارلوس : سأكون امبراطور ألمانيا . سأعلن نفيك وأبيع
دمك .

هرنانى : افعل ما يحلو لك . ستبقى لى بقية من العالم لا
يمتد اليها سلطانك .

دون كارلوس : وإذا ملكت العالم بأسره ؟

هرنانى : حينئذ يبقى لى القبر .

دون كارلوس : سادق رأس مؤامرتكم الوقحة .

هرنان : الانتقام أعرج ، يسير على مهل . ولكنه يصل إلى ما يريد .

دون كارلوس : (وهو يضحك ساخرا بجانب من فمه) أنا ألمس بيدي المرأة التي يتعشقها قاطع طريق !!

هرنان : اذكر انك ما برحت في قبضة يدي . ولا تنس أيها القيصر الروماني المقبل . انك الآن رهن كفي ، وأراك بين أصابعي شيئاً هزيباً هشا . بحيث إذا شددت على هذه الكف التي هي مني . سحقت داخل البيضة نسر ك الامبراطوري

دون كارلوس : افعل .

هرنان : اخرج .. قلت لك اخرج

(يخلع عباءته ويلقي بها على كتف الملك)

اهرب ، واياك أن تنحى عنك هذه العباءة . لانني أخشى عليك ، بدونها ان تنالك نصال رجالي

(الملك يندثر في العباءة)

انطلق مطمئنا الآن . ان ثأري منك لن يقوم به أحد سواي ، ولن أنخلي عنه ليد غير يدي المتعطشة إلى دمائك ، وفي هذا ما يجعل رأسك مني شيئاً مقدساً أحافظ على سلامته .

دون كارلوس : أيها السيد ، يامن جرؤت على مخاطبتي على هذا

الوجه ، لا تسألني يوما رحمة ولا غفرانا .

(يخرج)

المشهد الرابع

هرناني — دونيا سول

دونيا سول : (ممسكة بيد هرناني) والآن فلنسرع بالهرب

هرناني : (وهو يبعدها عنه في لطف ووقار) يا حبيبتي ،
يجمل بك أن تراجعى أمرك .

انه لشعور نبيل وكريم أن تبقى مصرة على أن
تشاركيني قدرى الجائر ، وعلى ألا تراجعى عن
أن تكونى إلى جوارى طوال أيامى حتى النهاية .
شعور كريم لا يصدر الا عن قلب ملؤه الوفاء و
والاخلاص . الا أننى يا الهى — لا أبجد الراحة
في هذا ، فأننى رغم سعادتي ، اذ أرانى أضمر إلى
جانبى هذا الكنز من المحاسن ، ورغم ما أحسه
من الزهو ، إذ أبجد دونيا سول طوع أمرى وملك
يمينى أثرت غيرة الملك ، فان كل هذا ينخلد بي
إلى الخجل ويسلمنى إلى ونز الضمير . ان
منصة الاعدام أصبحت قريبة منى ، ولم يعد
أمامى متسع في الحياة .

دونيا سول : ما تقول ؟

هرناني : هذا الملك منزل بي عقابا لاشك ، لاننى واجهته ،
ثم جروئت على العفو عنه قادرا ، انطلق هاربا

من هنا ولعله الآن في قصره يحيط به أعوانه
وحراسه وخدمه والجلادون .

دونيا سول : يا الهى ، هرنانى انك تجعلنى أنتفض رعبا . . هيا
لنسرع بالفرار جنبا الى جنب . . .

هرنانى : جنبا إلى جنب . . لا . . لا ، ان الوقت قد فات
ويا للأسف ! !

دونيا سول . . . حينما تنازلت فخصصتني
بحب هو الاعزاز والغوث ، استطعت على
فقري ، وبؤس حالى . . أن أقدم لك غابتي
وجبلى ، ومشرى من السبيل المتدفق ، ثم زادنى
جرأة ، اشفاقك علىّ ، فبذلت لك خبر الطريد ،
وجانبنا من مرقدى الأخضر المبطن بالعشب الذى
أهدته لى الطبيعة ، أما أن أمنحك اليوم نصف
منصة الاعدام ، فلا ، وأرجوك المعةرة ، دونيا
سول ان هذه لى أنا وحدى من غير شريك .

دونيا سول : ومع ذلك سبق أن وعدتني بها

هرنانى : (جاثيا على ركبتيه) أيها الملاك . في هذه الساعة
التي أرى فيها الموت مخلقا فوق رأسى ، اذ أنا
أحسه وهو يقترب منى متسللا في الظلام ليضع
نهاية مخزنة لحياة ملوؤها الأحزان ، أرفع الصوت
عاليا بأنى - رغم كونى طريدا ، أنوء بأثقال
الهجوم وقد ولدت في مهد ينضح بالدم ، وعشت
حياة لها سواد الحداد . . أرفع الصوت بأنى
رجل سعيد ، وأود أن يحسدنى الناس ، لأنك

أحببتني ، لأنك صارحتني بهذا الحب ، لأنك
باركتني همسا ومسحت اللعنة التي تعلو جبيني .

دونيا سول : (وقد انحنت برأسها فوق كتفه) هرناني .

هرناني : فلاحمد لهذا القدر الرفيق الحاني . إذ وضع
هذه الزهرة على حافة الهاوية التي تنتظرنى

(يهم هرناني واقفا)

ولا أعترف بما قلت لكى تسمعيه ، ولكن لكى
تردد أصداءه السماء وليصل الى مسامع الله .

دونيا سول : اسمح لى أن أتبعك .

ه ناني : انها لجريمة أن نقتلع الزهرة ونحن نتحدر في الهاوية
يكفى اننى تنشقت أريجها . لا . . صلى أيامك التي
كدت أكدر صفوها بأيام رجل غيى . تزوجى
ذلك الهرم . أنت في حل منى . سأعود أنا الى ليلى
الملهم السواد ، كوني سعيدة ولوذى بالنسيان .

دونيا سول : كلا . . سأتبعك . أريد حصنى من كفتك . .
أربط نفسى بأقدامك

هرناني : (وهو بضمها بين ذراعيه) آه . . دعيني أهرب
وحيدا

(يحاول الابتعاد عنها)

دونيا سول : (في حزن وقد أمسكت إحدى يديها بالأخرى .)
هرناني ، أتهرب منى ؟

مجنون من يهب حياته لمن يمعن في الابتعاد عنه .

أليس من حقى - بعد ما كابدت من آلام
الحب ومتاعبه - أن أسعد بالموت الى جواره ؟

هرنانى : اننى مجرم منى . . أنا طريد . . أنا شؤم وبؤس
وشقاء

دونيا سول : أنت جحود ناكر جميل .

هرنانى : (وهو يعود) لا ، لا . . ها أنا ذا باق . . أنت
تريدين ذلك ، فليكن ، تعالى بين ذراعى ،
سأبقى . . سأبقى ما أردت أنت هذا . البقاء
لنفس مافات . . لنجلس

(وهو يجلسها على مقعد حجرى)

اجلس فوق هذا الحجر . .

(وهو يجلس عند قدميها)

النور وقد اشتعل فى عينيك يبهز ناظرى . هيا
انشدى ما كنت تنشدينه أحيانا والليل ساج
كنت تنشدين والدمع يحول فى عينيك الدعجاوين
لنكن سعداء لنمرح ، لنحتس الكأس فقد قاربت
أن تفيض بما فيها . . هذه الساعة لنا ، وما تبقى
بعد ذلك فهباء وخيال . تكلمى ، أفرغى علينا
فتنة وسحرا .

ألا ترين ما أحلى الحب ؟ وما أمتع أن ترى من
تحبين يجثو دائما عند قدمى محبوبته ؟ ! ثم ما أروع
أن نكون اثنين منفردين يتشاكيان الجوى فى الليل
والناس يغطون فى النوم ! !

دعيني أسند رأسي الى صدرك وأستسلم الى الحلم
الجميل

دونيا سول : يا غرامي .. ما أبدع ...

(يسمع من بعيد قرع أجراس)

دونيا سول : (تهب واقفة وقد تملكها الفزع) ناقوس الخطر
يدق لإيقاظ الناس

ألا تسمع ناقوس الخطر ؟

هرناني : (مالبث جاثيا على ركبتيه) ليس هذا ناقوس
الخطر . انه الناقوس الذي يعلن عرسنا

(تزداد عنفا دقات النواقيس وتخالطها صيحات
غير واضحة المعالم ، وتظهر وسط الظلمة مشاعل
تضيء هنا وهناك ، وأنوار تسطع في النوافذ وعلى
أسطح المنازل)

دونيا سول : انهض .. اهرب .. يا الهى ان سرقسطة تشتعل .

هرناني : (وقد هب في نصف قومة) سيكون لنا عرس
على أضواء المشاغل .

دونيا سول : عرس الموني . عرس المقابر .

(يسمع صليل سيوف وصراخ)

هرناني : (وهو يضجع على المقعد الحجري) الى صدرى ..

أحك الجبلين : (وهو يدخل وسيفه في يده) مولاي ان رجال
الشرطة والحراس يتدفقون جماعات خلف
جماعات في الميدان . تنبه ونخذ حذرنا يا سيدى ..

(يهب هرنانى واقفا)

دونيا سول : (وقد علاها الشحوب) كنت أتوقع هذا .

أحد الجبلين : النجدة . .

هرنانى : (الى الجبل) هأنذا وعلى تمام الاستعداد .

(أصوات من الخارج تصيح الموت لقاطع الطريق)

هرنانى : (الى الجبل) هات سيفك (الى دونيا سول)
الوداع .

دونيا سول : أنا من عملت على فقدك . الى أين أنت ذاهب؟
(تشير الى الباب الصغير) تعال . . لنهرب من
هذا الباب .

هرنانى : يا الهى . . أترك رفاقي ! ! ماذا تقولين ؟

(ضجيج وصياح)

دونيا سول : هذا الصراخ يمزق قواى . (ممسكة بهرنانى) اذكر
أنك اذا لقيت حتفك فانى لاحقة بك .

هرنانى : (وقد أمسك بها في عناق) قبلة .

دونيا سول : روحى ، سيدى . . هرنانى

هرنانى : (وهو يطبع قبلة على جبينها) ويحى هذه هى
القبلة الأولى .

دونيا سول : أسفاه . . ولعلها القبلة الأخيرة .

(ينطلق هرنانى خارجا وتقع هى على المقعد الحجري)

(ستار)

الفصل الثالث

قصر دى سيلفا

(ويقع في جبال مقاطعة أراجون)

هو قامت به صور كبيرة لوجوه من أسرة دى سيلفا ، بهو واسع الأرجاء تزينه هذه الصور وقد علقت على الجدران ضمن اطارات ثمينة تعلوها تيجان الدوقية وشعاراتها . وبين هذه الاطارات تقوم مجموعات من أسلحة ، كل واحدة منها تنتمى الى عصر من العصور . وفي مؤخرة البهو باب كبير على الطراز القوطى .

المشهد الأول

دونيا سول : (وقد ارتدت ثوبا أبيض اللون ووقفت الى جوار
نضد)

روى جومير

دى سيلفا : (جالس على المقعد الدوقى الكبير المصنوع من
خشب السرو)

روى جومير

: أخيرا . . لن ينقضى هذا النهار ، بل لن تمر
ساعة من الزمن يا دوقى ، الا أصبح لك الزوج ،
بعد أن كنت لك العم . ولكن أخبرنى هل
صفحت عني حقا ؟ كنت مخطئا . . أعترف

بذلك . . كنت السبب في أن يحمر جبينك وفي أن
تعلو الصفرة خديك . . كنت متسرعا في شكوكي
.. وما كان لي أن أقضي بأمر في حقك قبل أن
أسمعك . ما أكثر ما انتورط في اصدار أحكام
خاطئة ! ! حقا كان هناك الشبان الوسيمان
ولكن ماذا يهم ؟ كان يجب ألا أحكم بما رأيته
عيناى . ولكن ماذا تريدن يا صغيرتى . . انها
الشيخوخة ! !

دونيا سول : (في جمود وفي تحرز) تعيد ذكر هذا الحديث
دائما ! ! هل لامك أحد في شيء ؟

روى جومير : أعترف أنا المذنب . كان يجب أن أعرف أن من
لها نفس مثل نفسك يا دونيا سول ، يجرى فيها
الدم الاسباني الأبى ، لا يمكن أن يدير رأسها
عبث من معابثات الهوى .

دونيا سول : حق يا مولاي انه دم أبى ونقى وقد نرى مصداق
ذلك عما قريب (١)

روى جومير : (ينهض ويقترب منها) أصغ الى . بعدنا علينا أن
نسيطر على فعالنا حينما تقع في شرك حب مثل
حبي اياك . . ويكون هذا الحب في الوقت نفسه
طاعنا في السن . ثم . . . هو يكون غيورا ويكون
نجيша . . ولماذا ؟ لأن السن تكون قد تقدمت بنا ،
لأن الوسامة واللطافة في الآخرين ، تخيفنا

١ - لعل في هذه العبارة تلويحا غامضا انها تعتمزم الانتحار .

وتهددنا ، وتسلمنا في الوقت نفسه الى أن نخرج
من نفوسنا .

ثم يا للسخريّة ! ! ان هذا الحب يدبّ على قدم
واحدة فهو ، وان أعاد الى القلب نشوته
وحرارته ، فانه ينسى الجسم . . لا يعيد اليه شبابه
وفتوته . نعم واني كذلك

ويقع أخبانا أن يمر بي راع في مقتل الشاب وهو
يغنى في خفة في حين أن أجدني نهب تأمل عميق
جاد . وبينما هو يضرب بسيره في مروجـه
الخضر ، أراني أسير في دروب قصرى القام .
ايه أيتها الأبراج ذات الشرفات العالية . .

ايه أيها البرج الدوقي الشامخ والطاعن في القدم !
شدا أنا مستجيب الى أن أتنازل عنك ! ! نعم
أعطيك ، كما أعطى حنطى ، وغاباتى ، وقطعاني
الكثيفة التى تجتر العشب في تلالى بل وكم يسعدنى
أن أنزع عنى اسمى القديم ، ألقابى العتيقة ،
أطلالى القائمة . . وأن أخلع عنى أسلافي الذين
يترقبون أن أصير اليهم . . أنزل عن كل هذا ،
في مقابل كوخ هذا الشاب الحديث العهد بالبناء ،
ومن أجل أن يكون لى جبينه المشرق ، وشعره
الفاحم السواد وعينه التى تلمع مثل عينك أنت .
فاذا وقع نظرك عليه لم تتمالكى عن أن تقولى :
آه . . من هذا الشاب ! ! ثم سرعان ماتعودين

الى التفكير في شخصي أنا الشيخ الذي أثقلتني
السنون !! !

أعرف كل هذا ..

حق أن اسمي (سيلفا) ، غير أنه لا يكفي ، كما
أنه لا يعوضك شيئاً فتأمل اذن مقدار حي لك !! !
انني أعطى كل شيء في سبيل أن أعود شاباً
ووسيماً ، كما أنت شابة وجميلة .

ولكن ما الفائدة في أن أتمادي في هذا الحلم ؟
أنا أعود الى الصبا والجمال ؟ أنا من سيتقدمك الى
القبر ؟

من يدري ؟

دونيا سول

ولكن اسمي - وصدقيني فيما أقول :

روى جومير

أن ما يحمله كل من هذين الفارسين الطائشين في
قلبه ، لا يزيد عن كونه عاطفة تفتى مع الكلام .
فاذا استسلمت فتاة الى حب أحدهما المراهقين
فلا تلبث أن تفضى بحبها ، وهو واقف يسخر
منها !! !

أن شأن هؤلاء المراهقين العابثين ، شأن عصافير
الزينة ، لها الريش الملون الجميل ، والصوت الغريد
الحنون الا أن حبهم لا يستقر على حال اذ هو
دائم التغير ، شأن الريش في أجنحتهم .

أما نحن .. فنجيد الحب ، ونصدق فيه ونفنى ،
لأنه في قلوبنا عقيدة راسخة .

حق أن أقدامنا ثقيلة الخطا . . أليس كذلك ؟ . .
وان نظراتنا يعوزها الدفء . . كما أن جباهنا
تخططها الغضون ، ولكن قلوبنا لا تعرف هذه
الغضون والتجاعيد .

ثم ان الشيخ - وأسفاه - اذا أحب فواجب أن
تحوطه أسباب الرفق والرعاية . ان القلب لا يهرم ،
هو في شباب دائم ، وفي وسعه دائما أن يتفصدهما .

ثم . . ثم اعلمى أن حبي ليس العوبة من الزجاج
تلمع ، يرتعش الضوء عليها ويرقص ، بل هو حب
عنيف صارم ، عميق الأغوار ، متين ، مستوثق من
ذاته ، أبدي ، ودّي ، وفيه صلابة خشب
السنديان الذي صنع منه هذا الكرسي الدوقي . .
كذلك حبي لك . .

بل هو يتجاوز كل هذا ، ، في دلالتة وفي
أسلوبه . .

ان حبي لك ، شوقي الى طلعة الفجر ، ونضرة
الزهر ، واشراقة النور في السماء . واني لأصخب
فرحا وابتساما ، بل أحس أنني أعيش أفراحا
لا تنتهى ، ومآدب . . لا تنقضى ، كلما شاهدتك
أنت كل يوم ، نعم أنت . . وأنت تتمايسين
دلالا ، وتتمايدين في خطوطك الرشيق ، ولك الجبين
الوضاء ولك العين الدعجاء ، المتألقة والنظرة الشاحخة .

دونيا سول : وا أسفاه !

روى جوميز : ثم هناك أمر آخر . .

ان الناس يقفون أمام مظهر رائع من مظاهر الجمال والرافة حينما يرون رجلاً وقد استسلم بحود بروحه على مهل ، بحيث اذا أوشك أن يقف على حافة القبر وجدوا امرأة تقف الى جانبه ، هي الملاك في طهارته ، والحمامة في وداعتها ، تسهر عليه وترعاه ، وتسكنه الى جوارها وتكابد في علاجه وتتألم . . هذا الشيخ الطاعن في السن الذي لم يعد يصلح لأمر الا أن يموت .

ألا ترين ان هذا عمل مقدس جدير بالثناء والا كبار لأنه نبض قلب يفيض بالبروة والمودة !!

وما أروع القلب اذ ينحنى يواسى الراحل عن هذه الدنيا ويتظاهر بأنه يحيطه بالحب ، وان كان هذا القلب لا يحب حقاً !!

ستكونين أنت منى هذه المرأة التي تحمل قلب ملاك ، وسترعين نهاية أيامى رعاية شطر منها هو حنان الابنة ، وشطر منها هو اشفاقة الأخت .

دونيا سول : قد أسبقك الى القبر يامولاى ، بدلا من أن ألحق بك . . اننا لا نعرف متى نموت ، والصبا لا يعصم من الموت وأسفاه ! . وكثيرا ما يبطل الشيوخ ، في حين يسرع الشباب ، وتنغلق جفونهم على العيون ، كما تنطبق جنادل وصفائح على قبر مفتوح .

روى جوميز : هذا كلام محزن وكئيب ، اذ يجيء في يوم له
قداسته . انه يوم يجب أن يكون للهزة والمرح . .
ولكن ما هذا ؟ أراك لم تنتهيء بعد للذهاب الى
الكنيسة ؟ هيا وارتدى ثياب العرس . انى أحسب
اللحظات .

دونيا سول : ما برح هناك متسع من الوقت.

روى جوميز : بل لم يعد . . (يدخل أحد خدام القصر)
ما وراءك أيها المراقب ؟

الخادم : بالباب رجل يامولاى ، وما أدري أهو من الحجاج
أم من المتسولين !! المهم في الأمر انه يلتمس
المأوى في القصر . .

روى جوميز : مهما يكن من أمره فهو على الرحب والسعة ، ان
السعد في ركاب الوافدين . ليدخل ، وفيما عدا
ذلك ما عندك من الأخبار ؟ وماذا سمعت منها
خاصا بزعيم قطاع الطرق . هذا المتمرّد الذى
خرج على القانون ، وأثار العصيان في غاباتنا .

الخادم : انتهى أمر هرنانى ، وقضوا على أسد الجبال

دونيا سول : (منفردة) يا إلهى

روى جوميز : أفصح .

الخادم : تفرقت العصانة وتحطمت ويقولون ان الملك نفسه
تعقب آثارها وهو يرصد الآن جائزة قدرها ألف
قطعة ذهبية تحمل صورته ، لمن يأتى برأس
هرنانى . والشائع على الألسن أنه قتل .

دونيا سول : (على حدة) ماذا ؟ أهكذا تموت يا هرناني وحدهك
وبدونى !!

روى جومير : حمدالله ، مات النائر العاصى ، ولنا أن نبتهج
الآن يا جمياتى ، يا كبرياتى وزهوى ، هيا . .
ارتدى ثياب العرس وتجملى ، اليوم لنا عيد وعيد .
دونيا سول : (منفردة) سأرتدى ثياب الحداد

روى جومير : (الى الخادم) اسرع وأحضر الحلية التى اخترتها
هدية لها (وهو يجلس على المقعد الكبير)
بى شوق الى أن أراها فى زينة تشبه تلك التى عليها
صورة العذراء ، ان جمالها اذا تألق فى حلاوة
عينها ، وفي طرافة الحلية التى أهديتها اليها . لم
يملك العابد المتبتل الا أن يجثو أمامه . . .
ولكن ما هذا !! انصرفت عن الرجل الذى جاء
يلتمس المأوى عندنا . . قل له أن يدخل ، وأبلغه
اعتذارنا اذ أبقيناه فى الخارج . . أسرع .

(ينحنى الخادم ويخرج)

من سوء الأدب ترك الضيف ينتظر

(ينفتح باب المؤخرة ويظهر هرناني متذكرا فى
زى أحد الحجاج وينهض السدوق ويسرع
لاستقباله .)

المشهد الثاني

روى جومير - هرناني

هرناني : (وهو على عتبة الباب) مولاي . . انى أحمل
اليك السلام والسعادة .

- روى جومير : ولك مثلها يا ضيفى . .
- (يتقدم هرنانى . ويجلس الدوق على المقعد)
أمن الحجاج أنت ؟
- هرنانى : نعم يامولاى
- روى جومير : جئت ولا شك من أرميلاس ؟
- هرنانى : سلكت طريقا آخر لأنهم يتقاتلون في ذلك الطريق
- روى جومير : يقاتلون عصابة ذلك الطريد المنفى . أليس كذلك
- هرنانى : لا أدرى
- روى جومير : وزعيمها هرنانى . . أتعرف ماذا انتهى إليه أمره ؟
- هرنانى : أيها المولى . . ومن يكون هذا الرجل ؟
- روى جومير : ألا تعرف ؟ خسارة . أضعت مبلغا كبيرا من المال . . مكافأة رصدت لمن يأتى برأسه . اعلم أن هرنانى متمرد على الملك ولكنه ظل مدة طويلة من غير أن يناله عقاب . . إذا انتهى بك المطاف إلى مدريد ، فيمكن أن تراه وهو معلق في المشنقة
- هرنانى : ليست مدريد في طريقى
- روى جومير : ان رأسه ملك لمن يناله
- هرنانى : (منفردا) ليتقدم من يريد أن يناله
- روى جومير : أى مكان تقصد أيها الحاج الصالح ؟
- هرنانى : سرقسطة أيها المولى .
- روى جومير : لتفى ولا شك بنذر نذرته على شرف أحد القديسين ، أو لسيدتنا العذراء ؟

- هرنانى : نعم يادوق . لسيدتنا العذراء .
- روى جومير : سيده بيلار .
- هرنانى : نعم سيده بيلار .
- روى جومير : جحود ووضيع من لا يفى بندوره للقدسيين .
ولكن ما مقصدك بعد أن تفى بندرك ؟ أن تكتفى
بمشاهدة العذراء فحسب ؟
- هرنانى : نعم أريد أن أملاً ناظرى بالشعل والشموع .
وبالسيده العذراء وقد استقرت في نهاية الرواق
المظلم وهى تسطح داخل صندوقها الوهاج الذى
يتضمن بعضاً من مخلفاتها .. أملاً ناظرى بكل
هذا ، ثم أعود .
- روى جومير : عظيم جداً . . وما اسمك يا أخى ؟ أنا روى
جومير دى سيلفا .
- هرنانى : (مترددا) اسمى ؟
- روى جومير : أبقه سرا إذا أردت ، فليس لأحد هنا أن يعرفه —
أجئت تلتمس المأوى ؟
- هرنانى : نعم ادوق .
- روى جومير : أهلا وسهلا ولك كل ما تريد أما اسمك ، فهو
ضيفى ، ولتكن من تكون . انى لأمنح الشيطان
ضيافى ، مادام الله أرسله لى .
- (يفتح باب المؤخرة على مصراعيه وتدخل دونيا
سول مرتدية ثياب العرس في زيه القسطلانى ،

وخلفها غلمان وخدم ، وسيدتان تحملان ، على
وسادة من المخمل ، صندوقا مجدولا بالفضة ،
ويدعانه على المنضدة ، هذا وفي داخل الصندوق
التاج الذى تلبسه الدوقة وقد وضع داخل علبة
ثمينة ثم أخلاط من عقود وأساور وجوهر (
(هرنانى ، وقد فوجئ بهذا المنظر ، يلتقط أنفاسه
مبهورا وقد استقرت عيناه على دونيا سول ،
ولم يعد يصغى إلى ما يقوله الدوق)

المشهد الثالث

السابقان — دونيا سول — غلمان وخدم ووصيفات

روى جومير : (مستمرا في حديثه) وهاك سيدتى أنا ، سيدتى
العدراء ، وإذا ابتهلت إليها جاءك السعد والاقبال
(يهب واقفا ويمد يده إلى دونيا سول التى عراها
جمود واصفرار ثم يقدم دونيا سول إلى (الضيف)
زوجتى الحسنة . . تعالى . . ما هذا ؟ ألم تضعى
بعد خاتم الخطبة في إصبعك؟ والتاج على رأسك؟
هرنانى : (منفجرا في صوت يرعد) من يبغى ألف
دينار ذهباً

(يلتفت إليه الجميع وقد لبسهم العجب ثم يشق
هرنانى ثوب الحاج الذى يرتديه ويظهر في لباس
أهل الجبل)
أنا هرنانى

دونيا سول : (منفردة في فرح شديد) الهى !! انه حى .

هرناني : (الى الخدم) أنا هو ذلك الرجل الذى يبحثون عنه
(الى الدوق) كنت تريد إذا كنت أسمى
بيريز أو دياجو ؟ لا . . لست واحدا منهما .
اسمى هرناني ، وهو اسم أغلى وأشهر منهما
لأنه اسم منفى وطريد مطلوب . أترى هذا
الرأس ؟ انه يساوى من الذهب ما يكفى دفع
نفقات عرسك .

(إلى الخدم)

هذا الرأس أعطيه لكم جميعا وستنقلون عنه مالا
كثيرا ، خذوا هذا الرأس هيا . . أوثقوا يدي ،
ضعوا الأغلال في قدمي ، تقدموا ولا تهابوا
شيئا ، فاني مكبل بسلسلة لا أقوى على تحطيمها .

دونيا سول : (منفردة) ما أشد تعاستي !!

روى جوميز : هذا جنون . . ان ضيفى مجنون .

هرناني : ضيفك قاطع طرق !

دونيا سول : لا تلقوا بالا الى ما يقول .

هرناني : قلت ما يجب أن أقول .

روى جوميز : ألف دينار ذهباً . . يا سيدي هذا مبلغ كبير من
أمال . . ولا أثق في كل رجالى .

هرناني : وماذا يهم !! من الخير أن يكون بينهم واحد
يغريه هذا المال .

(الى الخدم)

أسلموني . . خذوا ثمن رأسي .

روى جوميز : (وهو يحاول اسكات هرنانى) حسبك والاول وجدت
بينهم من يأخذك بكلامك

هرنانى : (مستمرا) أيها الأحياء . . الفرصة سانحة . .
أوكد لكم أننى هرنانى المطارد الثائر . .

روى جوميز : صمتا

هرنانى : أنا هرنانى

دونيا سول : (وهى تهمس فى أذنه) وماذا بعد ذلك ؟ اصمت

هرنانى : (مستديرا نحو دونيا سول) عرس يقام هنا !
وأنا بدورى أريد أن يكون لى عرس إن عروسى
تنتظرنى أيضا .

(الى الدوق)

هى دون عروسك^١ جمالا يامولاي ، ولكنها
ليست أقل وفاء . . عروسى هي الموت (الى
الخدم)

ألم يتقدم أحد منكم حتى الآن ؟

دونيا سول : (فى صوت خافت) رجمة بي

هرنانى : أنا هرنانى . . ألف دينار ذهبيا .

روى جوميز : هذا هو الشيطان بعينه .

هرنانى : (مشيرا الى شاب بين الخدم) تعال أنت . تقدم

لتربح هذه الجائزة ستثرى ، وستصبح بعد ذلك
حرا بعد أن كنت خادما . .

(الى الخدم الذين جمعدوا فى أماكنهم دهشة)

وأنتم أيضا ترتعدون !! الى هذا الحد انتهى
مصاى ؟

روى جوميز : يا أخ . . ان من يمس رأسك ، يخاطر بفقد رأسه ،
ولو كنت أنت حقا هرنانى ، أو كنت من هو
أخطر منه وأسوأ مائة مرة فلن أبيع رأسك ولو
أعطيت امبراطورية بأسرها وليست حفنة من
الذهب .

يا ضيفى ، لك منى واجب الحماية حتى من
الملك ، ما دمت في هذا المكان ، ان الله هو الذى
أرسلك الى ، ومنه تسلمتك . انى أدفع حياتى اذا
سقطت شعرة واحدة من رأسك .

(الى دونيا سول)

يا بنة أخى ستصبحين زوجتى بعد ساعة فالجئى
الى غرفتك . سأولى تحصين القصر ، وسأوصد
أبوابه .

(يخرج يتبعه الخدم والغلمان)

هرنانى : (وهو يتأمل حزامه الذى خلا من السلاح) حتى
ولا مدة !!

(دونيا سول تخطو نحو الباب الكبير بضع خطوات
على أثر خروج الدوق تريد الانصراف ، ولكنها
تتوقف فجأة وتأذن لوصيفاتها بالخروج . فاذا
انصرفن تقدمت الى هرنانى يمزقها الألم والفرع)

المشهد الرابع

هرنانى - دونيا سول

(هرنانى يرمق باستخفاف صندوق الجواهر ثم
يهز رأسه وقد اتقدت عيناه)

أهنتك ، هذا أكثر لها أقدر على وصفه .
هذه الزينة وتلك الجواهر تجذب وتأسر . . انها
تستأثر بإعجابى . .

(مقرب من الصندوق القائم فوق المنضدة)

الحاتم في صنعه ينم عن ذوق مرهف . . وهذا
التاج يعجبني رواؤه ، والعقد خرج من يد صناع
مبدعة . . وهذا السوار ينذر أن يكون له مثل .
الا أن هذا كله يرخص ويفقد قيمته مائة مرة اذا
تحلت به امرأة تخفى وراء وجهها الصبيح قلبا
ملؤه الحزى والحيانة

(وهو مستمر في تقليب ما بداخل الصندوق باحدى
يديه)

وماذا أعطيت في مقابل كل هذا ؟ لى . . أعطيت
قليلا من الحب ؟

ولكنك في الواقع أعطيت من أجل شيء تافسه
لا يستحق . . ونخت العهد . يا الهى يا قادر . .
تخونين على هذا الوجه من غير استخذاء ولا خجل !
(يفحص علبة التاج)

ومع ذلك فقد يكون كل هذا الحلى مزيفا . .

اللالى مقلدة ، النحاس الرخيص يأخذ مكانـ
الذهب الثمين ، زجاج ، رصاص ، ماس كاذب ،
ياقوت مزور . . . اذا صح ما أقول فان قلبك
يا دوقه ، لابد أن يكون مزيفا مثل حليك . .
وأنت لست الى مسحة الذهب وليس الذهب نفسه !
(وهو يعود الى الصندوق)

ولكن لا . . لا . ان كل ما أراد أصيل وجيد
وجميل . ان شيئا يقف على حافة القبر لا يجرو
ان يخادع . . كل شيء أراه في تمام كما له وأصالته
(وهو يتناول بدوره قطع الحلى الواحدة بعد
الأخرى)

العقود والماس ، والأقراط ، وتاج الدوقية ،
والخاتم ، كله من أثنى ما يكون ، ان الحب العميق
الصادق الأمين لا يمكن أن يمنح الا ما هو ثمين
غال . وهذه العلبة الغالية . . .

دونيا سنول : (تتقدم نحو الصندوق وتمد يدها باحثه في أعماقه
لتخرج وفي قبضتها خنجر (يدك لم تهبط الى قاع
الصندوق . هذا هو الخنجر الذى انتزعته من
الملك كارلوس حينما كان يغربنى بأن يمنحنى
عرشا فرفضته من أجلك ، أنت يا من يهينى الآن

هرنانه : (وهو يركع) ويللى ! دعينى وأنا جاث على
ركبتى ، أمسح هذا الدمع المرير الذى تذرفه
عيناك الفاتتان ، ولك أن تأخذى حياتى ثمنا لهذا
الدمع .

دونيا سول : (وقد عاودها حنان) هرنانى . . أحبك وأعفو
عنك . لأننى لا أملك الا أن أحبك . .

هرنانى : هى تصفح غنى . . تحبى . . آه من فى وسعه أن
يجعل منى شخصا آخر . بعد أن قلت ما قلت .
لأسامح نفسى عما قلته لها وأغفر . ولا أعود الى
حبها ؟ آه أريد أن أعرف . ياملكا مختارا من
أملاك السماء . أين مواطى قدميك وأنت تسيرين
لأشبعها تقبيلًا .

دونيا سول : حبيبى .

هرنانى : لا . جدير بى أن أمقت نفسى . . ولكن أصغ
الى . . قولى لى أحبك . أعيدى الطسأنينة الى قلب
يمزقه الشك . أعيدى هذه القولة . فكم شفت
هذه الكلمات القليلة أوجاعا ومسحت آلاما .

دونيا سول : (فى غاية التأثر) أكان يظن أن قلبى على ضعف
فى الذاكرة بحيث يقذف الى خارجه من هو شغله
وهواه ، لينزل مكانه رجالا لا قيمة لهم وينطوون
على ميول دنيئة يزعمون انها أعلى مرتبة وأنقى
معدنا منه ؟

هرنانى : شد ما أنا آسف . . تناولت على الطهارة
وسببتها ، لو كنت مكانك يادونيا سول لعيل
صبرى وفى جلدى من تحمل هذا المجنون
الغاضب ، هذا المسوس الكئيب ، الذى
لا يلاطف غيره ويدللّه الا بعد أن يؤذيه ويؤلمه .
لو كنت مكانك لقلت له اغرب عن وجهى .

وهأنذا أناشدك أن تبعدني عنك . أن تقصيني
من جوارك . انى أرحب بهذا النفي . بهذا البعاد
لأريحك منى . كنت بى حفية ، ووسدتى الحنان
والرفق ، ولم تضيقى بما تحملت من أجلى ، انى
سيئ الخلق ، أسود نهارك بظلمة ليلى . . وان
هذا لكثير . . فان روحك أنفى وأرفع . واذا
كنت أنا على طبع خشن خبيث فما ذنبك أنت نى
هذا !! !

هيا تزوجى الدوق ، الشيخ ، هو كريم ونبيل ،
وواسع الثراء ، ورث عن أمه مدينة (أوليدو)
وعن أبيه مدينة (أنكادا) وسيكون لك ما هو
أكثر من هذا فاسعدى به وبثرائه .

أما أنا . . أفتعلمين ما تقدر هذه اليد ، على
سخائها ، أن تقدم لك من المنح والنفائس ؟ مهر
من الآلام تختارين فيها بين الدم والدموع .
النفى ، الاغلال ، الموت ، الفزع ، من هذا كله
يتألف عقدك الذهبى ، وتاجك الفخم .

ولن يستطيع زوج ذو اباء وشمم أن يقدم الى
زوجته غير هذا التاج الذى صيغ من البسوس
والأحزان .

تزوجى من هذا الشيخ الهرم . . انه يستحقك
ولأنت جديرة به .

من يصدق ان رأسى — وهو رأس شريد مطارد —

يصح أن يقف الى جانب رأس يتدفق الطهر من
جبينه . . هو رأسك ؟

ان المقارنة مستحيلة . .

ومن يطالع كلانا ، انت في وسامتك ، وهدأتك
وأنا في عنفي وجرائي . أنت في سكونك . وفي
رقة نموك كزهرة تينع في الظل ، وأنا في صخبي
وفي شرتي وقد اصطدمت بما لا يحصره عدد
الأنواء في هوج العواصف من يطالع
هذا ، ويحكم بأننا ولدنا تحت طالع واحد وأن
كلامنا للآخر ؟ لا ، لا . . ان الله الذي أنزل
بحكمته الأمور كما يجب أن تكون . لم يتدعك
من أجلى . فأنا لاسلطان لي عليك ، وليس لي الا
أن أستسلم ، وأن أتحنى وأوسع الطريق لغيري .
حق أن لي قلبك . . ولكن هذا سلب وسرقة ،
ويجب أن أردده الى من هو خالق به .

ان السماء لاتسمح بأن يستوثق حب بيتنا .

واذا قلت ان حبي هو قدرك ، أكون من
الكاذبين .

وفوق كل هذا ، فليس أمامي الآن الا أن أقول
وداعا للثأر وللحب ان يومى قد انتهى .
سأرحل لايرجى منى شئ ، حاملا بين ضلوعى
خجلا مزدوجا ، لقد منيت بالخيبة في الانتقام
وفي الحب .

ماذا أصنع ؟ دفعوا بي في طريق الكره والمقت ،

بينما أنا خائفت لأن أحب ! ! ساعيني ، اهـربني
مني . أتضرع اليك . . فلا تروى هذه الضراعة
لأنها آخر ما أصبو اليه .

كوني للحياة . . ودعيني للموت .

فلا أعرف لماذا تأحين في أن ترقدى معي في لحد
واحد ! !

دونيا سول : أيها الجاحد

هرنسان : يا جبال أراجون . . وجاليس . . واسترامادور (١)

انبي أحمل الشؤم والشقاء الى من يحيط بي .
أخذت زهرة شبابك لاسترداد حقوقي ، قذفت
بهم ، بلا وازع من ضمير الى جحيم المعارك .
وها هم أصبحوا في عداد الموتى ، وكانوا أشجع
من أنجبتهم اسبانيا الشجاعة .

سقطوا جميعا على الجبل ، سقطوا على ظهورهم
شأن الشجعان الذين يتلقون الموت بوجوههم—
ليسلموا الروح ، ولو تفتحت عيونهم لما وقعت
الاعلى السماء الزرقاء .

هذا ما أنزله بكل من يحيط بي ، فهل من مثل هذا
الحظ العاثر تغارين ؟

دونيا سول ، تزوجى الدوق . . اعقدى عقدا مع
الجحيم . . نخذى الملك ، كل هذا معقول وأهون

١ - أساء لمقاطع في اسبانيا ، وقد اختارها المؤلف خاصة لأن في أسائها رنيناً
يتسق مع ايحاء الشعر الذي ينظم به حوار هذه المسرحية .

شرا . كل ما ليس أنا خير مني أنا ! لم يبق لي
صديق يحصل ذكراي . الجميع يذوئي وتفرقوا
عني . وأخيرا حان الوقت لأن تبتعد عني . .
يجب أن أبتز وحيدا .

اهربني من صحبتي . لا تجمعان من الحب عقيدة
تأسرك .

آه شقيقة بي ورحمة . . اهربي مني . .

لعلك تحسبن انني رجل مثل بقية الرجال ، كائن
انسانى ذو ذكاء ورجاحة عقل ، ينطلق مباشرة
ومن غير التواء نحو تحقيق الهدف الذى يريده ؟
تخدعين نفسك . . انى قوة تسير لانه مقدر لها
أن تسير ، وهى لا تسمع ولا تبصر لأنها صدى
لأسرار جنائزية محزنة .
أنا روح الشؤم والتعاسة .

أين ينتهى بي المطاف ؟ لا أعرف !!

ولكنى أحس أنى أدفع دفعا من جانب قسوة
لا تقاوم ، ويبد قدر مخبول ، فاذا بي أهبط ...
أهوى . . ولا أمسك عن الهبوط أبدا . .

واذا وقع أحيانا ، وأنا التقط أنفاسى وجروئت أن
أدير رأسى لأرى أين أنا ارتفع صوت ينادى . .
سر . .

هذا والهوة تحنى بعيدة الأغوار ، تتأجج فيها النيران ،
وتهدر الدماء فلا أرى في قاعها إلا حمرة قانية .

ومع ذلك ، ففي أثناء انحداري المخيف ، أبصر
كل شيء حولي يتحطم ويفنى والويل لمن يمدّ يده
نحوى

آه . . اهربى . . حيدى عن طريقى الذى رسمه
القدر ، والا ، وبالشقوتى ، أذيتك من حيث
لا أقصد .

دونيا سول : رباه !!

هرنانى : انه شيطان مخيف ومهاب وقادر ، هذا الذى
يلابسنى . . أقول لك هذا . الا أن سعادتى هى
الأمر الوحيد الذى لا يقدر على تحقيقه . . وهذه
السعادة هى أنت .

ولهذا فأنت لست لى . . فابغ سيدا غيرى ،
اذهبى واذا وقع أن السماء التى حرمتنى وأنكرتنى
ابتسمت لى ، فلا تصدقنى . ان الأمر لا يتجاوز أن
السماء تسخر منى .
تزوجى الدوق .

دونيا سول : ماذا ؟ ألا يكفى انك مزقت قلبي ، وتريد الآن
أن تحطمه !! انك لم تعد تحبى .

هرنانى : ويحى . . قلبي ، وروحي . . أنت .

مصدر أشوائى ومبعث صبايى . . أنت !!
ألا تريدن أن تهربى يا معبودتى ؟

دونيا سول : لم أعد أريد شيئا الا أن أموت .

هرناني : تموتين ؟ من أجل من ؟ من أجل أنا ؟ أيقع انك
تموتين من أجل شيء تافه مثلي ؟

دونيا سول : (وقد أطلقت العنان لدموعها) هذا ما سيقع
(تقع على المقعد)

هرناني : (جالسا الى جانبها) ويحي تبكين . . تبكين !!
هذا أيضا ذنب من ذنوبي ومن سيعاقبني عليه اذا
كنت ستغفرينه ايضا ؟

ومن مخبرك بما أكابد من عذاب عندما أرى دمة
تغرق النور الذي يسطع في عينيك ؟ ومن وهجه
استمد نشوتي وسروري ؟

أفقدني الموت اصدقائي ، فأصبحت وبي مس
من الخيال .
اعفى عني . .

لي شوق الى الحب ، ولكنني أجهل كيف أحب !!
أسفاه ، انني مع ذلك أجدني غريق حب بعيد
الأغوار .

أمسكي عن البكاء ، والا فمن الخير لنا أن نموت
الا ليت لي دنيا بكل ما فيها لأعطيها اباك ؟ !
ولكن أين لي هذا وأنا تعيس ومحروم ! !

دونيا سول : (وهي تتعلق بعنقه) أنت أسدى المغوار الجميل
. . أحبك .

هرناني : يصبح الحب نعمة كبرى ليس بعدها نعمة ، اذا
استطعنا أن نفني به ونموت . .

دونيا سول : أحبك . . مولاي وسيدى أحبك . وانى كلى ملك لك .

هرنائى : (وهو يلقي برأسه على كتفها) آه . . ما أعذب طعنة من خنجر تسدها يدك !!

دونيا سول : (متوسلة) ألا تخشى عقاب الله . وأنت تبيع لنفسك أن تتكلم على هذا النحو ؟

هرنائى : (وهو ما زال ملقيا برأسه على كتفها) ليجمع الله اذن بيتنا ، وما دمت تريدان ذلك ، فليكن على هذا الوجه . فاومت كثيرا ولم أعد أطيع . (الاثنان كل منهما مرتم بين ذراعى الآخر ، وكل منهما يحدق في وجه الآخر في نشوة بحيث لم يعد يرى أو يسمع شيئا ، وكأنهما غابا عن الوجود بعد أن امتص كل منهما صاحبه . . ويدخل روى جوميز من باب المؤخرة ، ويرى ماتقدم ذكره فيتسمر في مكانه مبهوتا وذاهلا .)

المشهد الخامس

هرنائى — دونيا سول — روى جوميز

روى جوميز : (على عتبة الباب ، لا يبدى حراكا ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره)

هكذا يكون شكر الضيف للمضيف !!

دونيا سول : يا الهى . . الدوق

(تلتفت هي وهر ناني وكأنا أوقظا من نوم عميق)

روى جومير : (وهو على الموقف السابق ذكره) كذا يكون
أجرى منك يا ضيفي ؟

إيه أيها المولى الطيب القلب . . اذهب لترى إذا
كانت أسوار القصر عالية وحصينة ، ولتستوثق
أن الأبواب محكمة الاغلاق ، وان حملة النبال
قابعون في الأبراج ، واقطع ساحة القصر ذهابا
وايابا ، وابحث في مستودع السلاح عن عدة
قتال تناسب قامتك ، وجرب وأنت في الستين
أن تعيش فيها .

هذا ما يقضى به واجب الولاء نخوك لنحميك
من يطلبونك ، فانظر إلى ما تقدمه أنت إلينا ،
بما أنت عليه الآن !!

أيها القديسون ! ! قطعت أكثر من ستين عاما
من العمر ، شاهدت خلالها الكثير من قطاع
الطريق ممن تتجاوز جرائهم كل المحظورات
شرعت السيف في وجوه مجرمين هم طلبة الجلاد
وصيده ، ورأيت أخلاطا من القتلة والسفاكين ،
ومن المزيفين ، ومن الخونة ، ووقع بصري
على من يلبسون زى الخدم - وهم ليسوا من
الخدم - ليدسوا السم في طعام السادة . .

ووقفت أمام من أسلموا الروح من غير أن
يباركهم الصليب ، أو تحوطهم مراسم الجنائز ،

علمت بما انتهى إليه أمر (سفورزا) ^(١) و
(بورجيا) ^(٢) و (لوثر) ^(٣) ولكننى
لم ألتق بفساد وعفن مثل ماأراه ماثلا أمامى !
من ذا الذى لا يخشى أن تصعقه الصواعق إذا
جروا على خيانة مضيفه ؟

مثل هذه الخيانة الدنسة لم تكن في زمنى
مثل هذه الخيانة السوداء تحيل الشيخ الهرم إلى
حجر وقد وقف إلى عتبة بابه ، وتجعل منه تمثالا
يصح أن يوضع فوق قبره ، حينما ينخر ميتا ،
هذا السيد الطاعن في السن .

أيها البربر ، أيها القسطلانيون ، مسلمين كنتم
أو مسيحيين بماذا تصفون هذا الرجل ؟

(يمر ببصره على الصور المعلقة على الجدران)
وأنتم يا آل سيلفا جميعا ، يامن تسمعوننى هنا ،
صفحا إذا قلت ما قلت أمامكم وغفرانا إذا دفعتنى

١ - هولودفيج سفورزا ولقبه المغربى ، حكم مدينة (ميلان) بايطاليا بالسيف
والنار ودس السم لابن أخيه وغدر بالفرنسيين بعد أن لبوا الدعوة لنجدته ثم هزمه
لويس ١٢ ومات سجينا فى قصر (لوثر) .

٢ - (سيزار بورجيا) الابن غير الشرعى للبابا اسكندر السادس ، وشقيق (ليوكريس)
التي عالج شخصيتها نفس مؤلفنا فى مسرحية كتبها عام ١٨٣٣ باسم ليوكريس
بورجيا ومثلت . وعاش سيزار حياة كلها مؤامرات وفضائح .

٣ - (مارتن لوثر) مصلح دينى اثارألمانيا بمطالبه الاصلاحية فى شئون الدين وتجاوز
هذا الأمر إلى إنغماسه فى مؤامرات سياسية .

سورة الغضب أن أقول ان الدعوة إلى الضيافة
نصيحة يحفوها بعد النظر ! !

هرناني : (وهو ينهض) يادوق . . .

روى جومير : صمتا (يمشى روى جومير أمام الصور في
خطوات قصيرة وهو يمسحها بنظراته أيها الموتي
المقدسون يا أسلافي . أيها الرجال الأشداء
يامن ، عركوا من يأتي من الجنة أو تقذف به جهنم
الأخيار منهم والأشرار ، قولوا أيها السادة من
أية طينة جبل هذا الرجل ؟ ليس هذا من يسمى
هرناني : هل أسميه يهوذا ؟ حاولوا أن تتكلموا
لتذكروا لي اسمه .

(وهو يعقد ذراعيه فوق صدره)

هل شاهدتم طيلة حياتكم شيئاً مثل الذي يجري
في هذا المكان الآن ؟ لا

هرناني : أيها المولى الدوق

روى جومير : (وهو مستمر في مناجاة الصور) ترون ؟ ها
هوذا يجروء على الكلام . . هذا الوغد ، ولكنكم
تقرأون في طوايا نفسه ما يفوتني أن أراه .

لا تصغوا اليه . . هو خب مخادع . .

يتوقع بلا ريب ، أن يرى ذراعي تمتد اليه
لتلطيخ بدمه سقف بيتي .

بل هو يؤمل أن تتمخض ثورتى عن انتقام يضرب
به المثل . .

سيقول لكم انه مطارد التجأ إلى . وسيتمسح ،
من أجل خلاصه . بأسماء الأجداد من آل
« سيلفا » و « لارا » وبأنه ، فوق كل هذا .
ضعيف و ضعيفكم .

يا أجدادى ياسادتى . هل أذنبت فيما وقع ؟
كونوا حكما بينى وبينه .

هرناني : أى روى جومير دى سيلفا ، إذا ارتفع نحو السماء
جبين ملوؤه النيل . .

إذا كرم قلب ، وعلت نفس ، فلن يكون ذلك
الجبين غير جبينك ، ولن يكون هذا القلب
وتلك النفس ، غير . . قلبك ونفسك ، أيها المولى .
يا مضيفى الكريم ، أقر بأئى مخطئ ومذنب ،
وليس عندى ما أزيد ، إلا أننى هالك ملعون
مقضى عليه بالعذاب .

نعم اختطفت امرأتك . .

نعم أردت أن أغطى فراشك بالدنس .

نعم أنا العار . . والفضيحة .

أسفك دمي ، ثم نظف سيفك منه ، ولا تفكر
بعد ذلك فيما وقع .

دونيا سول : أيها المولى ، ليس هو المجرم . . أسفك دمي
أنا وحدى .

هرناني : صمتا يادونيا سول ، ان هذه الساعة رهيبة ،

وهي لي وحدي . إذ لم يبق لي سواها . ولهذا
اتركيني أعبر عن نفسي إلى الدوق

أيها الدوق - وصدق هذه الكلمات التي هي
آخر ما أقول - أقسم لك اني أنا المجرم الآثم
وحدي . وهي الطاهرة الذيل النقية العرض .
هذه هي المسألة في جوهرها : أنا المجرم وهي
البريئة ، فامنحها ثقتك ، وجد على بضربة من
سيفك أو بطعنة من خنجرك ، هذا ما يجب أن يكون
ثم لك أن تقذف بجثتي من الباب ، وأن تنظف
الأرض من دمي ، إذ لم يعد يهمني شيء بعد الآن .

دونيا سول : أنا وحدي المسئولة عما وقع . . لأنني أحبه .

(ينتفض الدوق عند سماعه العبارة الأخيرة .
ويستدير نحو دونيا سول ويحدجها بنظرة قاسية
فلا تملك الا أن ترتمي على ركبتيها)

نعم أحبه . . وأرجوك المغفرة . . أحبه يا مولاي .

روى جومير : تحببته ! ! (الى هرثاني) ارتعدى مما ستلاقين
(تسمع ضجة ، وأبواق تصدح في الخارج
ويدخل (وصيف) ماذا في الأمر ؟

الوصيف : ان الملك ، يامولاي قدم يتبعه فريق من حملة
النبال ، وحامل البوق هو الذي يعلن الآن عن
قدوم سموه

دونيا سول : رباه الملك . . هاهي ذي الضربة الأخيرة .

الوصيف : (الى الدوق) وهو يسأل لماذا أوصدنا أبواب
القصر ، ويريد أن تفتحوها .

روى جومير : افتحوا الأبواب للملك .

(ينحني الوصيف ويخرج)

دنيا سول : ضاع هرناني

(روى جومير : يتجه نحو اللوحة التي تضم صورته
والقائمتة في آخر الجدار الأيسر ، ويضغط على
لولب خفي فتتفرج اللوحة عن باب مخبأ داخل
في الجدار)

روى جومير : (ملتفتا الى هرناني) أيها السيد (١) أدخل هنا

هرناني : رأسي ملك لك أيها السيد ، فتصرف بها كيفما
تشاء ، واني لأسيرك .

(يدخل المخبأ ويضغط روى جومير على اللولب
فينغلق الباب وتعود اللوحة الى مكانها)

دونيا سول : (الى الدوق) رحمة بنا أيها المولى

الوصيف : (يدخل معلنا) حضرة صاحب السمو الملك .

(تبادر دونيا سول بأن تسدل خمارا على وجهها ،
وينفتح الباب الخلفي على مصراعيه ، يدخل دون
كارلوس في لباس الحرب يتبعه رهط من النبلاء
مدججين بدورهم بالسلاح وخلفهم جنود
مسلحون بالنبال وبغيرها من أسلحة الحرب)

(١) - على الرغم مما وقع بين روى جومير وهرناني ، فان الأول يعتبر الآخر ضيفا
وله حرمة ، والضيف دائما جدير بالاحترام من جانب المضيف .

المشهد السادس

روى جومير - دونيا سول - دون كارلوس - أتباع

(يدخل دون كارلوس في خطى وثيدة ، ويده اليسرى على مقبض سيفه ، وقد استقرت يده اليمنى على صدره . ويحجج الدوق بنظرة ملوؤها الغضب ، ويتقدم الدوق نحو الملك محيا وينحنى أمامه انحناء كبيرة ، وتمر برهة من الزمن يسودها صمت متوتر . .

ويتقدم الملك ليقف أمام الدوق ، فيرفع هذا رأسه)

دون كارلوس : ما السبب في أن أرى باب قصرك اليوم محكم الاغلاق بالرتاج يا بن العم ؟

وحق القديسين ، كنت أحسب أن سيفك قد أفقد الصدا لمعته ، وما كنت أظن حينما أجيئك زائرا ، أن أرى هذا السيف ، عاوده بريقه واستقر في قبضة يدك ! !

(يحاول روى جومير أن يتكلم ولكن الملك يقطع عليه الأمر في حركة حادة)
ألا ترى انه فاتك الزمن الذي تتعاطى فيه الشباب والفتوة ؟

هل بجئنا اليك نحمل فوق رؤوسنا عمامات المغاربة ؟

هل هم يدعونني ابا عبدالله (١) أو محمد (٢)

١ - آخر ملوك العرب بالأندلس وقد هزمه وطرده من الأندلس الملك فرديناند الكاثوليكي ١٤٨١ .

٢ - يعنى المسلمين .

ولست كارلوس ؟ أجب . . لم أنزلت الباب
الحديدي المشبك وأغلقت مدخل القصر . بعد أن
رفعت الجسر الذي يؤدي إليه ؟ ؟

روى جومير : (منحنيا في تحية) مولاي ..

دون كارلوس : تسلموا مفاتيح القصر ، واحرسوا الأبواب
(يسرع ضابطان بالخروج ، ويقوم غيرهما
بتنظيم الجنود في صفوف تملأ ما بين الباب الكبير
والمكان الذي يقف فيه الملك)
(ويلتفت دون كارلوس الى روى جومير)
آه . . أنت تعمل اذن على بعث التمرد وإيقاظ
العصيان ؟

وربى . . اذا خطر لكم أيها السادة الدوقات أن
تسلكوا معى هذا المسلك ، فان الملك لن يتوانى عن
حزم الأمور معكم ، حزم من يرى الأخطار تحيط
به سأنهض بنفسى ، وأطلق يدي اللتين ألفتا القتال
للقضاء على سيادتكم بأن أدك حصونكم .

روى جومير : (رافعا قامته) يا صاحب السمو . ان آل سيلفا
يدينون لكم بالولاء . .

دون كارلوس : (مقاطعا) من غير موارد تكلم يادوق ، والا
أمرت بأن تسوى بالارض أبراجك الأحد عشر
من الحريق الذى أطفأناه بقيت شرارة . .
قضينا على جميع قطاع الطرق ، ولم يبق حيا غير
رئيسهم .
ومن يتستر عليه ؟ أنت بعينك .

هرنانى . هذا المتمرّد الذى يدس سموم الفتنة ،
هنا فى قصر ك . وأنت تحبوه .

روى جوميز : أيها المولى هذا حق .

دون كارلوس : حسن جدا ، أطلب رأسه . أو أقطع رأسك ،
أسمعنى يا بن العم ؟

روى جوميز : (منحنيا فى احترام) الأمر أقل أهمية من أن
يشغلك . ولسوف ترضى .

(دونيا سول تغطى وجهها بيديها وتسقط على
مقعد)

دون كارلوس : (وقد خفت حدة غضبه) آه . . أراك تتدارك
أخطاءك . . . اذهب وأثنى بأسيرى

(يعتقد الدوق ذراعيه فوق صدره ويخنى رأسه
وقد استغرقه تفكير عميق . الملك ودونيا سول
يراقبانه فى صمت ، وكل منهما تمزقه عوامل
نفسية . وأخيرا يرفع الدوق رأسه ويتقدم الى
الملك ويأخذ بيده ويسير به برفق أمام اللوحات
المعلقة بالجدران ليقف أمام أقدام اللوحات ،
وهى الأولى فى البهو من ناحية يمين المتفرج)

روى جوميز : (وهو يشير بيده الى اللوحة) هذا هو الأكبر
والاعظم من آل سيلفا ، وهو رأس العائلة ،
والجد الأول (دون سيلفيوس) الذى نصبته روما
قنصلا ثلاث مرات يحكم فيها .

(ينتقل الى لوحة أخرى)

وها نحن أمام (دون جالسيران دي سيلفا) ومقامه
مقام (السيد) ويحرسون له في بلده (تورو)
القريبة من مدينة (الوليد) صندوقا مذهبا تملأه
مخلفات قديسين ، وتضيء حوله ألف شمعة ،
لأنه حرر مدينة (ليون) من جزية المائة عذراء
التي كانت ترسلها الى المغاربة
(أمام لوحة أخرى)

« دون بلاس » الذي أسلم نفسه مختارا الى النفي
الدائم ، لأنه أحس بأنه لم ينصح الملك النصيح الصائب .
وهذا هو « كريستوفال » حضر معركة « أسكالونا »
فرأى الملك « دون صانش » وهو يفر على قدميه
وريشته البيضاء مغروزة في خوذته وقد انهالت
عليها ضربات السيوف وصاح مستنجدا « كريستوفال »
فكان أن نزع كريستوفال الريشة وغرزها في
سرج جواده .

(أمام لوحة أخرى)

« دون جورج » الذي دفع فدية « رامير » ملك
أراجون الى البرابرة في نظير اطلاق سراحه

دون كارلوس : (وقد عقد ذراعيه على صدره وهو يتأمل الدوق
من رأسه الى موطئ قدميه) وربى ، انى لمعجب
بك يادوق . . ولكن ائتنى بأسيرى .

روى جوميز : (وقد سار بالملك الى لوحة أخرى) وهالك « روى
جوميز دي سيلفا » الأستاذ الاكبر الذى تزين

صدره أرفع أوسمه الفروسية « سان جاك » و
« كالاترافا » كانت لأمته الحربية بسلاحها
وبدروعها الفضفاضة لا تصالح لقاماتنا ، غنم مائة
راية ، وانتصر في ثلاثين معركة و كسب للملك
مدن « موتريل » و « أنتكوبرا » و « فيجار » ،
ومات فقيرا معدما . . يا صاحب السمو فلنحي
البطل . .

(يخلع روى جوميز غطاء رأسه وينحني انحناءة
طويلة ثم يتقدم الى لوحة أخرى هذا
والملك يصغى اليه وقد عيل صبره و بدأ الغضب
يتقد في صدره) والى جواره يقف ابنه « جيل »
المحبيب الى النفوس التي تعلو شأن الولاء .

كانت يده اذا ارتفعت تقسم ، تساوت هذه اليده
بأيدي الملوك . (منتقلا الى لوحة أخرى)

« دون جاسيا » وهو في نسبه العريق يرجع الى أسرتي
« دي ماندوس » و « دي سيلفا » إن كل بيت عريق
وشريف إنما تمتد جذوره الى عائلة « دي سيلفا »

دون كارلوس : (وقد نفذ صبره) ماذا . . أتسخر من نفسك ؟

روى جوميز : (متقدما نحو لوحات أخرى) وهاك « دون

فاسكينز » الملقب بالحكيم . . و « دون جايم »
وشهرته القوى العملاق . ووقع ذات يوم ان
اعترض طريقه « زاميت » أمير البربر ومعه
مائة من الأعوان ، فتلقاهم بمفرده واستطاع أن
ينجو بنفسه !!

(وتجاوز عن ذكر آخر من الأجداد ، وكلهم
من خيار الناس .)

(تبدر من جانب الملك حر كة تم عن غضب
يتصاعد في صدره فيتجاوز روى جوميز عن
التعليق على عدد آخر من اللوحات حتى ينتهي الى
اللوحات الثلاث الأخيرة) وهذا هو جدى النيل
الأبى ، عمر الى الستين ولم ينقض عهدا عقده
مع أحد حتى مع اليهود .

(وقد صار أمام اللوحة التى تسبق اللوحة الأخيرة)
هذا الشيخ . . هذه الرأس المقدس ، هو رأس أبى
كان بالغ العظمة وان جاء في آخر الصف -
حدث أن أسر برابرة غرناطة صديقه الكونت
« ألفار جيرون » ، وهب والدى لنجدته ، فاختار
ستمائة من رجاله المحاربين كما صاغ من الحجر
تمثالا لصديقه كان يسحبه وراءه وهو ماض في
طريقه الى خلاصه من أسره وقد أقسم بشفيعه
أنه لن يتراجع الا أن يرى التمثال يدير
رأسه الى الوراء ، أو ينكص على عقبيه ، وحارب
وانتصر وفك أسر صديقه ، وأعادته سالما !!

دون كارلوس : أريد أسيرى .

روى جوميز : « هو من آل سيلفا وكفى » هذا ما يقوله عن أيهم
بين هؤلاء ، من يقف في هذا المكان ويشاهد
هؤلاء الأبطال .

دون كارلوس : أسيرى أريده في الحال .

(ينحنى روى جوميز انحناءة طويلة أمام الملك ،
ثم يتناول يده ويسير به الى أمام اللوحة الأخيرة
الى يقوم وراءها المخبأ الذى فيه هرنائى وتتبعه
أثناء ما تقدم نظرات محمومة من جانب دونيا
سول . ثم تعقب ما تقدم فترة صمت قصيرة)

روى جوميز : وهذه الصورة لى . وشكرا لك أيها الملك دون
كارلوس ، لانك تريد أن يقول الناس اذ يرونها
في هذا المكان . وهذا الأخير الذى انحدر من
اصلاب مجيدة كان خائنا حقيرا : اذ ارتضى أن
يبيع رأس ضيفه .

(تهتز دونيا سول فرحا ، وتخيم الدهشة على
الحاضرين ، هذا في حين أن الملك يتفصد ضيقا
وغضبا ، فينحدر خطوات من مكانه ، وقد مزقه
الغضب فاذا شفتاه ترتعشان والعينان تتقدان)

دون كارلوس : يادوق ، أرى قصرك هذا يضايقنى ، فلا بد من
أن أسويه أرضا .

روى جوميز : لا بأس ، مادمت ستقضى ثمنه . . أليس كذلك؟

دون كارلوس : سأجعل أعالي هذه الأبراج أسافلها . . واجتثها
من أصولها جزاء جرأتك هذه يادوق ،
ثم سأجعلهم يزرعون القنب مكانها

روى جوميز : لأن أرى القنب يزكو في مكان أبراجى ، خير
من أن أصم اسم سيلفا العظيم بوصمة عار .

(مخاطبا اللوحات)

أليس ما أقوله هو الحق الصريح ؟ أجيئوا جميعكم

دون كارلوس : أيها الدوق . . رأس هذا الثائر لنا ، وقد سبق لي
وعد منك بذلك .

روى جومير : وعدت برأس من رأسين .

(مخاطبا اللوحات)

أليس ما أقول هو الحق الصريح ؟ (مشيرا الى
رأسه) اني أعطى هذا الرأس فخذ

دون كارلوس : حسن جدا يادوق ولكن هذه صفقة خاسرة بالنسبة
لي وشكرا

الذي أطلبه هو رأس في اذا ما سقط أمكن حمله
من شعر رأسه . أما رأسك فلا يهمني ، لأن الجلاذ
سيحاول عبثا حمله ، اذ الشعر في هذا الرأس
لا يملأ قبضة يده .

روى جومير : يا صاحب السمو ، أمسك عن الالهانه ان رأسي
ما زال جليلا ، وهو أغلى قيمة من رأس عاص
شرير . انه رأس لأحد أسرة (سيلفا) . . أراك
ممتعضا . . .

دون كارلوس : أسلمني هرناني .

روى جومير : مولاي قلت كلمتي :

دون كارلوس : (الى أعوانه) نقبوا في كل مكان ، لا تتركوا
جناحا ، ولا كهفا ، ولا برجاً دون أن تمعنوا في
تفتيشه .

روى جومير : ان أبراج قصرى أمينة مثلي والسر لا يعرفه غيري
وغيرها ، وكلانا حريص على ألا يبوح به .

- دون كارلوس : أنا الملك .
- روى جومير : لن تحققوا رغبتكم الا اذا هدمتم القصر حجرا حجرا وجعلتم من أنقاضه قبرا لى
- دون كارلوس : لم يجد معك رجاء أو تهديد . يادوق أسلمنى قاطع الطريق وإلا أزلت رأسك والتصر
- روى جومير : قلت كلمتى .
- دون كارلوس : حسن ، بدلا من رأس واحد ، سيكون لى رأسان (الى الدوق الكالا)
- جورج ، الق القبض على الدوق
- دونيا سول : (وقد نرعت عنها خمارها ووقفت بين الملك والدوق من ناحية وبين الجند)
- أيها الملك دون كارلوس ، أنت ملك سيئ .
- دون كارلوس : يا الهى ! من أرى . . دونيا سول ؟
- دونيا سول : يا صاحب السمو ، ليس لك قلب اسبانى
- دون كارلوس : (وقد مال بجسمه من شدة الاضطراب) ياسيدتى أراك قسوت فى حكمك على الملك .
- (يقترب منها ويتحدث اليها هامسا)
- أنت التى أثرت هذا الغضب فى نفسى ، ان الرجل ينقلب ملاكا أو شيطانا اذا اقترب منك ، وسرعان ما يصبح شريرا اذا أحس أنه غير محبوب من جانبك ، ولو انك استجبت الى ، أيتها الشابة ، ربما كنت أبدوا عظيما الآن ، أغدو

أسد قشتالة . انك جعلت مني . بغضبك على ،
نمرا شرشا ، وهما هو ذا يزأرا . فلنمسك عن
الكلام .

(ترميه دونيا سول بنظرة قاسية يجيب عليها
بأخناة تفيض بالاحترام)

ومع كل هذا ، سأنزل على ماتريدين
(موجهها الكلام الى الدوق)

يا بن العم ، اني أقدر موقفك هذا ، وأراك
بتصرفك انما تصدر عن ضمير حي ونفس عالية .
كن وفيا لضيفك وغير وفي للملك . حسن جدا ،
اني أصفح عنك لأنني خير منك . ويكفي فقط أن
أخبرت ابنة رهينة عندي .

روى جومير : فقط

دونيا سول : (مرتاعة) أنا يا مولاي ؟

دون كارلوس : نعم أنت ولا شيء أكثر من ذلك .

روى جومير : ولا شيء أكثر من ذلك ! ! يا للرحمة الرحيمة ،
ويا لها من رافة تلك التي تصدر عن القادر
المنتصر ، حينما يبقى على الرأس ويعذب القلب .
ياللصفح الجميل ! !

دون كارلوس : لك أن تختار تسليم دونيا سول أو الخائن ، لا بد
لي من أحدهما .

روى جومير : أنت صاحب الأمر فاقض بما تريد .

(يتقدم دون كارلوس نحو دونيا سول ، ولكنها
تتجه الى روى جومير)

دونيا سول : أغثني . . أنقلني . (تم تمسك عن الكلام وتحدث
الى نفسها)

يا شقوتي ! ! تحتم أن يأخذ رأس عسي أو رأس
هرنان . . لماذا لا يأخذ رأسي أنا ! !
(الى الملك)

أسير معك

دون كارلوس : (الى نفسه) وحق التديسين ، نجح تدبيرى ،
(الى دونيا سول) بحب أن تترقى بنفسك وتلطفى
يا أميرتى .

(دونيا سول تسير نحو الصندوق الذى يحوى الحلوى
وتأخذ منه خنجرًا تخفيه في صدرها ويسير نحوها
دون كارلوس ويقدم يده اليها يدعوها الى
مبارحة المكان)

دون كارلوس : وماذا أخذت من الصندوق ؟

دونيا سول : لاشيء .

دون كارلوس : حلية ثمينة ؟

دونيا سول : نعم .

دون كارلوس : أرنيها . .

دونيا سول : ستراها .

(وتمد يدها اليه ويتهيان للخروج . روى جومير

وكان واقفا لا يبدى حراكا يلتفت فجأة الى
ما يجرى ، ويتقدم بضع خطوات وهو يصيح

روى جومير : : دونيا سول ! يا أرض ! ! يا سماء ! ! ماذا .
تذهب عني دونيا سول ؟

أنجدينى يا أسلحتى ، وأنت أيتها الجدران تهدمى
فوق رأسى مادام هذا الرجل يتصرف بلا قلب
ولا رحمة .

(وهو يجرى نحو الملك)

أترك لى ابنتى . ليس لى أحد سواها أيها الملك .

دون كارلوس : (وهو يترك يد دونيا سول) أعطنى أسيرى .

(ينخفض روى جومير رأسه وقد مزقه الألم
والحيرة ثم يرفع رأسه ثانية مصوباً نظراته الى
اللوحات السابقة الذكر ، ثم يمد ذراعيه نحوها)

روى جومير : : كونوا رحماء بى . . أنتم جميعا .

(يخطو خطوة نحو المخبأ فتتبعه دونيا سول بنظراتها
المدعورة ، ولكنه يلتفت الى اللوحات ويخاطبها)
غضوا من أبصاركم ، فإن نظراتها تشل ارادتى
(ويسير مترنحا نحو المخبأ ثم يستدير فجأة نحو
الملك)

تريد أن تأخذه ؟

دون كارلوس : نعم .

(يرفع الدوق يدا مرتعشه نحو اللولب)

دونيا سول : ربي . .

روى جومير : لا ، لا . (يحثو عند أقدام الملك)

باسم الرحمة ، خذ رأسي

دون كارلوس : بل آخذ ابنة أخيك

روى جومير : (وقد هب واقفا) خذها اذن ، وأبق لي شرفي

دون كارلوس : (يعود الى أن يمسك بيد دونيا سول) الوداع
يا أدوق .

روى جومير : بل الى لقاء .

(يتابع بنظراته خروج الملك مع دونيا سول من
الباب الكبير ثم يضع يده على مقبض خنجره)
ليحرسك الله أيها المولى .

(ثم ينحدر الى مقدمة منصة التمثيل وهو يجسر
قدميه جرا ، وقد جمدت ملامح وجهه حتى
ليبدو وكأنه لا يرى ولا يسمع . ثم يعقد ذراعيه
فوق صدره في حركة عصبية)

(وفي أثناء ما تقدم يخرج الملك مع دونيا سول
ويتبعه الأشراف مثني مثني ، وتبعاً لمستوياتهم
الاجتماعية ، ثم تخرج الحاشية فالجنود)

روى جومير : (على انفراد) أيها الملك ، بينما تبرح أنت داري
فرحاً جذلان فان ولأني القديم لك يبرح قلبي الباكي .
(يدير نظراته في أنحاء المكان ، واذ يستوثق أنه
أصبح منفرداً ، ينتزع سيفين من شكمة سلاح

مثبتة بأحد الجدران . وبعد أن يضاهاى بينهما
ويقارن يضعهما فوق المنضدة . ثم يتجه نحو
الاطار الذى يتضمن صورته ويضغط على اللواب
فينفتح الباب الخفى .

المشهد السابع

روى جومير - هرنانى

روى جومير : أخرج .

(يبدو هرنانى أمام الباب الخفى ويشير «جومير»
بيده الى السيفين فوق المنضدة)

اختر أحدهما . خرج دون كارلوس ، وحن
الوقت الآن لتصفية حسابنا .

اختر أحد السيفين وعجل . . ماهذا ؟ ان صدك
ترتجف !

هرنانى : مبارزة ؟ لا يمكن أن تقوم ، لانتك شيخ طاعن
في السن .

روى جومير : ولم ؟ انتك خائف ؟ ألم تكن يوما من النبلاء فيحق
لى أن أقرع لسيفى سيفك ؟ يا للجهيم . . نبىلا
كنت أو لم تكنه ، فان اهانتك لى ترفعك الى مقام
النبلاء .

هرنانى : أيها الشيخ .

روى جومير : أيها الشاب ، تقدم ، إما قضيت عليك ، وإما
قضيت أنت على

هرناني : بل اقض أنت على . أنقذت حياتي على الرغم
من أنك عرفت كل شيء عن حبي فحياتي ملك
لك . . خذها

روى جومير : أهذا ماتريد ؟ (مخاطبا الصور) اشهدوا جميعا .
هو يريد أن آخذ حياته .

ليكن . . قم بصلاتك .

هرناني : بل اليك أيها المولى صلاتي الأخيرة .

روى جومير : ارفعها الى المولى العظيم .

هرناني : لا . . لا بل اليك أنت أيها الشيخ . اقتلني . فكيفما
كان قتلي ، بضربة سيف أو فأس . أو خنجر ،
فانه قتل محب إلى ، ولكن يحق الرأفة . حقق لي
هذه الأمنية الكبرى ، قبل أن ألقى حتفي . اسمح
لي أن أراها .

روى جومير : تراها ؟

هرناني : أو اسمح لي أن أسمع صوتها على الأقل ، وللمرة
الأخيرة ، لاشيء أكثر من سماع هذا الصوت !!

روى جومير : تسمع صوتها !!

هرناني : نعم أدري مبلغ غيرتك عليها أيها المولى . ولكن
ما الغيرة من شخص مقدم على أن يودع الشباب
والدنيا وأرجوك المَعذرة !! قل لي أتريد أن أتريد
أن أسمع صوتها من غير أن أراها اذا لزم الأمر ؟
انني سأموت هذا المساء . . أسمع صوتها لأكثر .
أطفئ هذا الشوق ولكن شد ما اسلم الروح في

راحة وصفاء . اذا تفضلت قبل أن أهرب الى
السماء ، أن أرى روحى في عينيها ، وهى تتراءى
لتطالع روحها . لن أنبس ببنت شفة . ستكون أنت
هناك يا أبى . وستأخذنى بعد ذلك للقاء منيتى

روى جوميز : (مشيراً بيده الى المخبأ الذى ما برح بابه مفتوحاً)
عجباً ! هل بلغ هذا المخبأ من الصمم ومن العمق
ومن الاحكام في الغلق ، بحيث أنه لم يكن يسمع
شيئاً مما كان يجرى هنا ؟

هرنانى : لم يصل الى أذن أى شىء .

روى جوميز : كان على أن أسلم دونيا سول أو أسلمك .

هرنانى : لمن ؟

روى جوميز : للملك .

هرنانى : يا للشيخ الغبى الغافل ! إنه متيم بها .

روى جوميز : متيم بها !!

هرنانى : اختطفها من أيدينا . هو غريمنا ومنافسنا في حبها

روى جوميز : يا للجنة !! يا رجالى الى جياذكم ، الى جياذكم

وطاردوا هذا السلاب المغتصب . اصغ الى

الانتقام الواثق في خطاه لا يحدث جلبة فى مسيرته .

انى ملك يدريك وفي وسعك أن تقتلنى . ولكن

ألا تريد أن تجعل منى أداة لأثار لابنة أخيك

ولشرفها ؟ ان لى ضلعا في هذا الثأر فلا تحرمنى

متعة المشاركة فيه ، امنحنى هذه الأكرومة .

إنى أقبل قدميك إذا لزم الأمر من أجل منحى

هذه المشاركة . فلنقتف نحن الاثنان اثر الملك .
تعال . . سأكون منك الساعد الذى يثأر لك . ولك
بعد أن يتم ثأرك . أن تقتلنى .

روى جوميز : وهل ترضى أن تقتل اذ ذاك ، كما أنت راض
الآن ؟

هرنانى : نعم يا دوق .

روى جوميز : وبم تقسم ؟

هرنانى : برأس أبى .

روى جوميز : أيقع أن تذكر هذا ولا تنساه ؟

هرنانى : (يقدم اليه البوق بعد أن ينتزعه من حزامه)
أصغ . . اليك هذا البوق ، ومهما يقع من أمر ،
وحيثما تكون أنت ، وفي أية ساعة ، اذا رأيت
أيها المولى أن موتى قد تحتم ، فما عليك الا أن
تنفخ في هذا البوق ، فيتحقق لك ما رأيت من
غير عناء . .

روى جوميز : (يمد يده الى هرنانى) هات يدك ولتعاهد .

(يشد كل منهما على يد الآخر في مصافحة ثم
يلتفت روى جوميز الى الصور) أنتم جميعا كونوا
شهودا عليه .

(ستار)

الفصل الرابع

القبر

مدينة اكس لاشايل (١)

المغائر والكهوف التي تحوى قبر شارلمان في مدينة
(ايكس لاشايل) في جانب منها تقوم عقود
كبيرة من البناء على النمط اللومباردى . وفي
الجانب الأخرى تنهض أعمدة قصيرة تحمل أقواسا
مستديرة ، استقرت على تيجان تلك الأعمدة ،
وهي تيجان تحمل نقوشا للطير والزهر .

والى اليمين يقوم قبر شارلمان . هو متصورة ذات
باب غير مرتفع مصنوع من البرونز وقد جاء
أعلاه على شكل عقد مستدير ، هذا ويذلى مصباح
واحد قد ثبت بمسمار في جدار ، ويضيء ما جاء
مكتوبا على لوحة . . (شارلمان) .

الوقت ليل ، ولا يمكن للعين أن ترى ما هو قائم
في أعماق هذا المكان ، بل ان النظر قد يفضل
وسط هذه العقود والأعمدة التي تتكاثف تارة
وتتعارض تارة أخرى وسط هذا الظلام .

١ - الواقع التاريخي ينص على أن انتخاب الامبراطور جرى في مدينة (فرانكفورت)
وليس في مدينة (ايكس لاشايل) ، ولكن المؤلف خالف هذا الواقع ، وأجرى
هذا الانتخاب في هذه المدينة التي تتضمن قبر (شارلمان) من أجل أن يفسح المجال
لتأملاته وانتفاضاته وهو واقف أمام هذا القبر .

المشهد الأول

دون كارلوس - دون ريكاردى رو كاس -
كونت دى كازابالما

(يحمل أحدهم مصباحا . وقد تدثر كل منهم
في عباءة وأرخی أطراف قبعته على وجهه)

دون ريكاردو : (وقبعته في يده) . هنا في هذا المكان .

دون كارلوس : هنا يجتمع المتآمرون ، وهنا سأضع يدي عليهم جميعا .
أيه أيها السيد « تريف » ^(١) !! سيكون هنا
الاجتماع . أعرتهم هذا المكان ليجتمعوا فيه !!
حقا انه لاختيار موفق ، اذ ما أسرع ما تنمو
المؤامرة وتركو وهى تتنفس ریح الرفات ، وانه
لأمر صائب أن تشحذ الحناجر على رخام المقابر !!
الا أنى أراهم يبالغون في لعبتهم ويركبون الخطر .
ان قطف الرأس هو الرهان في هذه اللعبة ،
وسوف نرى أيها السادة القتلة . يا لله !! لقد أصابوا
اذ اختاروا مدفنا لهذه اللعبة ، اذ بهذا يختصرون
من طريقهم اليه .

(الى دون ريكاردو)

هذه الكهوف تحت الأرض . . هل تمتد الى بعيد؟

دون ريكاردو : حتى الحصن

دون كارلوس : هذا أكثر مما يحتاجون اليه لضم رفاتهم .

١ - هو كبير أساقفة مدينة (ايكس لاشابيل) وأحد الناجين المعادين لدون كارلوس .

دون ريكاردو : ومن الناحية الأخرى تمتد الكهوف الى ديسر
« التانهايم »

دون كارلوس : حيث قضى « رودلف » على « لوثر » . حسن ..
مرة أخرى ياكونت أعد ذكر الأسماء ،
والشكاوى ، وأوضح أسبابها وبواعثها .

دون ريكاردو : جوتا ..

دون كارلوس : أعرف لماذا يتآمر الدوق الجرىء .. هو يريد
ألمانيا من ألمانيا لتولى حكم الامبراطورية .

دون ريكاردو : هو هينبورج

دون كارلوس : هو هينبورج ، كما أعتقد ، يفضل الجحيم وهو
في صحبة « فرنسوا » ملك الفرنسيين ، على أن
يكون مصاحبى بالحناء .

دون ريكاردو : دون « جبل تلبر جيرون »

دون كارلوس : بحق قشتالة والسيدة العذراء ، انه ليشق عصا
الطاعة على مليكه ، هذا الغارق في حزنه وكملده .

دون ريكاردو : يحكون أنه وجدك ، ذات ليلة ، مندسا في حجرة
زوجته ، وانك من أجل ذلك رفعتة الى مرتبة
« بارون » ، ويبدو أنه يريد أن يثار لشرف زوجته
الرقية .

دون كارلوس : ومن أجل ذلك يثور ويرفع راية العصيان في
اسبانيا ؟

ومن غير هؤلاء ؟

دون ريكاردو : يذكرون اسم نيافة أسقف أفيللا .

- دون كارلوس : وهل هو أيضا يتآمر ليثأر لعرض زوجته ؟
- دون ريكاردو : ثم « جوزمان دي لارا » وهو ممتعض وغير راض
ويطالب بأن تكون له قلادة الوسام الذي أصدرته
- دون كارلوس : آه . . . جوزمان دي لارا ! ! إذا كان كل
مطلبه هذه القلادة فستكون له
- دون ريكاردو : دوق دي لوتزيلبورج . . وينقلون عنه . .
- دون كارلوس : (مقاطعا) دوق دي لوتزيلبورج له رأس تشمخ
أكثر مما يجب .
- دون ريكاردو : جوان دي هارو الذي يطالب بأن يكون له ملكية
مدينة استورجا .
- دون كارلوس : آل هارو يضاعفون دائما من أجر الجلاد .
- دون ريكاردو : ذكرتهم جميعا ، كل المتأمرين .
- دون كارلوس : كل هؤلاء لايساوون رأسي ، أيها الكونت .
ذكرت منهم سبعة ولم ينته حسابي بعد .
- دون ريكاردو : تجاوزت عن ذكر نفر من قطاع الطرق يعملون
بأجر من جانب « تريف » أو من جانب فرنسا .
- دون كارلوس : نفاية من رجال لا وزن لهم ، خناجرهم دائما
مشحوزة لأن تعمل ، ويدورون في فلك من
يبذل لها الأجور الكبيرة . كما تدور ابرة البوصلة
نحو القطب .
- دون ريكاردو : الا أنه لفتني بينهم رفيقان جريثان انضمما الى
الجماعة جديثا أحدهما شاب والآخر شيخ .

دون كارلوس : ما اسمهما ؟

(رفع دون ريكاردو كتفيه اشارة الى أنه
لا يعرف ما السن التي عليها كل منهما)

دون ريكاردو : الشاب في العشرين . . .

دون كارلوس : خسارة !

دون ريكاردو : والشيخ تجاوز الستين .

دون كارلوس : الأول ما برح في أول العمر والآخر تجاوزه . شيء

يوسف له . سأعني بهما ، وللجلاد أن يعتمد على
مساعدي ، اذا لزم الأمر ، اني سأجرد سيفي من
بهرجه ليتلطح بالدم وهو يطيح برءوس الخارجين
والعصاة . بل اني لأعير هذا السيف للجلاد
اذا ثلمت فأسه . واذا لزم الأمر ، أيها الكونت ،
فإني سأوسع من الرقعة التي تغطي منصة الاعداء
بأن أخبط بسوادها أرجوان ردائي الملكي . ولكن
هل أصبح حقاً الامبراطور ؟

دون ريكاردو : المجلس المقدس يعقد الآن جلسته ويتبادل الرأي
ويدير الامر .

دون كارلوس : ترى ماعسى أن يكون أمرى معهم ؟ —

يختارون فرنسوا الأول ، أو ينتخبون ذلك
السكسوني فردريك الحكيم الذي ينتمى اليهم .
آه ان « لوثر » كان على صواب فالأمور تسير
سيرا سيئاً .

ايه أيها الناخبون ، يا صناع القاب أصحاب الجلالة
المقدسة (١) ! !

أراهم لا يخضعون في انتخابهم الا للأسلوب الذي
يحمل رنين الذهب .

فهناك سكسونى مارق في عقيدته الكاثوليكية . .
وهناك « كوزنت » يسمونه « البلاتينى » وهو
مدخول في عقله . . .

ثم أسقف « تريف » ، رجل دين ، ولكنه تحلل
من الدين ومن الأخلاق . . .

أما ملك بوهيميا ، فانه لى ، وهو يشد أزرى . .
والى جانب هؤلاء ، أمراء من « هيس » وهم
أصغر شأنا من الولايات التى يحكمونها . . .
ثم هناك شبان أغبياء . . .
وشيخ فسقة . . .

نعم توجد تيجان كثيرة — وهذا حسن ولا شك —
ولكن أين الرؤوس التى تحملها عن جدارة ؟ —
ابحثوا عنها ! !

أيها الناخبون الجديرون بالثناء انى لا أرى غير
أقزام ، وأستطيع اذا جدد الأمر أن أحزمهم تحت
ردائى ، وهو مثل جلد الأسد الذى كان يرتديه
« هرقل » وزج بمناوئته في طياته . . .

أما اذا حلا لى أن أعريهم من عبائاتهم ، فلن

١ — هو اللقب الرسمى للامبراطور .

تروا الا رووسا جوفاء يعيش فيها السخف ،
وهي أكثر فاعلية في البعث على الضحك من رأس
(تريبوليه) (١)

أنا في حاجة الى ثلاثة أصوات يا ريكاردو ، هي
لي كل شيء ، وبدونها أفقد كل شيء .

آه .. انني أمنح «جانند» و «توليد» و «سلامانك»
ثلاث مدن كبيرة ، أمنحها يا صديقي ريكاردو
لمن يعطوني هذه الاصوات الثلاثة اذا رغبوا فيها .
أترى اني من أجل ثلاثة أصوات ، نعم ، أعطى
ثلاث مدن من قشتالة ، أو من الفلاندر ، أعطىها
الآن ، على أن استردها فيما بعد بالطبع !!

(دون ريكاردو ينحن باحترام ويضع قبعته فوق
رأسه) ماذا .. أتغطي رأسك ؟

دون ريكاردو : رفعت الكلفة في مخاطبتي يامولاى (ينحن محيا
مرة ثانية) وها أنا ذا عظيم من عظماء الاسبان . . .

دون كارلوس : (منفردا) شد ما تثير شفقتي عليك ، أيها الطامع
فيما لا يستحق أن يطمع فيه !! يا حقيرا ووصوليا
بالفطرة . هذه الفئة من الناس لا تستطيع أن تحقق
أمانيتها الا بالاستجداء وتبعها لما تجود به أفكارنا
وكأنى بهم الدجاج الجائع وقد التف حول الملك
ليتلقي من بين أصابعه فتات الأكل .
(وقد غاب في حلم)

١ - هو مضحك الملك في عهد لويس الثانى عشر ثم في حكم فرنسوا الأول بفرنسا ،
وقد أنشأ المؤلف مسرحية بطلها هذا المضحك أسماها (الملك يلهو) .

الله وحده ، ثم الامبراطور . . فيهما تتمثل
العظمة وكذلك في الأب المقدس . . أما من يجيء
بعدهم من الملوك والدوقات . . فما شأنهم وماذا
يساوون ؟

- دون ريكاردو : انى لأرجو أن يقع الاختيار على سموكم
- دون كارلوس : سموى . . سموى ؟ ان سوء الطالع سيبقى ملازمى
في كل شيء ، اذا بقيت الملك صاحب السمو !!
- دون ريكاردو : (على انفراد) ماذا يهيم !! اختاروه امبراطورا ،
أو بقى ملكا ، هأنذا عظيم من عظماء اسبانيا
- دون كارلوس : واذا فرغوا من أمر اختيارهم امبراطور ألمانيا ،
فبأية اشارة يعلنون اسمه في المدينة ؟
- دون ريكاردو : اذا انتخبوا « دوق ساكس » أطلقوا مدفعا واحدا
واذا انتخبوا (فرنسوا) أطلقوا المدفع مرتين ،
فاذا وقع اختيارهم على سموك أطلقوا المدفع
ثلاث مرات .
- دون كارلوس : ودونيا سول هذه . آه كل شيء يعمل على غيظى ،
وجرح كبريائى . .
- أيها الكونت اذا وقع عفوا واختارونى امبراطورا ،
فأسرع اليها واحضرها الى هنا . ربما تتطلع العيون
لمن سيصبح قيصرا !!
- دون ريكاردو : (مبتسما) سموكم مفرط في طيبة القلب
- دون كارلوس : (مقاطعا في حدة وتعال) الى هنا . . ولا ترد

حرفا ، لم أفصح .بعد عما أريد أن يرانى الناس
عليه . .

(مغيرا وجه الحديث)

ومتى نعرف من سيقع عليه اختيارهم ؟

دون ريكاردو : آه . . يبدو لى أن الأمر سيتم في مدى ساعة أو فيما
بعدها بقليل .

دون كارلوس : ثلاثة أصوات !! لاشيء أكثر من ثلاثة . . ولكن
لنسحق أولا هذه النفايات من المتأمرين ، وسنرى
بعد ذلك من سيؤول اليه أمر الامبراطورية .

(وهو يعد على أصابعه ويدق بقدمه على الأرض)
هى دائما تلك الثلاثة الأصوات التى تنقصنى ،
وهم من يملكونها !! تنبأ لى بها « كورنى أجريبا »
(١) منذ زمن ، اذ شاهد ثلاثة عشر نجما تشق
محيط السماء وتتجه نحوى آتية من الشمال ، وهى
مطلقة الشراع . . معنى هذا أن الامبراطورية
سيؤول أمرها الى . . أ يكون ذلك حقا !!
ولكن من ناحية أخرى ، هناك من يقول ان
الراهب « يوحنا تريتم »^(٢) تنبأ بأن الامبراطورية
ستكون من نصيب فرنسوا !!

كان الأجدد بى ، لكى أثبتن مسيرة حظى ، أن

١ - طيب ومنجم وساحر ذائع الصيت فى زمنه (١٤٨٦ - ١٥٣٥)

٢ - عالم فى اللاهوت (١٤٦٢ - ١٥١٦) كان يطالع النجوم للملك فرنسوا الأول
ويقرأ طالع .

أعد جيشا يساعد على تحقيق هذه النبوءة .
كل تنبؤات المنجمين - مهما علا قدرهم -
لا تحقق النتائج المرجوة الا حينما يقوم وراءها
جيش لجب ، تقصف مدافعه وتسطع أسننته ،
وتتتابع فرق مشاته وفرسانه على ايقاع العرف
الموسيقى ، والنفخ في الأبواق . هذا الجيش
وحده ، هو من يفتح الطريق المسدود للحظ اذا
تعرّ ، ويقوم مقام القابلة في أن يستولده ماهو
صحيح .

أى النبؤات ستصدق ؟ نبوءة « كورنى أجريبا »
أو نبوءة « يوحنا تريتم » ؟ انها النبوءة التى يمشى
وراءها العمل والانجاز ، وليس القول والتراخى ،
نبوءة الشخص الذى اذا تكلم ، وضع رما أو
سيفا خلف كل كلمة يقولها ، وحشد في جيشه
أخلاطا ممن رضعوا لبان الحروب ، واحترفوا
ألوان النزال . . بهذا يستقيم الحظ وتتحقق النبوءة .
وياهم من مجانين جديرين بالثناء أولئك الذين
يرغبون في أن تكون لهم امبراطورية العالم ، بمجرد
أن يخلقوا بعيونهم ويشمخوا بجباههم ، وهم
يتمشدقون قائلين « ان لنا الحق في هذا »

وقد تكون ملء أيديهم المدافع وقد صفت خطا
وراء خط ، ولو فتحت أفواهها وانطلقت قذائفها
لأذابت بحرارتها جدران المدن . بل ان لهم فوق
ذلك السفائن وقد شحنت بالجنود ، ولهم الجياد تحتال

بمن يركبونها ، فيخيل اليك أنهم سيسرون قدما
الى تحقيق أهدافهم وهم يسحقون هامات الشعوب
في مسيرتهم ، ولكن . . . ويا للعجب . . .
ما أن يبلغوا مفرق الطريق الكبير في حظوظ
البشر ، حيث تنحرف القدم الى أن تنزل نحو
الهاوية ، أكثر مما تستقيم لاعتلاء العرش ، ما ان
بخطوا خطوات ثلاثا ، حتى يعتريهم الجمود
وتتولاهم الحيرة ويحاولون عبثا أن يقرأوا ماسطره
القدر في مصائرهم . انهم يترددون في خطواتهم
بعد أن فقدوا الثقة في أنفسهم ، فاذا هم يهرعون
الى العراف ليستحضر أرواح الموتى ، يسألهم عن
مصائر الأحياء ، وعن أى طريق يسلكون !!

(ملتفتا الى دون ريكاردو)

اذهب الآن . أزف الوقت لمجيء المتأمرين . . آه
ولكن أين مفتاح الضريح ؟

دون ريكاردو : (وهو يمد يده بالمفتاح) لتذكر يامولاى ، ان
« كونت ليمبورج » حارس الضريح أعطانى هذا
المفتاح . . هو دائما في خدمتكم ويأمل في رعايتكم

دون كارلوس : أنجز كل ما كلفك إياه .

دون ريكاردو : (ينحنى مسلما) سأتولى ذلك في الحال يا صاحب
السمو .

دون كارلوس : ثلاث طلقات مدفع لابد لى منها . . أليس كذلك

(دون ريكاردو ينحنى ويخرج)

(دون كارلوس ، وقد بقي وحيدا ، يخلد الى
تأمل عميق وقد شبك ذراعيه فوق صدره ،
وأخفى رأسه . ولكنه يرفع رأسه بعد ذلك ويستدير
الى الضريح)

المشهد الثاني

دون كارلوس (وحيدا)

دون كارلوس : شارلمان . . صفحا . هذه العقود والقباب المنعزلة
عن العالم لا ينبغي أن تردد جنباؤها غير كلمات
الزهد في هذه الدنيا .

أنت ساخط ولا شك ، اذ تسمع هذا الطنين
الصاعد من مطاعمنا وقد تكاثفت أصداؤه فوق
ضريحك .

أشارلمان هنا ؟

كيف وسعت أيها اللحد الضيق ، من غير عن
أن تتصدع أركانك ، كل هذا الشيء العظيم ؟
أحق أنت هنا ؟ أنت يا من كنت العملاق في عالم
ابتدعته يداك ! !

وكيف أمكن أن ترقد بعليائك وبكامل كيائك
في هذا المكان الضيق ؟

انه لمنظر رائع ينشط المخيلة على التأمل ، اذ ترى
أوروبا ، كما صنعها ثم تركها أشبه ما تكون
بصرح كبير يتربع على قمته رأسان ، بل رئيسان

منتخبان ، يخضع لهما كل ملك منحدر من
أصلا ب ملوك .

أكثر الدول والدوقيات والاقطاعات العسكرية ،
والممالك ، والمركيزات ، كل هذه وراثية^(١)
إلا أن الشعب يكون له في الغالب ، قطبان ، البابا
والامبراطور وتجرى الأمور بينهما ، والصدفة
الخاطئة تصلحها صدفة غير خاطئة ، هذا وما يجيء
عرضا ، يبقى بلا قصد ولا هدف ، ومن هنا
يقوم التوازن بين السلطات ، ويستتب النظام ؛
أيها الناحبون ترفلون في الثياب يوشى الذهب
حرافيها ، أيها الكرادلة في أرديتكم القرمزية
ومنكم يتألف مجلسا شيوخ مقدسان ، منهما تهتر
الأرض ، لستم فيما ترمونه من أمور ، أكبر
شأنا ممن يقدمون استعراضا مسليا ، والله وحده ،
هو الذي يفعل ما يشاء .

يكفى ان تطل برأسها يوما ، فكرة استوالدها
حاجة من حاجات العصر ، حتى ترى هذه الفكرة
تنمو ، وتعظم ، وتسعى على قدمين ، بل هي
تجرى . . وقد اختلطت بكل شيء ، لتتمثل كائنا

١ - يبدو غريبا أن ملكا صار إلى ما هو عليه بطريق الوراثة ثم هو مع ذلك يصف
الملكية بأنها وراثية ! ! اننا نحس أن المؤلف يقف وراء الملك دون كارلوس
ويتكلم بلسانه هو ليس بلسان الملك ! ! وينادى بعودة عائلة (البوربون) إلى
الحكم ، وهي العائلة التي حكمت فرنسا قبل الثورة ، ثم عادت إلى الحكم بعد
انتهائها وانتهاء حكم بونابرت .

انسانيا يأسر القلوب ، ويحفر في صفحة المجتمع
خطوطا ، بل يشق أنحاديده .

ويقع أن يحلو للملوك أن يطئوها بأقدامهم ،
أو أن يلجموا فمها بكمامة . ولكن ما أن تقتحم
ذات صباح اجتماع الناخبين ^(١) ، أو مجمع
الكرادله ^(٢) حتى يرى الملوك فجأة هذه
الفكرة التي سبق أن كبلوها بالأغلال - تمشي
فوق هاماتهم وقد حملت في يدها صولجان العالم
بأسره ، أو هي ترفع فوق جبينها التاج البابوي
فلا يملكون الا أن يحنوا سيقانهم .

البابا والامبراطور . . هما من يتمثل فيهما كل
شيء ، ويعود اليهما كل شيء على الأرض ، اذ
فيهما يكمن سر علوى ، ومن السماء هبطت
عليهما الحقوق الالهية ، بل ان الله ليمد لهما وليمة
فاخرة ألوانها الشعوب والملوك ، بعد أن يبسط
فوقها سحبا تقصف رعودها .

يجلس الاثنان ، منفردين ، على هذه المائدة حيث
يقدم لهما الله العالم طعاما . يجلسان رأسا لرأس ،
يقطعان ويصلان ، يثبتان ويمحوان ، في شئون
العالم ، وكأنهما الزارع الذي يفلح أرض حقله .
كل أمر يتم بموافقة من جانبيهما ، هذا وقد وقف
الملوك بالباب يستنشقون رائحة الطعام الذي يقدم

١ - المجلس المنوط به انتخاب الامبراطور .

٢ - الاجتماع الذي يعقده الكرادلة لانتخاب البابا .

اليهما ، وهم ينظرون من وراء الزجاج في بقطة
وفي سأم ، وقد اشرأت الأعناق ، وتحاملت
القمامات على أصابع القدم .

ان العالم الذى استوى تحتها يتجزأ صفوفًا
ومستويات ، ثم يعود ليجتمع ويتماسك ، وهما
في أخذ مستمر يعقدان ويحلان ، في أحدهما
تتمثل الحقيقة ، وفي الآخر القوة ، هما من هما ،
وسبب وجودهما كامن فيهما .

فاذا خرج الاثنان من الهيكل - وكأنهما فرسا
رهان يزهو أحدهما في رداءه الاجوانى ، والآخر
يشرق في ثوبه الأبيض اجتذبا أنظار العالم ، فاذا
هو يرمقهما مبهورا خاشعا . . انه يرى فيهما
نصفى الإله . . البابا والامبراطور .

الامبراطور . . الامبراطور . . هل سأكون
امبراطورا ؟ أو لا أكونه ؟ (١)

ولى الويل ألا أكونه ، وان كان قلبي يتفصد
شجاعة وبأسا . .

ألا ما كان أسعد الراقد في هذا القبر !! وما
كان أعظم شأنه في زمانه !! كانت الأمور أثقل
وزنا وأروع رواء . لم يكن البابا والامبراطور
مجرد رجلين « بطرس » و « قيصر » بل كانا
يمثلان روما ، في سلطانها المزدوج ، السلطة

١ - يبدو أن المؤلف أورد هذا وهو متأثر بموقف (هملت) من البعث بعد الموت !

الدينية والسلطة الدنيوية ؛ وقد تركز السلطان بين أيديهما فاذا هما يمازجان بين السلطتين ، وينسقان بنفس مقدس ، واذا السلطان تتمخضان عن انسانية ذات طابع جديد وروح جديد ، واذا الشعوب والممالك ، بعد أن يختلط فيها الحابل بالنابل ، تذوب في بوتقة وتنصهر من جديد لتخرج أوروبا الحديثة وفقا للقلب الذي صنعته أيديهما ، وفيه عروق من معدن البرونز ، وهو ما تبقى من أنقاض العالم الروماني القديم .

آه . . . ويا له من قدر !! مع كل الذي أعطاه هذا العملاق فان هذا القبر مثواه !!

أكل^١ ما تعطي الدنيا يتضاءل في النهاية ، ويصغر حتى ينكمش ، بحيث يحتويه هذا المكان الضيق ؟ ما هذا . . . ويا للعجب !!

أبعد أن كنت الأمير ، والملك ؛ والامبراطور ، وكنت السيف ، وكنت القانون أيها العملاق ، الذي استقر بقاعدة تمثاله في المانيا . . . وماذا أعدد أيضا !! كان لقبك قيصر ، واسمك شارلمان ، كنت أعظم شأننا من « هانيبال »^(١) و« أتيللا »^(٢)

١ - القائد القرطاجي (١٨٣ - ٢٤٧) الذي هزم روما وسار اليها في جيش كبير عبر جبال الألب وكاد يستولى عليها .

٢ - ملك الهون (٤٣٢ - ٤٥٣) الذين سكنوا سهول هنغاريا وزحف على رأس جيش كبير فاجتاز نهر الرين إلى فرنسا وحاصروهم مدنها فيما عدا باريس ، ولكن هذا المد الزاحف توقف بعد ذلك .

بل كنت صنو العالم بأسره . . وكل هذا يصبح
رهن هذا القبر !!

آه !! جاهد ما استطعت في نيل الامبراطورية، ثم
انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !!
أملأ الخافقين ، سماء وأرضا ، املأهما جلبة
ودويا ، أعل البناء ودعم امبراطوريتك ولا تقنع
بشيء ، ولا تقل يكفى . . بل اقطع من الصخور
الصلبة ما تشيد به صرحا كبيرا . . أتدرى ماذا
سيتبقى منها يوما . . ويا للجنون ؟؟

لن يتبقى منها غير هذا الحجر !!
أتعرف ماذا يتخلف من اللقب المدوى ، ومن
الاسم المجيد ؟

بعض أحرف يدفعون بالأطفال الى تهجيتها !!
ومهما يكن الهدف الذى تسعى بكبريائك الى
تحقيقه ، ومهما دفعت بهذا السعى الى تجاوز كل
حد ، فهذا هو الحد الأخير ، وهنا نهاية السعى !!
الامبراطورية . . الامبراطورية . .

ومع كل ذلك أريدها ، أريد أن المسها بيدي ،
وليكن ما يكون ، انى أراها وفق ما أريد . . ان
هاتفا يسرُّ الى أنها ستكون لى ، وسأكون أنا
لها . آه . لو تكون لى ، سأصبح اذن ، يا لله ،
البداية في كل شيء ، وقد وقفت منفردا على قمة
ترتفع طبقاتها الواحدة فوق الأخرى في مستويات
حلزونية . .

سأكون معقد قبة تألفت من ركام عدة دول ،
فأرى من تحتي الملوك وقد اصطفوا صفوفا ،
فأمسح حذائي برءوسهم ، ثم أرى من هم دون
هؤلاء ، الاقطاعيين فالكونتات ، فالكرادلة ،
فالأساقفة ، فالدوقات ، ثم الأساقفة ، ف رؤساء
الأديرة ، فزعماء العشائر ، فأرباب العائلات ، فالسادة
فالكتاب ، فالجنود ، لتأتى بعدهم جماهير الناس ، وقد
انزوت في ظلال الحنايا ، المنسية من أعماق الهوة ..
الناس ؟ . . أى الشعب ، وأعنى بهم البحر الصاحب
المسجور بالدموع والصراخ وبالضحك المرير ،
أحيانا ، الضحك الذى يجأر بالشكوى التى تصل إلى
مسامعنا ، خلال هذه الأصدااء وكأنها نفخ
الأبواق . جماهير الناس ؟ ! . . أسراب من
النحل ، تسكن المدن وتعشش في الأبراج حيث
تدق النواقيس لا يلاحظهم ولطلب النجدة .

(وهو ما برح غارقا في تأملاته)

وعلى أكتاف القاعدة ، قاعدة ، الأمم ، ينهض
ذلك الهرم الهائل ، الذى يتكىء على قطبيه
ويتوازن ، هذا وجماهير الشعب تتلاحق كالأمواج
الحية وتتراكب حول هذا الهرم وتضغط عليه ،
فاذا هو يرتج ويמיד ، فتتبدل معه منازل الأشياء
وتتمايل في ذراه العروش وتهتز ، كما تهتز المقاعد
وتغير من أماكنها . فاذا قطع الملوك منازلهم
العقيمة ومدوا أبصارهم الى العلاء ، سمعوا من
يهتف : أيها الملوك أجدر بكم أن تنظروا الى ماتحت

أقدامكم ، فهناك الشعب . الشعب ؟ المحيط . .
أمواه لا تنقطع عن الحركة . . اذا ألقيت فيه بأى
شئ فلا بد أن يضطرب فيه كل شئ !!
الشعب ؟

الموجة العاتية التى تسحق عرشا ، وتهدهد قبرا !!
المرآة التى قل أن يترأى فيها وجه وسيم لملك !!
واذا ألقينا بنظرتنا أحيانا الى هذه الأمواه المعتمدة
نستشف ما وراء سطحها ، فلا نلبث أن نتبين في
أغوارها أنقاض ممالك ، يضيق بها الحصر ، أشبه
ما تكون بالسفن الكبرى طواها اليمُّ في جوفه بعد
أن ضاق بها ، تمخر فوق سطحه ، ثم أسلمها الى
تحركات المد والجزر تنكر من معالمها وتمحو .

كيف استطاع حكم كل هذا وتدير شئونه !!
أترضى ، أن تكون له ، أن تجلس فوق هذه
القمة وأنت تدري انك بطاقتك لا تتجاوز أن
تكون انسانا ، وأن تحت قدميك هاوية سحيقة
فاتحة فاها . .

آه ! الويل لى - وأرجو ألا أكون لهذا - اذ ذاك ،
اذا تملكى انبهار ودوار !!

ايه أيها الهرم الدائم الحركة - اذ ما أنت الاأخلاق
من ملوك وممالك - ما أضيق رقعة قمتك !!
والويل للقدم الخائفة ، اذا استقرت على أديمك .
لا أدري بماذا أمسك اذا أحسست بقدمي
تتخاذلان ؟

ماذا يحلُّ بي إذا شعرت أن قواي تنحور ؟
إذا وجدت العالم تحت أقدامى يرتعد ، إذا الأرض
تنبض وتتفجر ؟

ثم إذا استقرت بين يدي كرة السلطة وصوبلحان
القدرة .. فماذا أنا صانع بهما ؟
أفي وسعى على الأقل أن أقوى على حملهما ؟
ماذا بي وما هذا ؟

أصبح الامبراطور ؟ يا الهى ! ! وأنا من عييت
بتحمل أعباء الحكم ملكا ؟

حق انه لابد أن يكون منحدرًا من سلالة آدمية
ممتازة ونادرة ذاك الذى يقدر على أن يوسع من
طاقاته بالقدر الذى يهبوه انبساط الحظ لتولى هذا
المنصب .

ولكن أنا ! ! من أين أستمد هذه المعظمة ؟
وما عسى أن يكون القانون الذى أحكم به ؟ ومن
يكون لى الناصح الذى يجنبني الانحراف والخطأ ؟
(يجثو على ركبتيه أمام الضريح)

شارلمان ! أنت وحدك .

وبما أن الله القادر الذى لامرد لقضائه قد أذن
لجلالتنا أن يقفا وجها لوجه في هذا المكان ،
فأفرغ في قلبي ، من أغوار هذا القبر ، أقباسا
من كل ما هو عظيم وسام ، وجميل . اكشف
لى عن حقائق الأشياء في مختلف نواحيها ومظاهرها .

أرني أن الدنيا صغيرة وحقيرة لأنني أخاف أن
ألمسها بيدي . قل لي ان كل انسان في هذه الدنيا ،
وهي أشبه ما تكون بمدينة بابل من قيصر العظيم
الى راعي الضأن وهو في درجته وفي مستواه -
دائم الشكوى . دائم الاعجاب بنفسه ، يسرى
سواه أقل منه منزلة وقدرًا وبكاد لا يتمالك نفسه
من أن يضحك منه . أوضح لي أسراراك في كسب
النصر ، وفي تصريف شئون الحكم !

ألق في روعي أن العقاب خير من العفو وأفضل .
أليس كذلك ؟

وهل حق انه يحدث أحيانًا أن يوقظ صخب الدنيا ،
الراقد العظيم في مثواه المنفرد هنا فيستيقظ شبح
هائل ، واذا القبر الواسع المضيء ينشق ليخرج منه
الى العالم برق لامع يضيء الظلام ، اذا كان حقًا
ما ذكرت ، يا امبراطور المانيا فقل لي ما عسى أن
يكون في وسعنا أن نصنعه بعد شارلمان ؟

تكلم . . ولو أن نفخ كلامك الشديد الوقع قد
يخلع هذا الباب الحديدي ويحطم به جيبني . .
والا دعني أدخل منفردا الى حرمك لأرى وجهك
الذي علاه شحوب الموت ، ولا تدفع بي الى
الخارج بهيئة اعصار من أعاصيرك .

انهض من رقادك ، واتكى بمرفقك على سريرك
الصخري لتتكلم . . نعم اكشف لي بصوتك

الرهيب عما يكفهر من سماعه البصر ، ويصفر
له الجبين .

تكلم ، ولا تعم بصر ولدك المفزوع بنور مما
يسطع به قبرك .

واذا لم يرق لك أن تقول لى شيئا ، فابق ثاويا
ودع كارلوس فى هدأة السكون الذى يحيط بك
يتفحص رأسك ، وكأنه يتفحص العالم ، دعه يسجل
مقاييس قامتك كما يحلو له أيها العملاق .. اذ لا شيء
هنا على وجه الأرض ، أروع من الفناء الذى صرت
إليه ، فلتعظنى رفاتك اذا عز أن يعظنى كلامك .
(وهو يذنى المفتاح من قفل الباب)

فلندخل .

(ولكنه يتوقف فجأة)

يا لله ! ! ماذا ، اذا سمعت منه همسا فى أذنى ؟ اذا
رأيتك هناك منتصبا على قدمه يسير نحوى فى نخطى
بطيئة ؟ سأخرج من هذا الضريح وقد ابيض شعر
رأسى . لندخل . . (يسمع وقع أقدام)

هناك قادم . . من الذى يجرو ، سواى وفى هذه
الساعة ، على أن يطرق هذا المكان ليوقظ السكون
المخيم عليه من الطارق ؟

آه . . نسيت . . القادمون هم من يريدون قتلى . .
فلندخل .

(يفتح باب الضريح ، ويدخل ثم يغلق الباب

عليه ، وتدخل جماعة من الرجال في خطسى
خافته ، وفي أردية تغلف أجسامهم ، وفي قبعات
تنسدل أطرافها على وجوههم .

المشهد الثالث

متأمرون يسير بعضهم الى بعضهم الآخر ، وهم
يتبادلون اللمس بالأيدي ، والهمس بالكلمات .

المتأمر الأول : (في يده مشعل يضيء) أد - أوجستا

المتأمر الثانى : بير - أنغستا

المتأمر الأول : القديسون يحرسوننا

المتأمر الثالث : الموتى ، يخدموننا

المتأمر الأول : الله يحرسنا

(يسمع وقع أقدام في الظلام)

المتأمر الثانى : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد - أوجسيا

المتأمر الثانى : بير - أنغستا

(وقع أقدام أخرى ويدخل متأمرون جدد)

المتأمر الأول : انظر . . جاء ايضا شخص آخر . .

المتأمر الثالث : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد - أوجستا

المتأمر الثالث : بير - أنغستا

(يدخل نفر من متأمرين جدد ليتبادلوا مع

الموجودين حركات رمزية بالأيدي)

المتآمر الأول : حسن . ها نحن هنا جميعا «جوتا» هات ما عندك ،
أيها الأصدقاء الظلمة تترقب النور . .

(يجلس المتآمرون متحلقين فوق أحجار القبور .
المتآمر الأول يدور عليهم والمشعل في يده ،
فيشعل منها كل منهم شمعة يحملها في يده . ثم
يذهب المتآمر الأول ليجلس في صمت على قبر
يتوسط الحلقة ويعلو بقية القبور)

دوق جوتا : (ناهضا) أيها الأصدقاء ، ان كارلوس ملك
اسبانيا أجنبي من ناحية والدته وهو يطالب
بالامبراطورية المقدسة .

المتآمر الأول : سيكون له القبر .

دون جوتا : (وهو يلقي بمشعله إلى الأرض ويطؤه بقدمه)
ليسحق رأسه مثلما سحقته هذا المشعل .

الجميع : ليسحق

المتآمر الأول : له الموت

دون جوتا : ليمنت

الجميع : فليذبح

دى جارو : أبوه ألماني

دى لوتزلبورج : وأمه اسبانية

دون جوتا : لم يعد أسبانيا ، ولم يكن ألمانيا ، فليمنت

أحد المتآمرين : واذا اختاره الناجبون الآن امبراطورا . . .

المتآمر الأول : هم يختارونه ؟ أيذا . . .

دون جيل : تلليزجيرون — وماذا لو اختاروه !! أيها الأصدقاء ، لنضرب الرأس فيموت التاج :

المتآمر الأول : اذا جاءته الامبراطورية المقدسة ، فسيصبح — مهما يكن من يكون — الجليل المعظم والله وحده ، اذ ذاك ، من يستطيع أن يمسه بأصبعه . ؟

دون جوتا : أوثق الأمور أن يموت قبل أن يتم انتخابه .

المتآمر الأول : لن يتم انتخابه .

الجميع : لن تكون له الامبراطورية .

المتآمر الأول : كم من الأيدي تكفى لتلقه في الكفن ؟

الجميع : يد واحدة .

المتآمر الأول : وكم من ضربة في القلب تودى به ؟

الجميع : ضربة واحدة

المتآمر الأول : ومن يضربها ؟

الجميع : نحن جميعا

المتآمر الأول : الذي أهدرنا دمه خائن . . الناخبون يريدون أن

ينصبوا امبراطورا ، فلنتخب نحن رئيس كهنة .
لنقترع . .

(يكتب المتآمرون أسماءهم في أوراق صغيرة .

وبعد أن يطووها ، يذهب كل منهم بدوره

ويلقى بها في جرة قائمة على قبر من القبور)

المتآمر الأول : فلنصل . . .

(يركع الجميع . . ثم ينهض المتآمر الأول)

ليكن المختار عن طريق الاقتراع مؤمنا بالله ،
يضرب بيد ثابتة كما يضرب الروماني ، وليمت
صامتا كما يموت العبري ، يجب أن يسخر من
ألام شدة الى عجلة التعذيب ومن عض الكلايب
الحديدية فيه ، وأن يرفع الصوت عاليا بالغناء كلما
شدت عليه آلات التعذيب ، وليقابل بالضحك
لسع المصاييع الحارقة ، ليأت كل هذا راضيا
مستسلما ، ليفعل كل شيء في سبيل أن يقتل ،
وأن يموت .

(يمد يده الى الحرة ويلتقط منها ورقة)

الجميع : ما الاسم ؟

المتأمر الأول : (يقرأ بصوت عال) هرناني

هرناني : (وقد برز أمام صفوف المتأمرين) رجحت أخيرا ،
نلت الآن ما كنت أجد في طلبه ، الانتقام .

روى جوميز : (متقدما الصف ليأخذ هرناني جانبا) تنازل لي
عن هذه الضربة .

هرناني : لا ، وأقسم بحياتي ، ولا تحسبني أيها المولى على
هذا المغنم ، هذه هي المرة التي ألقى فيها السعادة .

روى جوميز : أنت فقير لا تملك شيئا . . جميع اقطاعياتي ،
قصوري ، ما أملك من العبيد ، مائة ألف من
الفلاحين يعملون في ثلاثمائة قرية تخضع لنفوذى ،
أنزل لك عن كل هذا يا صديق ، في مقابل
أن تنزل لي عن هذه الضربة التي ستضر بها .

- هرناني : لا ..
- دوق جوتا : ذراعك لا تقوى على تسديد الضربة القاضية ايها الشيخ .
- روى جوميز : الى الورا يا هذا .. اذا أعوزتني قوة الذراع فستنجدني ، دقات النفس الفتية ، لا تحكم على السيف بما يعلو غمده من الصدا .
- (الى هرناني)
- لا تنس انك ملك لي .
- هرناني : حياتي ملك لك ، ولكن حياته هو ، لي وحدي أنا
- روى جوميز : (وهو يمسك بالبوق المشدود الى حزامه) أصغ الى أذن يا صديق ، اني أعيد اليك هذا البوق ..
- هرناني : (مهتزا) ماذا . أتعيد الى الحياة ؟ لم أعد أعبا بها ، كل همي أن أكون للانتقام ، وقد اختارني الله له .. . أثأر لأبي .. وأكثر من هذا ، فاني أثأر لها .. هل ترجعها لي ؟
- روى جوميز : لا .. وانما خذ هذا البوق .
- هرناني : كلا .
- روى جوميز : فكر جيدا يا بني .
- هرناني : دعني لفريستي يادوق .
- روى جوميز : اذن لتكن ملعونا اذ حرمتني هذه المتعة .
- (يعيد البوق الى حزامه)

المتآمر الأول : (الى هرنانى) من رأى أيها الأخ أن تتربص
لكارلوس من الليلة ، وقبل أن يتم الانتخاب .

هرنانى : لا تشغل بالك ، أعرف كيف أدفع برجل الى
قبره .

المتآمر الأول : لتقع على رأس الخائن أوزار خيانتة ، وليكن
الله معنا ، واذا لم يوفق هرنانى في مهمته ، فاننا
نبقى على العهد ، ونقسم بأن يتولى انجاز هذه
المهمة ، الواحد منا بعد الآخر ، والا يصرفنا
شيء عن انجازها . ان كارلوس مقضى عليه
بالموت

الجميع : (وهم يشرعون سيوفهم من أغمادها) نقسم .

دون جوتا : (الى المتآمر الأول) نقسم بماذا ؟

روى جومير : (مديرا سيفه بين يديه بحيث يمسكه من سنانة
ويرفعه فوق رأسه فيبدو السيف ومتبضه الى العلاء
وكأنه صليب)

اقسموا بهذا الصليب .

(يرفع الجميع سيوفهم في قسم)

الجميع : أن يموت من غير أن يجد فرصة ليتوب فيها الى ربه

(تسمع طلقة مدفع آتية من بعيد يخلد الجميع الى

الصمت . يفتح باب الضريح في بطاء . يظهر

دون كارلوس على عتبة الباب وهو مصفر الوجه

ويصيح بأذنه لسمع . تسمع طلقة ثانية . ثم طلقة

ثالثة . يفتح باب الضريح على مصراعيه . ولكن

دون كارلوس يظل بلا حراك)

المشهد الرابع

المتآمرون - دون كارلوس - دون ريكاردو -
يتبعه سادة وحراس - ملك بوهيميا - دوق دى
بافير - دونيا سول .

دون كارلوس : أيها السادة استمروا كما يحلو لكم فيما أنتم فيه . .
الامبراطور يسمع ماتقولون .

(تنطق جميع المشاعل دفعة واحدة سكوت
عميق يسود المكان . يتقدم دون كارلوس خطوة
في هذه الظلمة القائمة التي يترآى المتآمرون خلالها
وكأنهم نصب جامدة)

صمت وليل . أطل أول سرب من النحل الطنان
ثم غطس . أتخسبون أن هذا الأمر يجرأ كما لو أننا
في حلم واننى ، بعد أن انطفأت الشعل التي كانت
بأيديكم ، لن أرى فيكم غير تماثيل من الحجارة
فوق القبور ؟

ماذا ؟ كنت أيتها التماثيل ترفعين ، منذ هنيهة ،
الصوت عاليا بالكلام ؟ هيا ارفعوا رءوسكم التي
انخفضت وانظروا . . هاكم (شارلكان)
اضربوا . . . تقدموا ، أتجرعون ؟

كلا لن تجرءوا . انطفأت مشاعلكم الدامية تحت
هذه العقود وماتت . . قضت عليها نفحة هواء
من فمى .

وليس هذا كل شيء ، انظروا حوالىكم بعيونكم

الجائرة لتروا ، أنى إذا أطفأت شعلا ، أوقدت
شعلا أكثر عددا منها .

(يدق بالمفتاح على باب الضريح ، فتمتلى رحاب
الكهوف ومساربها بجنود مسلحين ، يحملون
بأيديهم المشاعل المضيئة ، وعلى رأسهم دوق
الكالا ، والمركيز المونان)

انطلقى ياصقورى ، هاكم العش ، واليكم الفريسة
(الى المتآمرين)

أنير الآن أنا المكان بدورى . انظروا ، ان الضريح
يسطع نورا ويتلأأ .

(الى الجنود)

تعالوا جميعكم وألقوا القبض عليهم فهم متلبسون
بالجرمة .

هرناني : (وهو يراقب الجند) وضح الأمر وزال اللبس ،
.. حينما كان قائما بمفرده ، كان يبدو لى عظيما .
حسبته في أول الأمر شارلمان ، فاذا هو شارل كان !

دون كارلوس : (الى دوق الكالا) أيها القائد الأول . . (ثم الى
مركيز المونان)

وأنت يا أمير بحر قشتالة ، جردوا هؤلاء من
أسلحتهم .

(يلتف الجند حول المتآمرين ويجردونهم من
أسلحتهم)

دون ريكاردو : (وهو يجرى نحو كارلوس وينحنى أمامه بحيث
يقارب جبينه وجه الأرض)
يا صاحب الجلالة .

دون كارلوس : أنت من الآن قائد حراس القصر .

دون ريكاردو : (ينحنى مرة ثانية) وفد ناخبان ليرفعا التهنئة الى
جلالتكم المقدسة ، نيابة عن المجلس .

دون كارلوس : ليدخلا .

(بصوت منخفض)

دونيا سول . . لاتنسى

(يحى ريكاردو ويخرج . ويدخل ملك بوهيميا
ودوق دى بافير يتقدمهما نفر من حملة
المشاعل ، ومن النافخين في الأبواق ، وهما في
لباسهما الرسمي المذهب ، ويعلو التاج جبين كل
منهما . هذا ويمشى وراءهما رهط من اشراف
ألمانيا يحملون علم الامبراطور وهو يمثل راس
نسر ذى رأسين ويتوسطه الشعار الاسباني .
وينتظم الجنود بحيث يؤلفون صفين منهم ،
ابتداء من المؤخرة حتى مكان دون كارلوس ويمر
من بينهما الناخبان الوافدان اللذان يتقدمان نحو
الامبراطور وينحنيان أمامه . . تحية طويلة يرد
عليها دون كارلوس برفع قبعته)

دون دى بافير : اى شارل ، ملك الرومانيين ، صاحب الجلالة
المقدسة ، أيها الامبراطور ، ان العالم الآن بين

يديك اذ انتهت اليك الامبراطورية . وبهذا صار
لك العرش الذي ينعقد عليه طموح كل ملك اختار
المجلس في أول الأمر فردريك ، دون ساكس ،
ولكنه رأى انك أنت أجدر منه بهذا المنصب ،
فاعتذر عن قبوله . فتقدم اذن والبس التاج ،
وامسك الكرة بيدك . ان الامبراطورية المقدسة
أيها الملك تخلع عليك الرداء الأرجواني وتقلدك
السيف الكبير النصل . . وانك للعظيم المتعالي .

دون كارلوس : عند عودتي سأذهب الى المجلس لأشكر له ما
خصني به ، ثم انى لشاكر لكما مبادرتكما
بالتهنئة . فتقدموني أيها السادة الى المجلس ، هيا . .
أخي ملك بوهيميا ، ويا بن العم دوق بافاريا ،
سألتق بكما

ملك بوهيميا : شارل ، كان أجدادنا معروفين بتبادل الحب
والوداد بينهما . وكان أبي صديق إليك وكان
أبواهما من قبلهما ، متصادقين متحابين . شارل
كنت في صباك هدفا لمتاعب كثيرة ، وعرفتك
منذ أن كنت طفلا ، ولا يمكننى أن أنسى ذلك
فهل تريد أن تتخذنى أخا بين اخوتك ؟

دون كارلوس : (مقاطعا) ملك بوهيميا أجدك أسرفت فى رفع
الكلفة بيننا

(يقدم يده اليه فينحني ويقبلها . وكذلك يفعل
دوق دى بافيرا ويخرج الناخبان يتبعهما الموكب
بعد أداء التحية الواجبة)
تفضلوا .

- لجميع : يحيى الامبراطور
- دون كارلوس : (منفردا) انتهيت اليها ، وانفسح لى الطريق ،
وصرت الامبراطور . بعد أن تنحى فردريك
الحكيم
- دونيا سول : جنود الامبراطور !! يا الهى .. اية مفاجأة ..
هرنانى .
- هرنانى : دونيا سول .
- روى جوميز : (جانبا) لم ترنى
- (تجرى دونيا سول نحو هرنانى ، ولكنه يتوقفها
بإشارة)
- هرنانى : سيدتى .
- دونيا سول : (وهى تخرج خنجرا من صدرها) احتفظ دائما
بخنجره معى .
- هرنانى : (وهو يمد يديه نحوها) يا حبيبى .
- دون كارلوس : صمنا .. جميعكم . (الى المتأمرين) هل عاودكم
الصواب الآن ؟
- يجدر بى أن ألقى درسا على العالم .
- « لارا » القسطلانى ، و « جوتا » السكسونى ..
تكلما ، بل تكلموا جميعكم ماذا جئتم تعملون
هنا ؟
- هرنانى : (متقدما خطوة) مولاي ، ليس الأمر عسيرا ،

ونستطيع أن نجاهرك به ، جثنا نحفر الحكم على
جدار بلتزار (١)

(يشهر خنجره ويلوح به في الفضاء)

ونعطى لقيصر ما يجب أن يعطى لقيصر (٢)

دون كارلوس : هذا حسن . (الى روى جوميز) وأنت أيها
الحائن سيلفا ؟

روى جوميز : من منا ، نحن الاثنين الحائن يامولاي ؟

هرنانى : (وهو يوجه السلام الى المتأمرين) رووسنا
والامبراطورية صارت له ، نال كل ما يرغب
فيه (الى الامبراطور) رداء الملوك الأزرق كان
يعوذك في مشيتك ، أما الرداء الأرجواني فانه
وفق ما تريد ، ان السدم اذا خضبه ، فلن تظهر
أثاره عليه

دون كارلوس : (الى روى جوميز) دى سيفا يا بن العم .
خرجت على ولائك لى ، فمن العدل أن أمحو
بارونيتك من شعار الدولة . . يادون روى ،
اقترفت الحياة العظمى ، ففكر في الأمر .

روى جوميز : من ملوك رودريك انحدرت كونتات جوليان

دون كارلوس : (الى دوق الكالا) لا تحتجز الا من هو دوق أو
كونت ، أما الآخرون . . (يخرج من زمرة

١ - آخر ملوك بابل ، وقد ظهرت نبوءة مكتوبة على جدار قصره بأنه الأخير من
ملوك بابل .

٢ - من كلام السيد المسيح ، ووارد في الانجيل .

المتآمرين دوق روى جوميز ، دوق دى
لوتز يلبورج ، دوق دى جوتا ، دون جوان دى
هارو ، دون جوزمان دى لارا ، دون تيليز جيرون
البارون دى هوهينبرج ، ويبقى بقية المتآمرين ،
وبينهم هرنانى ، وقد أحاطهم دوق الكالا
بحراسة شديدة)

دونيا سول

: (على حدة) نجا .

هرنسانى

: (خارجا من الزمرة) الآن أطلب بأن أعد منهم
(الى دون كارلوس) مادامت الأمور قد
انتهت الى أن تقضى فيها فأس الجلاذ ، وأن
هرنانى الراعى الحامل الذكر سيمر من بين قدميك
دون أن ياله عقاب ، لأن رأسه لا يرقى الى مقام
سيفك ، وانه لكى أموت ، لابد أن أكون من
العظماء ، فلا مفر اذن من أن أرفع قامتى وأكشف
عن حقيقتها .

ان الله الذى يعطى الصوبلخان لمن يشاء ، وقد جاد
به عليك ، جعلنى دوقا لسفورا ودوقا لكردونه ،
ومركيزا لونروا ، وكونتا للبراء ، الى غير
ذلك من أماكن يفوتنى أن أحصى عددها .
أنا يوحنا الارجوانى ، الحامل درجة أستاذ فى
وسام (دافيس) .

ولدت فى المنفى ، ودرجت ابنا طريدا لاب قتل
بحكم من أبك يا كارلوس باملك قشتالة ، فللقفل
بين اسرتينا أعمال جارية . . أنتم تعدون منصة

الاعدام ونحن نجهز الخناجر . وعليه فان الله
جعلني دوقا ، ولكن النفي جعل مني جبليا ،
فاذا كان سيفي الذي شحذته على صخور الجبال
وفي مجارى السيول الندية لم يفلتن في شيء ، فأنا
أضع قبعتي فوق رأسي .

(موجهها الكلام الى المتآمرين)

فلنضع قبعتنا فوق رعوسنا يا عظماء اسبانيا .
(الى كارلوس) من حقنا ألا تسقط رعوسنا
أمامك الا وهى . تحمل قبعاتها (الى
الأشراف المتآمرين) سيلفا ، هارو ، لارا ،
يا من تحملون ألقاب الشرف ، ويارجال المناصب .
المناصب . يادوقات ياكونتات ، مكانا الى
بينكم ، مكانا ليوحنا الأرجوانى .

(الى الأشراف حول الامبراطور والى الجنود)
أنا يوحنا الأرجوانى أيها الملك ، أيها الجلادون ،
أيها الخدم ، فاذا كانت منصة الاعدام تضيق بنا ،
فأبدلوها بأخرى

(يذهب الى زمرة النبلاء ويقف بينهم)

دونيا سول : رباه

دون كارلوس : في الواقع نسيت هذه القصة !

هرنانى : ان من ينطوى على جرح يدمى ، لاتخونه الذاكرة ،
والاساءة قد ينساها حمقا من تصدر منه ، ولكنها
لا تغيب عن ذاكرة من نزلت به

كارلوس : اذن لي اللقب الذي يغني عن كل لقب سواه ،
وهو اني سليل ابناء كانوا يقطعون رءوس
أبائك !!

دونيا سول : (وهي ترقع أمام الامبراطور) عفوا ورحمة بنا
يامولاي ، والا فاقطع عنقينا نحن الاثنين . هو
حبيبي ، هو زوجي ، ومنه أستمد الهواء الذي
أتنشقه . آه اني أرتجف فزعا . . مولاي كن
رحيما وأمر بقتلنا نحن الاثنين . . . يا صاحب
الجلالة . . اني أزحف راحة حول قدميك
المقدسيتين . اني أحبه ، انه لي ، وهو مني بمنزلة
الامبراطورية منك . . الرحمة . .

(يستمع دون كارلوس وهو يحدق فيها من غير
حراك وقد امتقع وجهه) ما هذا الحزن ؟
الذي يستولي عليك ويمتصك ؟

دون كارلوس : (وقد أفاق من تفكيره) هيا . . يا دوقة انهضى
. . ويا كونتيسة البراء ، ويا مركيزة دى مونروا
. . (الى هرناني) ماهي بقية ألقابك يادون جوان ؟

هرناني : من الذي يتكلم هكذا ؟ الملك ؟

دون كارلوس : بل الامبراطور .

دونيا سول : (وهي تنهض) أيها الاله القادر .

دون كارلوس : (مشيرا بيده الى دونيا سول) اليك زوجتك
يا دوق .

هرناني : (دونيا سول بين ذراعيه وعيناه تنظران الى السماء) أيها الاله العادل

دون كارلوس : (الى روى جوميز) أراك غيورا ، يا ابن العم ، على نقاء السلالة في أسلافك ، أعرف هذا ، ولكن لا ضير في أن يتزوج آل أرجون ، من آل سيلفا .

روى جوميز : (في كآبة) ليست غيرتي من أجل هذا .

هرناني : (معانقا دونيا سول وناظرا في عينها) حقدي يذهب عني (يلقي بخنجره بعيدا عنه) .

روى جوميز : (على انفراد وهو ينظر اليهما) أطلق العنان لما بي ، وأفجر لوعتي ؟ لا . لا . هدوءا يا جنون الهوى ، ورحمة أيها الآلام السّوار . لن تثير فيها غير الشفقة عليك أيها الاسباني العتيق ، ولن تلقى الا السخرية منهما اذا تبينا هذا فيك . أيها الشيخ احترق من غير أن تندلع ألسنة اللهب ، واعشق ما حلالك ، وتألم ماشئت ، ولكن في الخفاء وفي صمت ، دع قلبك ينفطر وحذار أن يصدر منك صوت . . سيضحكون منك .

دونيا سول : (مازالت بين ذراعي هرناني) أنت دوتي .

هرناني : الحب يملأ كل شغاف قلبي . لم يعد هناك مكان لشيء سواه .

دونيا سول : بالسعادتى . .

دون كارلوس : (منفردا) انطفئ أيها القلب الذى يتأجج بنيران

الصباية والشباب وأفسح المجال للعقل يبسط
سلطانه ، فياطالما أغفلت أمره . بعد اليوم سيكون
هواك ، ستكون عشيقاتك ، صباياتك ، —
ويا للأسف ، هي المانيا والفلاندر ، واسبانيا .
(وقد تركزت عيناه على العلم الذى ارتسم عليه
النسر ذو الرأسين)

الامبراطور شبيه بهذا النسر ، ففي مكان القلب
منى لم يعد ينبض غير هذا الشعار .

هرنانى : أنت قيصر .

دون كارلوس : (الى هرنانى) ان نبل قلبك ، يادون جوان ،
لجدير بنبل محتدك .

(مشيرا الى دونيا سول) وانك لأهل لها . اركع
أيها الدوق

(يركع هرنانى ويخلع دون كارلوس عنقه
القلادة الذهبية ليطوق بها عنق هرنانى)
إليك هذه القلادة .

(ثم يشهر دون كارلوس سيفه ويدق به على
كتف هرنانى ثلاث مرات) كن مخلصا . باسم
القديس (سانت أتين) أرسمك فارسا .
(وينهض هرنانى ، ويعانقه الملك)

ولكن لك قلادة أخرى أرفع من هذه وأجمل لم
أحزها أنا رغم مرتبتى ولم تطوق عنقى . . . لك
ذراعا امرأة تحبها وتحبك . .

ستكون سعيدا ولا شك . . اما أنا . . . فأنا
الامبراطور

(والى المتآمرين)

لم أعد أذكر أسماءكم أيها السادة . الحق وال غضب
لم يعد لهما مكان في قلبي . اذهبوا جميعا فأنتم
طلقت . عفوت عنكم ، وهذا ما يجدر بي أن القيه
اليوم على العالم . ليس عبثا أن يخلف الامبراطور
شارل كان الملك شارل الأول ، وأن يصدر قانونا
بغير من وجه الأمور في عين أوروبا اليتيمة التي
تشهق بالبكاء اذ يجعل من صاحب السموس
الكاثوليكي ، صاحب الجلالة المقدسة . .

(يركع المتآمرون)

(يركع المتآمرون)

المتآمرون : (يهتفون) المجد لكارلوس .

روى جومير : (الى دون كارلوس) أنا وحدي بقيت المقضى
عليه .

دون كارلوس : وأنا ! !

روى جومير : (لنفسه) ولكنني لم أعف مثلما فعل .

هرناني : يا لله . . ومن ذا الذي غير من أحوالنا هذا التغيير ؟

الجميع : (الجند والمتآمرون والاشراف) تحيا المانيا . المجد
لشارل كان

دون كارلوس : (مستديرا بجسمه نحو الضريح بل المجد لشارلمان
دعوني الآن واياه منفردين) الجميع بخرجون (

المشهد الخامس

دون كارلوس (منفردا)

دون كارلوس : (وهو ينحنى أمام الضريح) أنت راض عني ؟
هل أحسنت تحرير نفسي من تفاهات الملك
ياشارلمان ؟ ؟

هل صرت رجلا آخر اذ أصبحت امبراطورا ؟
هل أستطيع أن أزواج بين مطالب خوذتي الحرية
وما تريده قبعة رجال الدين في روما ؟
هل لي الحق في أن أقضى في مصائر العالم ؟

أأصبحت لي القدم الراسخة الخطا تضرب باطمئنان
بين الانقراض ، في الطريق التي شقتها لنا نعلناك
الضخمتان ؟

هل وفقت في أن أقبس من فيوض أضوائك ما
أوقدت به مشعلتي ؟

هل وعيت الصوت الذي كان يناجيني داخل
قبرك ؟

آه شد ما أحسست الوحدة والضيق أمام
امبراطورية تضج وتصخب ، ويهدد كل من
فيها ويتآمر ! !

كان يجب أن أعاقب الدانيمركين ، وأن أدفع
للأب المقدس . . مقاطعات من مملكتي أنزل له

عنها . . ان أخذت: أهل: فنيسيا ، ومن سليمان
العثماني ، ومن لوثر ، ومن فرنسوا ملك الفرنسيين .
ألف خنجر حولي تلمع في الظلام وهي متعطشة
لسفك دمي . . .

فخاخ وحبائل ، وأعداء ليس يحصيهم العد . . .
عشرون شعبا ، كل منها بملأ بالفرع قلوب
عشرين ملكا . .

كل هذا رأيته يتطلب مني محولا عاجلة ، وفي
وقت واحد ، ويلج في اتخاذ ما يحده من جماحه ،
فدعوتك صارخا : أرشدني من أين أبدأ ؟
فأجبني : يا ولدي ابدأ بأن تكون رحيمًا .

(ستار)

الفصل الخامس

العرس

في مدينة سرقسطة

شرفة واسعة الأرجاء بقصر أراجون ، وينحدر
منها درج الى الحديقة التي تغيب معالمها في خضرة
داكنة

بالشرفة بابان ، يمينا ويسارا . هذا ويحيط بالشرفة
«درايزين» يتألف من صفين من عقود على الطراز
الموريسك « المغربي العربي » وتترآى من فوقها
ومن خلالها اشجار الحديقة ، ونوافير المياه
التائهة في الظلال ، ومجموعات من شجيرات
تتعانق أغصانها وتتخللها الأضواء .

وفي المؤخرة قامت أعمدة على الطراز القوطي ،
والعربي .

الوقت ليل .

تسمع من بعيد أصوات أبواق

ويرى أناس يسعون بجثة وذهابا في الشرفة ،
منفردين أو في جماعات وقد تنكروا في أزياء
حفلات الرقص المقنعة .

وفي المقدمة ، مقدمة منصة التمثيل ، وقف جماعة
من الشبان النبلاء يحملون أقنعتهم التنكرية بأيديهم ،
وهم يتصاحكون ويضجون في صخب مرتفع .

المشهد الأول

دون سانشو - كوت دي مونتيري - دوق
ماتياس سانتوريون - ماركير دالمونيان دون
ريكار دو - دي رو كاس - كونت دي كاسبالاما -
دون فرانثيسكو - دي سوتومايور - كونت دي
فيللا كازار - دون جراسي سوارز دي كارباجال
كونت دي بينالفير .

دون جراسي : في الحق يحيا المرح ولتحي العروس .

دون ماتياس : (وهو يطل من الشرفة) سرقسطة في أبهى زينة

دون جراسي : كل شيء على مايرام . لم نر قبل اليوم عرسا قام
على أضواء المشاعل وجاء أبهج من هذا العرس ،
وما من ليل أضفى من هذا الليل ، وما من عروسين
أجمل من هذين .

دون ماتياس : وما أطيب نفس الامبراطور .

دون سانشو : صاحبه ذات مساء ، وقد انقضى النهار ،
وسرنا نجلد في البحث عن مغامرة تشغلنا .

من كان يصدق انها تسفريوما عما أسفرت عنه الآن؟

دون ريكار دو : (مقاطعا) كنت معكما (الى المستمعين) أصغوا
سأقص عليكم القصة .

كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء
ويضيقون عليها الخناق ، أولهم قاطع طريق
تبحث عنه منصة الاعدام ، وثانيهم دوق ،

وثالثهم ملك . وحينما وقع الهجوم أتدرون من
الذى كتب له الفوز ؟
قاطع الطريق !! !

دون فرانشيسكو : ليس عجباً أن يقع ما وقع . ففي شئون الحب كما
في شئون الحظ باسبانيا أو في غيرها ، يكون زهر
الرد مخادعا ، ولا يظفر بالكسب غير اللص .

دون ريكاردو : من ناحيتي انما ، أعترف اني التقت حظي
الأوفر ، اذ سرت وراء ركاب الحب . كنت
في أول الأمر كونا ، فأصبحت عظيما من عظماء
أسبانيا ، وأخيرا صرت قائد حراس القصر .
لم يضع وقتي عبثا ، ولم يشك أحد في مقاصدي .

دون سانشو : السر في نجاح هذا السيد أنه كان يقف في طريق
الملك

دون ريكاردو : (مستمرا) وأعلى الملك من حقوقي وخدماتي .

دون جارسى : غنمت ماغنمته أنت ، من انتهاز الفرص فسى
متابعة معابثاته ولهوه

دون ماتياس : وما الذى انتهى اليه أمر الدوق العجوز ؟ أتراه
يعد مسامير نعشه ؟

دون سانشو : أيها المركيز ، لاتضحك منه ، انه رجل ذو نفس
أبية ، أحب دونيا سول وهو شيخ . ستون عاما
جعلت من شعره خليطا من بياض وسواد ، وقدر
يوم واحد على أن يحيل هذا الخليط قطعة من
بياض .

- دون جارسى : يقولون انه لم يعد يرى في سرقسطة
- دون سانشو : (وهو يهمس الى دون ماتياس) أكنت تريده
أن يجر وراء نعشه ليحضر هذا العرس ؟
- دون فرنشيسكو : وما يعمل الامبراطور ؟
- دون سانشو : الامبراطور اليوم كئيب ، « لوثر » يشغله
ويفضايقه
- دون ريكاردو : هذا المدعو « لوثر » الذى يستغيث منه الناس ويشير
همومهم ، أعطونى أربعة من الجنود وأنا أقضى
عليه سريعا .
- دون ماتياس : وسليمان سلطان العثمانيين ، يلقي عليه بظلمه
الثقيل . .
- دون جارسى : أوف . لوثر . . سليمان . . نبتون ، الشيطان .
وجوييتير ، مالنا بهم ؟
- النساء فائنات ، وصارت نادرة المسخر التى
تسرى عن النفس ، وقد تحدث بمائة كلمة مما
يوحى به الجنون .
- دون سانشو : هذا كلام سليم وفي صميم الموضوع
- دون ريكاردو : جارسى لم يخطئ وأنا لست أنا في أيام الأعياد
والمسرات ، وأعتقد أنه يكفى أن أضع قناعا على
وجهى ، حتى أتغير وأبدو وكأننى غيرى
- دون سانشو : (هامسا الى ماتياس) لم لا تطول أيام الأعياد
والمسرات ؟

دون فرنشيسكو : (مشيرا بحركة من رأسه) ستراهما قادمين بعد قليل .

دون فرنشيسكو : أتظن ؟

دون جارسى : بل متأكد .

دون فرنشيسكو : حسن جدا . . في الواقع ما أحلى العروس !

دون ريكاردو : وما أطيب قلب الامبراطور !! واليكم . .

هرنانى هذا الثائر قد عفا عنه ، وقلده قلادة الخصلة الذهبية ، ثم زوجه !! ولو أنه استشارنى في الأمر ، لجعلته يعطى هذا العاشق سريرا من الحجر ، ويعطى السيدة سريرا من الريش .

دون سانشو : (وهو يهمس في أذن دون ماتياس) أما لو كان

الأمر بيدي أنا ، اذن لقتلته بسيفى ، هذا الذى يدعى نبل المحتد ، هذا المزيف الذى يختفى خلف ثوب مزركش بالحيوط الحشنة ، وتحت صديرية ، مما يرتديه الكونتات ، وقد انتفخت بمغامرات مع رجال الشرطة .

دون ريكاردو : (وهو يقترب من المتحدثين) ما تقولان ؟

دون ماتياس : (بصوت منخفض الى دون سانشو) كونت . .

لسنا هنا للمنازعات (إلى ريكاردو) كان ينشدنى أحد قصائد بترارك في معشوقته .

دون جارسى : ألم تلاحظوا أيها السادة ، انه بين الورود والنساء ،

والثياب التى جمعت كل الألوان ، يقف ذلك الشبح متكئا على «الدرابزين» وهو مرتد ملابسه

التنكرية السوداء ، وكأنه بقعة كثيبة تعكر بهجة
هذه الحفلة ؟

دون ريكاردو : ايه . . وربى .

دون جارسى : ومن يكون ؟

دون ريكاردو : يبدو لي مما هو عليه من قامة ، وبما ينبعث منه ، أنه
« دون برانكازيو » أمير البحر .

دون فرانثيسكو : لا .

دون جارسى : لم أراه خالعا قناعه مرة واحدة

دون فرانثيسكو : فعل ذلك قصدا . اذ هو « دوق دى سوما » الذى
يخالف دائما ما يأتيه الغير من أجل أن يلفت
الأنظار اليه .

دون ريكاردو : لا ليس هو ، لقد تحدثت الى الدوق من قبل .

دون جارسى : اذن من يكون هذا المتنكر ؟ اليكم . . هاهو ذا
قادم الينا

(يبدو رجل يرتدى ثيابا تنكرية سوداء وعلى
وجهه قناع ، وهو يسير ببطء في مؤخرة الشرفة .
ويستدير اليه الجميع يتابعونه بنظراتهم . هذا في
حين أنه يبدو وكأنه لا يعيرهم التفاتا)

دون سانشو : اذا صح أن الأموات تمشى ، فهاكم خطاهم

دون جارسى : (يجرى مسرعا نحو الرجل المتنكر) لباس تنكرى بديع

(يستدير المتنكر نحو جارسى ويقف فيتأخر
جارسى خطوة الى الوراء نحو أصدقائه) أقسم
بنفسى . . رأيت في عينيه لها يلتمع

- دون سانشو : اذا كان هو الشيطان فسيجد من يتحدث معه
(متقدما الى الرجل المتنكر الذى بقى واقفا في
مكانه دون حراك)
أمر سييئ . . أجبث لنا من جهنم ؟
- المتنكر : لم أجبئ منها . . وإنما أنا ذاهب اليها
(ويعاود سيره ليختفى في درج الشرفة ، هذا
والجميع يتابعونه بنظرات ملؤها الفزع)
- دون ماتياس : في صوته أصداء . . سكان المقابر . . هذا ما يمكن
أن يقال عنه .
- دون جارسى : يكفى . . أن ما نخبفنا في ناحية من النواحي ،
يضحكنا في المرقص .
- دون سانشو : يا لها من دعاة سخيفة
- دون جارسى : أه هو الشيطان ، خازن جهنم ، أتى ليلقى نظرة
علينا ونحن نرقص قبل أن يكون له . . لرقص . .
- دون سانشو : لاشك في أن الرجل يمزح مزاحا سوقيا .
- دون ماتياس : سنعرفه في الغد .
- دون سانشو : (الى دون ماتياس) انظر . . أين ذهب ؟
- دون ماتياس : (ذاهبا الى «درايزين» الشرفة وهو يدير عينيه في
كل مكان) هبط من الدرج واختفى
- دون سانشو : ممازح غريب الأطوار ولا شك . . (مفكرا)
أمر غريب ! !
- دون جارسى : (الى سيدة تمر الى جانبه) سيدتى المركبيرة
أنرقص سويا هذه الرقصة ؟

(يحببها بانحناء ثم يمد يده اليها)

السيدة : عزيزى الكونت ، أنت تعلم أن زوجى يعد كل خطواتى معك .

دون جارسى : وهذا سبب آخر لأن نرقص ، حتى لا نخرمه متعة العدّ لنرقص .

(تعطيه السيدة يدها ويخرجان)

دون سانشو : (مفكرا) حقا هذا أمر عجيب ! !

دون ماتياس : صممتا . . أقبل العروسان

(يدخل هرثانى ودونيا سول ، يد من كل منهما تتشابك مع يد من الآخر . دونيا سول في لباس عرس ناصع البياض ، وهرثانى في لباس من المخمل الأسود وعلى صدره تدلى القلادة الذهبية ، وخلفهما جماعات من السيدات والسادة وكلهم في لباس التنكر ، وقد وضعوا الأقنعة على وجوههم ، وهم في الواقع يؤلفون موكبا للعروسين . فامامهم أربعة من الوصفاء وفي الخلف يسير حارسان يحملان الفؤوس العالية وينتظم كل هؤلاء على المنصة بحيث يفسحون للعروسين طريقا فيما بينهم)

المشهد الثاني

السابقون — هرثانى — دونيا سول

هرثانى : (وهو يرد التحية) يا أصدقائى الأعزاء .

دون ريكاردو : سعادتك هذه من سعادتنا يا موى .

دون فرنشيسكو : (وهو يتفرس دونيا سول) وحق القديس سان
جاك ، انها لآية في الجمال !

دون سانشو : (الى دون ماتياس) تأخرنا . . ألا ننصرف ؟
(يأخذ الجميع يحبون العروسين وينصرفون من
الباب ومن الدرج)

هرنانى : (وهو يودعهم) في حراسة الله .
دون سانشو : (بقى آخر المنصرفين . . ويشد على يد هرنانى)
فلتسعد (ينصرف)

المشهد الثالث

هرنانى - دونيا سول

دونيا سول : أخيرا . . انصرفوا جميعا .

هرنانى : (وهو يحاول أن يأخذها بين ذراعيه) يا غرامى .

دونيا سول : (وقد احمرت خجلا وتراجع) يبدو لى أن . .
اننا صرنا في ساعة متأخرة من الليل .

هرنانى : . . ياملاكى . . كل ما يؤخر لقاءنا يكون مفرطا في
طوله .

دونيا سول : أتعبتني هذه الضجة ، ألا ترى ياسيدى العزيز أن
الافراط في اللهو مدعاة الى أن يقلل من شعورنا
بالسعادة ؟

هرنانى : أنت على حق ، فالسعادة يا حبيبتي شيء له منابته ،
وهنى لاتسكن الألقوب الصلبة لتحفر عليها في
توذة وجودها . . واللهو وان أضفى عليها جمالا ،

الا أن القلب ينفر منه اذ يجعل ابتساماته أقرب الى
البكاء منها الى الضحك .

دونيا سول : في عينيك أطالع هذه الابتسامة وكأنها اشراقه
النهار

(يحاول هرناني أن يسير بها الى باب الحجرة
ولكنها تمنع في خفر)
مهلا . .

هرناني : أنا أسيرك ، ابقى ماحلالك البقاء ، افعلى ماتريدين
فلن أسألك شيئا . أنت تعرفين ما تصنعين ، وكل
ما تصنعينه محبب الى نفسى . اذا أردت أن أضحك
فسأضحك ، واذا شئت أن أغنى فسيرتفع صوتى
بالغناء ، قلبي كله نار ولهب . قولى للبركان
أطفى نارك ، يغلق البركان فوهات المتثابثة بالحمم
ولن ترين على سفوحه وجنباة غير الزهر والعشب
الأخضر ، لأن العملاق قد استؤنس ، وبركان
« فيروف » قد استبعد ، وماذا يهملك اذا كان
الحمم أضنى قلبه ؟ تريدين رؤية الزهر —
لا عليك ، اذ ينبرى البركان المحترق يبذل كل
جهد ليتفتح زهورا تسر الناظرين .

دونيا سول : ما أرحمك قلبا يخنو على امرأة ضعيفة ! ! هرناني
يامن تسكن قلبي . .

هرناني : ماذا يعنى هذا الاسم ياسيدتى ؟
لاتدعيني بعد الآن بهذا الاسم ، أناشدك الرحمة !
انك بهذا الاسم تذكرينى مانسيته .

أعرف أنه كان هناك ، في حلم خفيف ، من
يدعى هرناني وكان لنظراته بريق السيوف . .
رجل مخاطر يركب الليل ويجوس الجبال ، هو
عاص مطارد ، خطت كلمة الانتقام على كل
شيء فيه . يائس تلاحقه لعنة أينما ولى وجهه .
ولكنني لم أعد اليوم أعرف هرناني هذا . .
انني أهم الآن بالمسروج الخضر ، ويشجيني
تغريد البلبل بالزهور ، أنا يوحنا الارجواني ،
أنا زوج دونيا سول ، واني بلحد سعيد .

دونيا سول : واني لسعيدة .

هرناني : ماذا يهمني الآن . . الأسماك والحرق ،
والانقراض ، تركتها وراء الباب . وهأنذا أعود
الى قصرى الحزين ، وعلى عتباته أرى ملكا من
السماء ينتظرني . . هأنذا أقيم من جديد
العمد المحطمة الثاوية على الأرض ، أعيد
اشعال النار ، وأفتح مصاريع النوافذ ، أنزع
الحشائش عن أحجار الفناء ، لقد أرجعوا الى
أبراجي ، وحصوني ، وشرفاتي ، وردوا القابي
وريشة نخوزتي ، وأعادوا مقعدي في مجلس
قشالة :

إلى يادونيا سول ، تتهادين في حمرة خديك ،
وفي خفر عينيك ، وليدعنا الناس في خلوتنا . .
ان مافات ، قد انقضى وراح . أنا ما رأيت شيئا ،

وما قلته وما فعلته . انى أبدأ من جديد ، لاننى نسيت .
كل ما فات ، وسواء عن حكمة أو عن جنون ،
فانى أحبك ، أنت لى ، وأنت كل متاعى .

دونيا سول : (وهى تتفحص القلادة الذهبية على صدره) .
ما أحلى هذه القلادة الذهبية وهى تزهو فوق
خلفية من المخمل الاسود ! !

هرنانى : رأيتها قبل ذلك ، إذ كان الملك يقلدنى إياها .

دونيا سول : لم أهتم بالأمر ، إذ هى لا تهمنى فى شىء ، إذا
لم تكن لك .
نم . . أهو المخمل ، أو الحرير الذى يكسب
القلادة هذا البهاء ؟

لا . . لا يادوق ، هو جيدك الذى يزينها
فيك يامولاى نبل وفيك شهى الكبرياء .
(يحاول هرنانى أن يجتذبها)

لحظة ولا تتعجل . أترى ماى ؟ انه هزة الفرع .
. . انى أبكى . . تعال نستمتع بجمال الليل .
(تسير إلى الدرايزين)

لحظة يادوق . . مهلة ، أن أتنشق الهواء ، وأسرح
الطرف

كل شىء قد انطفأ وسكت ، الأنوار وموسيقى
العرس ولم يبق سوانا : الليل . . . وأنا . . .
وأنت . . اكتملت لنا الفرحة .

قل لى ، ألا تعتقد أن الطبيعة ترعانا وتسهر علينا
فما من سحابة واحدة تحجب وجه السماء . كل

كائن حولنا يستريح ، كما هي حالنا . تعال ،
واستنشق معي شذى الورد . انظر لم يعد هناك
نور يضيء ، ولا جلبة تسمع . كل شيء صامت .
كان القمر منذ لحظة طالعا في الأفق ، وحينما
كنت تتكلم ، خيل الى أن ضوءه المرتجف
وصوتك المرتعش - الاثنان معا - ينفذان الى
قلبي فأحسست الفرحه تملوئي ، والطمأنينة تشيع
في نفسي .

آه . . يا حبيبي لم لا يأتي الموت في هذه الساعة !!

هرناني : من ذا الذي لا يغفل عن نفسه ، وينسى كل شيء
لدى سماع هذا الصوت العلوي ، كلامك أهازيج
جل شأنها أن تحمل شيئا من أناشيد البشر . فاني
أتابع بفكري أحلامك وأخيلتك ، كما ينطلق
المسافر على صفحة النهر ، وقد انساب مع التيار
في ليلة ضافية من ليالى الضيف ، فاذا هو يطالع
مروجا لا يحصرها العد ، وقد وشاها الزهر .

دونيا سول : هذا السكوت ممعن في الكتابة . . وهذه الهدأة
توغل في أعماق بعيدة . . . قل لي . . ألا تصبو
إلى رؤية نجم يضيء من بعيد في نهاية الأفق ؟
ألا تشتهي سماع صوت رقيق حاني يرتفع فجأة
يغنى ويهتف ؟

هرناني : يالك من صاحبة مزاج متقلب ؟
كنت منذ ساعة تهربين من الأنوار ومن الموسيقى
دونيا سول : مللت المراقص ، ولكنني أقبل على سماع الطائر

يشدو في الحقول ، البلبيل يصدح وقد حجبته
الظلال وأوراق الشجر ، وأحن إلى سماع
المزمار ، وهو يثن من بعيد ، ان للموسيقى حلاوة
تأسر ، تتناغم معها النفوس وتنصقل المشاعر ،
وتردد القلوب أصداءها ، فنحس كما لو أن
نشيدا علويا يهبط علينا من السماء .

شد ما أكون سعيدة لو أتيح لي الآن سماعها ! !
(يرتفع صوت يصدح من بعيد)
حمدا لك ياربى . . حققت لي أمنيى !

هرنانى : (وهو يرتجف على انفراد) ما أتعسك !

دونيا سول : ملاك حارس استشف ما وراء فكرى - وهو
بلاشك ملاكك الكريم .

هرنانى : (في مرارة) نعم هو ملاكى الحارس .

(يرتفع صوت البوق مرة ثانية)

(على حدة) مرة أخرى .

دونيا سول : (وهى تبسم) يادون يوحنا ^(١) ، عرفت
الآن . . ان ماسمعتة انما هو صوت بوقك .

هرنانى : أليس كذلك ؟

دونيا سول : تشاركنى الطرب مناصفة في هذه الأغنية الليلية ؟

هرنانى : ليكن فلي نصفها كما قررت . . .

دونيا سول : في الرقص ما يبعث على السأم وأفضل عليه سماع

١ - خلع الملك دون كارلوس هذا اللقب على (هرنانى) قرب نهاية الفصل الرابع
اذ عفا عنه وأعاد اليه ألقابه وممتلكاته .

صوت البوق يرتفع في أعماق الغاب. ثم ان
صوت بوقك من صوتك .

هرناني : (على حدة) النمر يزأر بحثاً عن فريسته

دونيا سول : دون يوحنا ، ان هذا النغم يملأ قلبي فرحاً

هرناني : (يهم واقفاً وقد لبس الرعب) ادعيني هرناني
.. هرناني ، لم أقطع بعد ما بيني وبين وهذا الاسم
الذي يحمل الموت في تضاعيفه .

دونيا سول : (وهي ترتجف) مابك ؟

هرناني : الشيخ الهرم ..

دونيا سول : ماهذه النظرات المليئة بالفجيعة ! ! مابك ؟

هرناني : هذا الشيخ الذي يرسل ضحكاته في الظلام .
ألا ترينه ؟

دونيا سول : الى أين ينتهي بك هذا الهيمن ؟ ومن هو هذا
الشيخ ؟

هرناني : الشيخ الهرم

دونيا سول : (تجثو على الأرض) . راحة على الأرض ، أبتهل
إليك . قل لي أي سر من الأسرار يمزقك ؟ مابك ؟

هرناني : أقسمت .

دونيا سول : أقسمت ؟

(تتابع جميع حركات هرناني في وجل . أما
هو فيمسك فجأة عن الحركة ويمر بيده على جبينه)

هرناني : (على انفراد) ما عسى أن أقوله لها ؟ فلاجنبها

المصارحة بالحقيقة .

(بصوت مرتفع)

أنا .. أنا لا شيء بي .. فيما كنت أتحدث به
إليك ؟

دونيا سول : كنت تتحدث ..

هرناني : لا تلقى بالا .. كنت مضطربا .. اننى أتألم بعض
الشيء ولكن ما هذا !! لن يذهب بك الفرع الى
هذا الحد .

دونيا سول : هل تريد أن أقدم لك شيئا ؟ مر فأنا خادمتك

(البوق يصدح من جديد)

هرناني : (على حدة) يريدونها .. هو يريد حياتى . عاهدته
على ذلك .

(يتحسس حزامه الذى خلا من السيف ومن
الخنجر)

لا شيء .. لا حيلة فى أن يتم الأمر .. آه

دونيا سول : بك ألم شديد ولا شك ؟

هرناني : نجرح قديم كنت أظنه التأم .. عاد فاغراً فاه .

(وعلى حدة) فلنبعدا أولاً من هنا

(بصوت عال) أصغ الى ، دونيا سول ، يا حبيبتي

.. تذكرين ولا شك ذلك الصندوق الذى كان

يصاحبني دائماً في الأيام التى كنت أفقر فيها

إلى السعادة ؟

دونيا سول : .. أعترف ما تريد .. ولكن ما عسى أن تصنع به ؟

هرناني : فيه زجاجة تحتوي على أكسير للألم الذي يتأبني
الآن . هيا اذهبي .

دونيا سول : أنا ذاهبة يامولاي
(تخرج من الباب المؤدى الى غرفة العرس)

المشهد الرابع

هرناني (وحيدا)

هرناني : أقبل من سيقضى على هناءتي ! !
هاهي يد القدر المحتوم تبدو على الحائط ! !
آه . . شد مايمعن القدر في السخرية مني ! !
(يغيب في تأمل عميق ، ولكن سرعان مايفيق منه)
وبعد ؟ كل شيء حولي لا يتكلم ؟ ؟ لا أسمع وقعا
لقدم ؟ ماذا . . أتخذعني حواسي ؟
(يظهر في مؤخرة منصة التمثيل الرجل المقنع في
ملابسه التنكرية فيفزع هرناني)

المشهد الخامس

هرناني - المقنع

المقنع : مهما يقع من أمر ، وحيثما يكون . . وفي أية
ساعة تريد ، وقد رأيت أن موتى أصبح أمرا
مقضيا ، فما عليك الا أن تنفخ في هذا البوق ،
فيتم لك ماتريد من غير عناء هذا الميثاق شهد
على صبحته الأموات . . هل أنت مستعد ؟

هرناني : (في صوت خفيت) هذا هو .

المقنع : هأنذا جئت الى سكنك ، جئت لأقول لك ان الوقت قد حان وأراك متأخرا ! !

هرناني : حسن . . واية متعة لك في تنفيذ هذا الأمر ؟
ماعساك صانع بي ؟ تكلم

المقنع : لك أن تختار بين السم والنصل ، وما يقع عليه اختيارك ، أحضره لك ولنذهب معا الآن . .

هرناني : فليكن

المقنع : أتريد أن تصلي ؟

هرناني : لا يهمني

المقنع : ماذا اخترت ؟

هرناني : السم .

المقنع : حسن اعطني يدك .

(يقدم الى هرناني قارورة فيتناولها وهو شاحب الوجه)

اشرب ولينته الأمر .

(يرفع هرناني القارورة الى شفثيه ولكنه لا يشرب ما فيها)

هرناني : كن رحيما وأمهلي الى الغد .

اذا بقيت لك بقية من قلب يادوق . . .

اذا لم تكن شبعا فرّ هاربا من اللهب ، أو ميتا ملعونا ، أو طيفا لعفريت .

اذا كان الله لم يصم جبينك بعد بأن خط على صفحة كلمة . . لا . . .

إذا كنت تلدى مامعنى السعادة الكبرى في الحب ،
وأنت ابن العشرين ، وفي أن تتزوج بمن تحب . .
إذا أحسست يوما الهزة وأنت تطوى بذراعيك
امرأة تحبها وهي ترتجف . . . فالى غد . . أمهلنى
الى الغد ، تعالى الى الغد . .

المقنع : لا يقول هذا الكلام الا ساذج . الغد ؟ الغد ! !
أتسخر منى !

ناقوس جنازتك دق في هذا الصباح . ثم ماذا
أنا صانع هذه الليلة ؟
تريدنى أن أموت ؟ وإذا مت فمن ذا الذى يمضى
بك بعد ذلك الى القبر ؟
أتريدنى أن أنزل القبر وحدى ؟ أيها الشاب يجب
أن تتبعنى .

هرناني : أقول لك لا . سأنجو بنفسى منك . . . فأنت
شيطان . . . لن أطيعك .

المقنع : كنت أشك في أنك ستتبعنى . . حسن جدا .
فيم اذن أقسمت ، وبم أقسمت ؟ لم تقسم بشيء
أو لعلك أقسمت بشيء تافه . . برأس أبيك ! !
وهذا قسم يتطرق اليه النسيان . . ان بالشباب خفة
ونزقا

هرناني : أبى . . أبى . . يكاد عقلى يختلط على ويتداعى

المقنع : لا - ان الأمر لا يتجاوز أن يكون نكثا بعهد
ونخيانة قسم .

هرناني : يادوق

المقنع : مادام الكبار من البنين في بيوت اسبانيا يعبثون
بأقسامهم ويزيفون في كلامهم فالوداع (يهم
بالخروج)

هرناني : لا تذهب .

المقنع : اذن .

هرناني : أيها الشيخ الذي لا قلب له !

(يمسك بالقارورة)

أترجع وأنا على أبواب السماء ؟

(تدخل دونيا سول ، ولكن عينها لا تقع على

المقنع اذ يكون واقفا في مؤخرة منصة التمثيل)

المشهد السادس

السابقون — دونيا سول

دونيا سول : لم أعبث على الصندوق .

هرناني : (على جانب) يا الهى ! ! هذه هى ؟ تجيء في مثل

هذه اللحظة ! !

دونيا سول : ما به ؟ هل هو يفرغ منى ؟ انه يترنح من سماع

صوتي ! ! ماذا تحمل في يدك ؟ انى أرتاب . .

ماذا في يدك ؟ أجب .

(يقترب المقنع منها وينزع قناعه ، فتبدوا منها

صرخة فزع اذ تبين فيه دون روى جومير)

روى جومير : هذا سم .

هرناني : ويلي منه

دونيا سول : (الي هرناني) ما الذي حدث مني ؟ وأى سر
نخيف سأقف أمامه ؟ كنت تخدعني بادون يوحنا .

هرناني : كان لازما أن أخفي الأمر عنك ولا أتكلم .
وعدت الدوق أن أسلمه حياتي وهو من سبق له
أن أنقذها ، ولا حيلة الآن في أن يدفع آل أراجون
دين سيلفا .

دونيا سول : أنت لست له ، أنت لي وحدي أنا ، ولا تهمني
عهودكما .

(الي روى جومير)
أيها الدوق ان الحب يملأ جوانحي قوة ، بحيث
أستطيع أن أنازلك وأنا زل جميع الناس في سبيل
الدفاع عنه .

روى جومير : دافعي عنه ان استطعت ، دافعي عنه وقد ارتبط
بعهد وقسم .

دونيا سول : أى قسم ؟

هرناني : لقد أقسمت .

دونيا سول : لا ، لا ليس هناك قسم ترتبط به وقييدك ، هذا
أمر لن يكون ، انه جريمة ، اعتداء ، جنون .

روى جومير : هلم يادوق .

(تبدو من جانب هرناني حركة ليتبع روى جومير
ولكن دونيا سول تحول دون اتمامها)

هرناني : دعيني بادونيا سول ، ليس هناك مفر من انجساز
هذا الأمر . عاهدت عليه الدوق وأقسمت برأس

أبي على تنفيذه ، وأبي مطل علينا من عليائه .

دونيا سول : (الى روى جوميز) أهون عليك أن تنزع من النمرة صغارها ، من أن تسلبني من أحب .

أتعرف من دونيا سول ؟

أخذتك بالرفق ، وتحملتك منذ زمن ، مشفقة على الستين عاما التي قطعتها من عمرك ، فكنت لك الفتاة الرقيقة الساذجة التي يحمر وجهها خفرا ، أما الآن فانظر جيدا الى هذه العين التي تشرق بدموع الغضب ؟

(تنتضي خنجرا من صدرها)

أترى هذا الخنجر أيها الشيخ الخرف ؟ ألا تخشى النصل بعد تهديد العين به ؟ حذار يادون روى . اننى من الأسرة ياعم ، أصغ الى : لك الويل منى اذا امتدت يدك بسوء الى زوجى .

(برهة صمت ووجوم ، وتلقى دونيا سول بالخنجر بعيدا عنها ، لتقع جاثية على الأرض)
أجثو راحة على قدميك . كن رحيمنا بنا ، اعف ، أسفاه يامولاى ، لست الا امرأة .
خارت قواى . فارقتنى صلابتى ، أترامى على قدميك وأبتهل اليك أن تكون رحيمنا بنا .

روى جوميز : دونيا سول .

دونيا سول : اعف ، اننا معشر الاسبان نستشيط غضبا أمام العبارات الحادة ، ولكن سرعان ما نهذا عند سماع الكلمات الحلوة الكريمة ، ، أنت تعرف هذا ،

ولم أعهدك يوما رجلا فظا نخبثا . . الرحمة . .
انت تقضى علىّ يا عمى اذا امتدت يدك بسوء
إليه رحمة ، فاني أحبه . .

روى جوميز : (مكتئبا) تيمّك حبه ١١

هرنانى : أتبكين ؟

دونيا سول : لا ، لا ، لا أريد أن تموت يا غرامى . لا أريد

(الى روى جوميز)

اعف عنا اليوم. سأحبك ، أنت أيضا ، سأحبك حبا جما

روى جوميز : تحبينى بعده ؟ تعطينى بقايا حب ، أتحسين انك
تطفئين الجوى الذى يفرسنى بهذا القليل من
الحب ، ومن الصداقة ؟

(مشيرا الى هرنانى)

هو وحده ، وله وحده ، كل شيء . أما أنا
فليس لى منك غير الاشفاق والرثاء . ثم صداقتك
هذه ، ماذا أفيد منها ؟

يا للغيظ !! له وحده القلب ، والحب والسلطان.
النظرة منك ترمين بها الىّ ، يعتبرها صدقة
يتصدق بها .

واذا احتاجنى شوق الى أن أسمع كلمة رضا منك
فهو وحده الذى يأمرك : « قولى هذه الكلمة
وكفى !! » وهو يلعن فى سره هذا الشحاذ
الجشع الذى ليس أهلا الا لأن يلقى اليه بشمالات
الكثوس !!

يا للعار ! ويا للسخرية !! لا . لا أقبل . لا بدأن

هرناني : انتهى .. اشرب أعطيته كلمتي ، ولا بن مد
الوفاء بها .

روى جوميز : هيا

(يرفع هرناني قارورة السم الى فمه ، ولكن
دونها سول ترتمي على ذراعه)

دونيسا سول : تمهل . تفضلا أنتما الاثنان بالاستماع الى .

روى جوميز : اللحد فاغرفاه ، وأنا لا أملك الانتظار

دونيا سول : لحظة يامولاي ، وأنت يادون جوان ، ويالي من
قسوتكما !!

ماذا أريد منهما ؟ .. انها لحظة هي كل ما
أتمسه ، مهلة أن تفضي امرأة مروعة بما في
قلبها .. آه !! دعاني أتكلم .

روى جوميز : (إلى هرناني) إني على عجل .

دونيا سول : ياسيدي ، انكما تملآني ذعرا ، ماذا فعلت بكما؟

هرناني : صرخاتها تترقي .

دونيا سول : (وهي ما زالت ممسكة بذراع هرناني) ترى
جيذا أنني لم أفرغ بعد من انهاء ما أريد قوله ..

روى جوميز : (إلى هرناني) يجب أن تموت .

دونيا سول : (وهي ما زالت على الوضع السابق) دون جوان ،
افعل ما تريد أن تفعله بعد أن أفرغ من كلامي .

(تختطف القارورة من يده)

أخذتها

(ترفع القارورة أما أعينهما وقد استولت الدهشة
عليها)

روى جومير : مادمت أجدني في هذا المكان أمام امرأتين فيجب
أن أذهب إلى حيث ألقى النفوس الكبيرة .
أقسمت بالدم الذي أخرجك من الدنيا ، وها
أنت ذا تحنث بقسمك فلاذهبنّ إلى أبيك في
عالم الأموات أحيطه بالأمر وداعا .
(يخطو نحو الخارج فيمسك به هرناني)

هرناني : قف يا دوق .
(الى دونيا سول) أسفاه . . أتوسل إليك
أتريدن أن ترينني مزيفا ، عاقا ، حائثا ينميته ؟
أتريدن أن ترافقني الخيانة أينما وليت وجهي ؟
وكأنها مكتوبة على جبينى ؟
أشفقى علىّ وأعيدى هذا السم . أستحلفك بحبنا ،
بنفوسنا الخالدة .

دونيا سول : (في كآبة) تريد ذلك ؟ (تشرب السم) خذه الآن .

روى جومير : (على انفراد) أكان هذا السم معدا لها ؟

دونيا سول : (وهى تمد يدها بالقارورة بعد أن شربت نصف
ما فيها) خذه . . أقول لك .

هرناني : (الى روى جومير) رأيت أيها العجوز التمس ؟

دونيا سول : لا تلمنى ، تركت لك حصتك .

هرناني : (وهو يأخذ القارورة منها) ربي . .

دونيا سول : ما كان في وسعك لو شربت أنت أولا ، انترك

لى نصيبى . ليس لك قلب الزوجة المتدينة .
ولا تعرف أن تحب كما تحب فتاة من آل سيلفا .
شربت أنا أولاً وأنا مطمئنة ، فأشرب أنت الآن ،
إذا أردت .

هرنانى : ماذا فعلت بنفسك أيتها المسكينة التعسة .

دونيا سول : أنت الذى أراد هذا .

هرنانى : انها ميتة مؤلمة

دونيا سول : لا . . . ولماذا ؟

هرنانى : ان ما شربته يسير بك الى القبر .

دونيا سول : ألم نكن أعددنا كل شيء لثرقد جنبنا الى جنب هذه

الليلة ؟ ماذا يهم اذ تغير السرير . . .

هرنانى : أبى . أراك انتقمتم لنفسك منى ، اذ نسيتك .

(يرفع القارورة الى فمه)

دونيا سول : (وهى تلقى بنفسها عليه) الهى هذه الآلام

لا تحتمل ، ألق بالقارورة بعيداً عنك . تاه عقلى ،

لاتشرب ، ويلى يادون جوان ، يامن أنت لى ،

هذا سم زعاف تطل معه فى القلب أفعى ذات

ألف ناب تنهش فيه . آه ، ما كنت أدري أن

يبلغ الألم بالانسان هذا المبلغ ! ! ما هذا ؟ انه

النار ، لاتشرب . . شد ما ستتألم .

هرنانى : (إلى روى جومير) ما أقسى قلبك ، ألم يكن

فى وسعك أن تختار لها سماً آخر ؟ (يفرغ كل

مافى القارورة فى فمه)

- دونيا سول : ماذا تفعل ؟
- هرنانى : ما فعلت أنت بنفسك .
- دونيا سول : إلى ذراعى يا حبيبى ومحبوبى
(وقد جلس كل منهما إلى جوار الآخر)
- ألا تحس أن الألم ممض وفضيع ؟
- هرنانى : لا .
- دونيا سول : ها قد بدأت ليلة عرسنا ، قل ، ألا ترى اننى
أبدو فيها شاحبة اللون أكثر مما يجب أن تكون
عليه العروس ؟
- هرنانى : آه !!
- روى جومير : حقق القدر ما يريد .
- هرنانى : يا لليأس ، يا للألم . . دونيا سول تتألم وأراها
على هذه الحال !!
- دونيا سول : تمالك نفسك . أحس أننى أحسن حالاً ، سنفتح
أجنحتنا معاً ونطير في الفضاء فلنرحل في ضربات
جناح نحو عالم أفضل . أعطنى قبلة . . قبلة واحدة فقط .
- روى جومير : يا للألم !!
- هرنانى : (بصوت بدأ الضعف يدب فيه) تباركت السماء
التي منحتنى حياة وعرة ، مليئة بالمهاوى والمخاوف
في أول مراحلها ، لأقف في ختامها أمام الأشباح .
ولكن السماء تلطفت بى بعد أن أمضى السير
وحنت على " برقعة استقر فيها وفمى على يدك . .

روى جومير : ما أسعدهما !!

هرنانى : (بصوت يغالبه الضعف) تعالى . اقتربنى منى
يا دونيا سول . كل ما يحوطنى ظلام . . أتألمين؟

دونيا سول : (بصوت ضعيف) لا . . لم أعد أتألم .

هرنانى : ألا ترين نيراناً تشتعل في الظلام ؟

دونيا سول : لا .

هرنانى : (في زفرة طويلة) ها... أنا . . (يقع على الأرض)

روى جومير : (يرفع يديه رأس هرنانى فيسقط من جديد)
مات .

دونيا سول : (وقد تبعث شعرها ونهضت بنصفها الأعلى عن

الأرض) مات ؟ لا . لم يمّت . نحن راقدان . .

هو في أغماضة النوم . هذا زوجى . كلانا يهيم

حباً بصاحبه ، فاضطجعنا هنا . . هذه ليلة

عرسنا . (وفي صوت يموت تدريجياً) لا توقظه

يادوق . . فهو متعب (تدير وجه هرنانى

نحوها) ياغرامى . . أدر وجهك نحوى ، ادن

منى ادن أكثر ، أكثر . . .

(تسقط بلا حراك)

روى جومير : ماتت . . انى مقضى على بالهلاك .

(يقتل نفسه وسقط إلى جوارها)

(ستار)

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ - مقدمة بقلم المترجم	٥
٢ - شخصيات المسرحية	٥١
٣ - زمن المسرحية ومكانها	٥٣
٤ - الفصل الاول	٥٥
٥ - الفصل الثانى	٨٩
٦ - الفصل الثالث	١١٣
٧ - الفصل الرابع	١٦١
٨ - الفصل الخامس	٢٠٣

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ -	ماتويل جاليتشي	سمك سمير الهلسم
٢ -	جان آتوي	القبلة (جان دارك)
٣ -	هال بورتز	البرج
٤ -	نساو يو	عاصفة الرعد
٥ -	هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس
		٢ - التشكيلة او عرض الكراه
٦ -	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧ -	تيرانس راليغان	الاسكندر المقتوني او قصة مطامرة
٨ -	ليري مونييه	سباق الملوك
٩ -	جون مورليمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ -	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١ -	يونسكو - اداموف - اربال -	دراما الامم
	البي	
١٢ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ١
		١ - مس جوليا
		٢ - الاب
		مطيل يهود
		انشودة انجولا
		تواصت ظفرت
		(من الاعمال المختارة) مولير - ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارتجالية فرساي
		عسكر وحرامية او نيد كيلي
		العين بالعين
		(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		الطريق الى دمشق - ثلاثية
		١٤ يوليو
		شجرة التوت
		روس او لورانس العرب
		حلاق اشبيلية
١٣ -	نيقوس كالاندراكي	
١٤ -	بيتر فايس	
١٥ -	اوليفر جولد سميث	
١٦ -	مولير	
١٧ -	دوجلاس مستيوارت	
١٨ -	وليم شكسبير	
١٩ -	اوجست سترندبرج	
٢٠ -	رومان رولان	
٢١ -	انجس ويلسون	
٢٢ -	تيرانس راليغان	
٢٣ -	كارون دي بورمارشيه	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤ -	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ -	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ١
		نساء تراخيس
٢٧ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ١
		١ - رجل الله
		٢ - القلوب النهمة
٢٨ -	انريكي خارديل بونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		١ - الاقوى
		٢ - الرباط
		٣ - الجرائم انواع
		٤ - موسيقى الشعب
		اصطياد الشمس
٣٠ -	بيتر شافر	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ١
٣١ -	جورج شعادة	١ - حكاية فاسكو
		٢ - السيد بوبل
		انتصار حورس
٣٢ -	ه . و . فرمان	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو - ١
٣٣ -	جورج برنارد شو	١ - بيوت الازامل
		٢ - المايث
		ثلاث مسرحيات ظلمة
		١ - قرافة السيارات
		٢ - فاندو وليز
		٣ - الشجرة المقصصة
٣٤ -	فرنانفو ازابال	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢
		١ - اوديب الملك
		٢ - اوديب في كولون
		٣ - اليكترا
٣٥ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) جان جيروندو - ١
		١ - اليكترا
٣٦ -	جان جيروندو	٢ - لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١ ١ - الفنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جالاه او الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٣٨ -	كوبر - تشيرنسل شارب - بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحراب المهيء او (مصباح النعش) ١ - شيطان القابة ٢ - الخال فانيا
٤٠ -	انطون تشيخوف	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ٢ ١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٤١ -	جورج شعادة	(من الاعمال المختارة) لويجي برانديلو - ١ ١ - ديانا والثال ٢ - الحياة عطاء ٣ - للة الامانة
٤٢ -	لويجي برانديلو	١ - ستيفن « ه » ٢ - منفيون
٤٣ -	جيمس جويس	من الاعمال المختارة - سترندبرج - ٤ ١ - الفرما ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٤٤ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٣ ١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت
٤٥ -	سوفوكل	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦ -	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ٢ ١ - سدوم وعمورة ٢ - مجنونة شايبو
٤٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٢ ١ - ضحايا الواجب ٢ - مرتجلة الما ٣ - سفاح بلا كراه
٤٨ -	جيريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جيريل مارسيل - ٢ ١ - طريق القمة ٢ - العالم المكسور
٤٩ -	البي - شيزجال	١ - الحلم الأمريكي ٢ - الطابعان على الآلة الأرض كروية
٥٠ -	ارمان سالاكرو	
٥١ -	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو - ٢ ١ - السلاح والانسان ٢ - كانديدا ٣ - رجل المقادير
٥٢ -	هارولد بنتر	الحارس
٥٣ -	مارتينس دي لاروزا	ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤ -	وليم شكسبير	مأساة كريلولانس
٥٥ -	انطونيو بوينو بايخو	القصة المزدوجة للدكتور بالي
٥٦ -	يوريبينديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧ -	فيكتور هيغو	هرنانى

في العدد القادم

تأليف : ليوتولستوى

المستنيرون

كتب تولستوى هذه المسرحية ليتلهم بتمثيلها أفراد أسرته في بيتهم المشهور : « ياسنايا بوليانا » .

وتروى كتب الأدب المسرحى ان الكاتب الكبير كان يضحك حتى يستلقى على قفاه لدى مشاهدته تجارب التمثيل .

وما كان غريبا ان يفعل . . ! فالمسرحية حافلة بأسباب الضحك . انها عرض شائق ولذيذ لحوال الطبقة العليا في روسيا على أيام تولستوى ، وسخرية لاذعة من عادة تحضير الارواح ، التى كانت جنونا مستشريا آنذاك .

غير أن فى « المستنيرون » شيئا أكبر من هذا وأهم ، وهو نفمة العطف الدافئ على الفلاحين .

ان يكن تولستوى يضحك من الفلاحين ، ومن سداجتهم التى توشك ان تكون غفلة ، فهو لا يقصر مطلقا في تبیان ترابطهم ، ووضوح الهدف أمامهم .

ان جماعة الفلاحين لا يهدأ لها بال حتى تحصل على ما جاءت تطلبه ، وهو قطعة من الارض تشتريها من المالك الكبير ، رضى هذا المالك أم كره !

وفى مواجهة هذا التضامن ، يضع تولستوى خمبول المستنيرين ، وحمافتهم ، وجريهم وراء الملذات ، ثم يترك لقارئ المسرحية ان يستخلص لنفسه من هذا كله ما يشاء من عبر .

في هذا العدد

هرناني

تأليف : فيكتور هيجو

هرناني : اسم له معان كثيرة في هذه المسرحية فهو اسم علم لقاطع طريق وطالب ثار لايلين ...

وهرناني : محب وامق كتب بصدق حبه ، وبجراته ، قصيدة شائقة في عالم العشق والعشاق

وهرناني : اسم لقرية ضائعة في احدى مقاطعات اسبانيا ..

وهرناني : معركة أدبية تؤرخ انقضاء عصر في عالم الأدب والفن وقيام عصر آخر ...

كل هذا يجتمع ويدور في قصة عجيبة بأحداثها مثيرة بمفاجأتها ...

ومحور القصة ، حسناء يتعشقها ثلاثة رجال في وقت واحد

عجوز متصاب ، عظيم بمحتده ، عظيم بسرائه
وملك يركب الليل تصحبه فرقة تنشد أناشيد الهوى تحت شرفات الحسان ...

ثم قاطع طريق ، ثائر على الملك فهو يحمل رأسه على كفه

ولن يا ترى يخفق قلب الحسناء الذي يتقاسمه هؤلاء الثلاثة ؟

بل من من بينهم يسيطر عليها ويحكم ؟؟

والجواب الأول : نحن لا نختار حين نحب ..

والجواب الأخير : يكمن في تضاعيف هذه القصة .

ثم ان الجواب فيما نحن فيه ، ليس وحده ما يث
فهناك مواضع استشارات أخرى

هذا الانسان الذي يجمع تحت جلده نقائص السم والتسفل ، الجمال والقبح ، الخير والشر ... في وقت واحد